جهاد التُّرباني

JEHAD AL - TURBANI

101

سر آريوس

THE SECRET OF ARIUS

101

سر آريوس

THE SECRET OF ARIUS



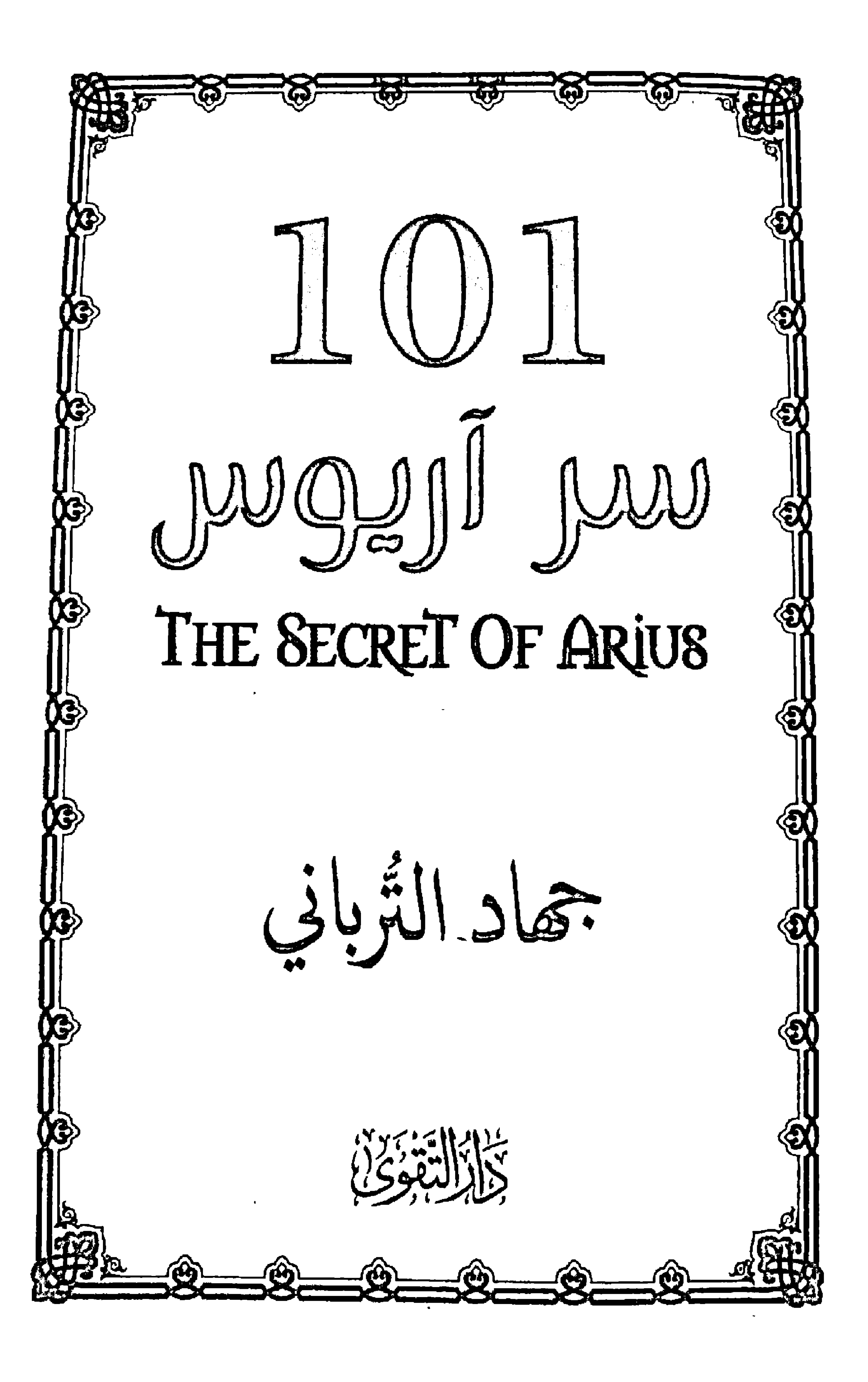
اسم الكتاب :	101 سر آريوس
المؤلف :	جهاد الترباني
القطع :	١٥ × ٢١
عدد الصفحات :	٢٨٨ صفحة
سنة الطبع :	١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م (طبعة جديدة)
الناشر :	التقوى للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة :	التقوى للطباعة والنشر والتوزيع

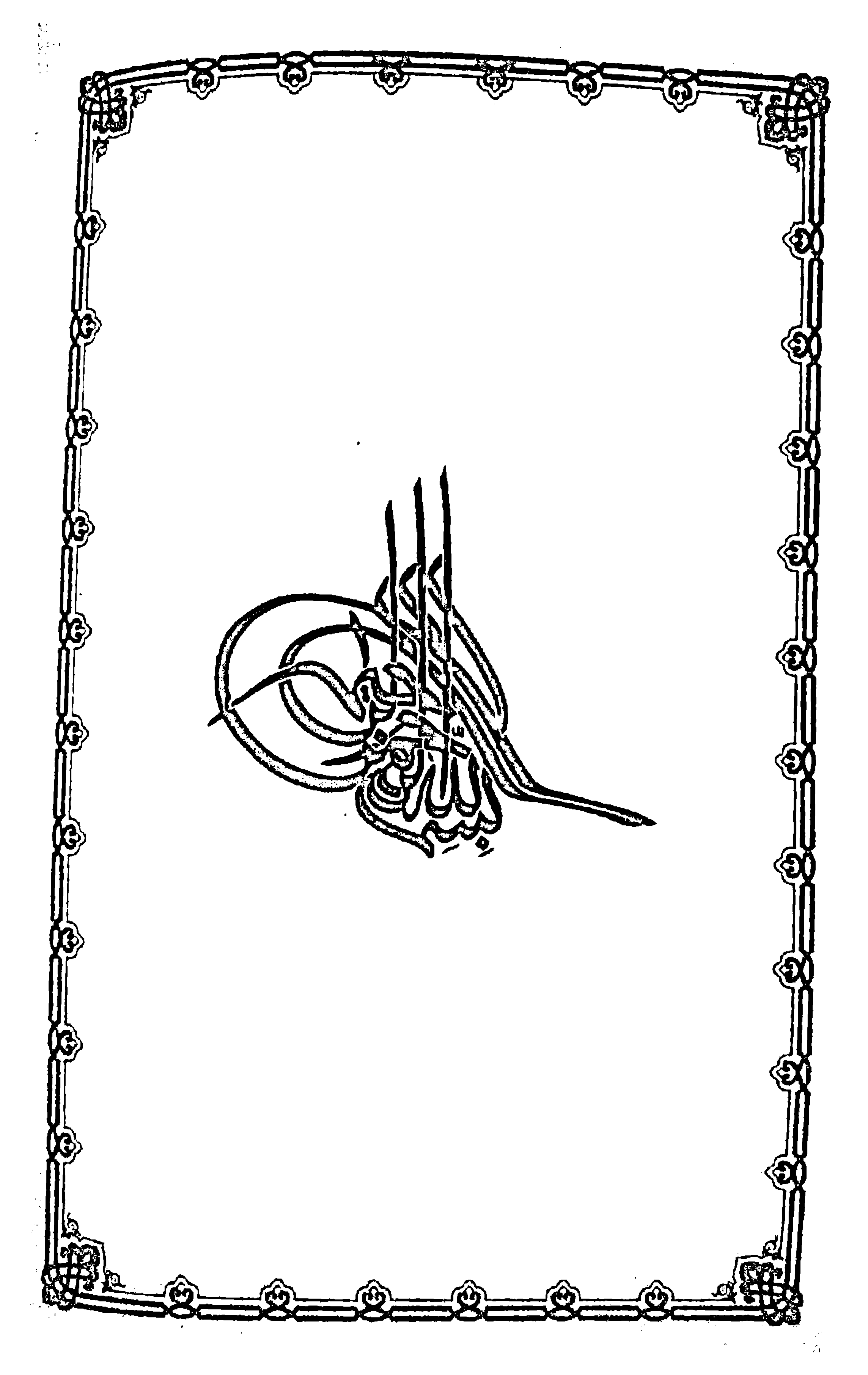
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية - مصر
2019/4041
الترقيم الدولي: 978-977-429-497-7

دار التقوى
للطبع والنشر والتوزيع

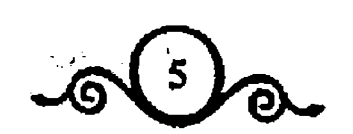
٨ ش البيطار - خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤١٧٠٤ / ٤٤٧١٥٥٠٦ ٠٠٢٠٢ ٠١٠٠١٦٦٨٠٦٧
E-mail: Daraltakwa.cairo@gmail.com

لتوصيل الكتاب داخل اي مكان داخل جمهورية مصر العربية يتم عن طريق طلب الكتاب من موقع سوق دوت كوم من على الرابط التالي:
https://egypt.souq.com/eg-en/دارالتقوى/p/?page-1


101
سر آريوس
THE SECRET OF ARIUS
جهاد الترباني
دار التقوى



لم يصدق نضال ما سمعه للتو من أحد العاملين في مكتبة الإسكندرية، فقد خاض مع صديقه عبد العزيز رحلة شاقة من أجل الوصول إلى هذه اللحظة، رحلة خطيرة محفوفة بالمخاطر والصعاب استغرقتهما أيامًا طويلة، سافرا خلالها إلى بلدان عديدة، وجمعا فيها معلومات تاريخية مثيرة من مدن مختلفة، ليتمكنا من خلالها من فك رموز لغز عجيب تطلب حله الغوص في بحار التاريخ العميقة، والقيام بمهمات خطيرة ومعقدة من أجل ربط خيوطه الخفية بعضها ببعض، وبعد أن نجحا في حله أخيرًا، ها هما الآن يكتشفان أن مجهودهما ذهب أدراج الرياح، فالرجل الوحيد الذي يمتلك سر ذلك اللغز قد قُتل!

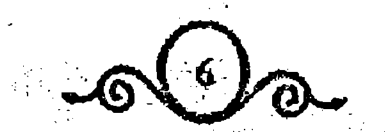


- ولكن كيف تم قتله؟ ومتى حدث ذلك؟ سأل عبد العزيز.

- يبدو أنك كبقية أبناء جيلك لا تتابع الصحف، لقد قُتل الحاج متولي قبل أسبوع تقريبًا، واحتل خبر مقتله الغامض عناوين الأخبار لعدة أيام، وافردت له كبريات الصحف مقالات تحليلية طويلة في محاولة لتفسير معنى الرسالة الرقمية التي كتبها على الحائط مستخدما دماءه التي سالت من ظهره قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بالقرب من الحائط أسفل الرسالة، خاصة وأن مقتله كان الحلقة الأخيرة في سلسلة عمليات قتل غامضة تمت بنفس الطريقة في مدينة الإسكندرية، ولكن الحاج متولي كان الوحيد الذي تمكن من أن يكتب شيئًا بيده التي وجدت ملطخة بالدماء، وربما كان هذا هو سبب توقف تلك الجرائم بعد مقتله بعد أن خاف المجرمون من انفضاح هويتهم لدى الشرطة بتلك الرسالة.

- المعذرة يا عم، نحن لسنا من مصر، لقد وصلنا صباح اليوم فقط إلى مطار الإسكندرية، ولم نتمكن من متابعة الصحف المصرية في الفترة الماضية، ولكن ما الذي جاء بالتحديد في تلك الرسالة الرقمية التي وجدت عند جثته؟

- لاحظت من لهجتك أنك لست مصريًا، ولكنني ظننتك



أحد الطلبة العرب الذين يدرسون في جامعة الإسكندرية، بالنسبة للرسالة الرقمية قليلون فقط من يعلمون ما جاء فيها، فلقد قامت إدارة المكتبة بأمر من الشرطة بإغلاق الغرفة التي قتل فيها الحاج متولي، وما زالت هذه الغرفة مغلقة حتى اليوم، وما تناقلته الصحف عند تلك الرسالة كان مجرد تسريبات متضاربة اختلفت من صحيفة إلى أخرى، ولكن الشيء الذي أستطيع تأكيده شخصيًا أن هناك رسالة مكتوبة بالدم على الحائط مكونة من عدة أرقام، لقد شاهدت ذلك بعيني من بعيد في الصباح الذي أعقب الليلة التي تمت فيها عملية القتل، دون أن أتمكن من تحديد تلك الأرقام لبعد المسافة وإحاطة أفراد الشرطة بمسرح الجريمة، قبل أن يتم إغلاق الغرفة بأمر من مدير المكتبة.

- وما هي الأرقام التي شاهدتها بالتحديد يا عم؟ سأل نضال بفضول واضح.

توقف العامل المسن عن الحديث للحظة بعد أن لاحظ اهتمام نضال المبالغ به بتلك القصة، وأخذ ينظر إلى عينيه بريبة، قبل أن يبادره بالسؤال في نبرة صوت حادة:

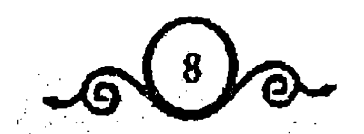
- لماذا تسأل كل هذه الأسئلة أيها الفتى؟ وما مدى علاقتك بالحاج متولي؟ وما الذي كنت تريده منه؟!



انتبه عبد العزيز إلى تغير نبرة صوت العامل، ولاحظ ارتباك صديقه وتغير ملامح وجهه بعد أن أثار انتباه العامل بكثرة أسئلته، فقرر بسرعة بديهته أن يتدخل في الحوار في محاولة لإنقاذ الموقف، فوضع يده على كتف العامل المسن موجهًا حديثه إليه قائلًا:

- عظم الله أجركم في الفقيد يا عم، نقدر صعوبة هذا الوقت بالنسبة إليكم، في الحقيقة صديقي هذا فضولي جدًا، وقد سبب لي الكثير من الإحراج بسبب تطفله على شؤون الآخرين، أعتذر بالنيابة عنه، صراحة نحن هنا في زيارة قصيرة لبلدكم الجميل، وعندما وصلنا إلي الإسكندرية ارتأينا أن نزور هذا الصرح الثقافي العريق، خاصة وأن والدة صديقي كانت دائمة المجيء إلى المكتبة في الفترة الماضية، وهي التي أخبرته عن الحاج متولي ومدى طيبته ولطفه في التعامل مع زوار المكتبة، فقد كان الحاج متولي يساعدها في البحث عن الكتب التي تحتاجها، وقد أردنا لقاءه للسلام عليه وتقديم مبلغ صغير له كهدية رمزية لمساعدته لها، قبل أن نعلم منك هذا الخبر الحزين عن مقتله!

- هل تعني أن هذا الفتى الفضولي هو ابن تلك السيدة الفلسطينية التي كانت تأتي هنا كل يوم وتقضي النهار كله في مطالعة الكتب؟



- أجل أجل! هل تعرفها يا عم؟! سأل نضال بلهفة.

- في الحقيقة لا أعرف عنها الكثير، كانت سيدة لطيفة تسلم علينا عند دخولها في الصباح، وتودعنا عند خروجها في المساء قبل دقائق قليلة من نهاية أوقات العمل في المكتبة، كانت أمك على العكس منك قليلة الكلام، تتجنب الدخول في حوارات مع العاملين في المكتبة، باستثناء الحاج متولي الذي كانت دائمة التواصل معه، خاصة وأنها كانت تتواجد باستمرار في قسم تاريخ الأديان الذي كان الفقيد مسؤولًا عنه.

- هل لك أن تدلنا على عنوان منزله؟ فهذا الرجل كان شديد اللطف مع والدتي، وكان يعاملها مثل ابنته، ومن الواجب تقديم واجب العزاء لأهله وإعطائهم المبلغ الذي كنا ننوي إعطاءه إياه!

- حسنًا، فكرة جيدة منك، فقد كان الحاج متولي رجلًا فقيرًا، وكان على حد علمي المعيل الوحيد لأسرته الكبيرة، وبالتأكيد أي مساعدة مالية لأهله في مثل هذا الوقت الحرج ستساعدهم على تجاوز هذه المرحلة الصعبة، ولكني لست متأكدًا من العنوان، أعتقد أنه كان يعيش بالقرب من مسجد القائد إبراهيم، على أي حال عناوين جميع الموظفين موجودة لدى إدارة المكتبة، انتظرا قليلًا هنا وسأقوم بإحضار العنوان.



- شكرًا جزيلًا لك يا عم، سننتظر أنا وصديقي هنا إلى حين عودتك. قال عبد العزيز وهو يبتسم في وجه الرجل.

بعد ذلك غادر عامل المكتبة القاعة التي يتواجد فيها نضال وعبد العزيز، بينما أخذ الصديقان يتناقشان في أمر هذا الخبر الصادم الذي سمعاه قبل قليل.

- يا إلهي! يا لها من صدمة! اعذرني عن هذا السؤال يا نضال، ولكن هل تعتقد أن أمك ما زالت على قيد الحياة؟

- للأسف، يبدو أننا وصلنا متأخرين يا عبد العزيز، من المؤكد أن هؤلاء الأوغاد قاموا بقتلها بعد أن علموا منها مكان البحث الذي أخفته عند هذا الرجل المسكين رحمه الله. قال نضال بعينين دامعتين.

- عظم الله أجركم يا صديقي، لقد كانت الخالة عائشة رحمها الله إنسانة رائعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

- كل ما يعنيني الآن في هذه الحياة هو الانتقام من الحشاشين الجدد، وتدمير حلمهم باستعادة تشكيلهم السري الإجرامي، كما دمروا الحلم الجميل الذي عشته لأيام قليلة فقط! قال نضال والغضب يملأ صوته.



- ولكن لماذا سألت عن عنوان بيت الحاج متولي ما دمت متأكدًا من أنهم حصلوا على الملف الذي تركته أمك في عهدته؟!

تساءل عبد العزيز باستغراب.

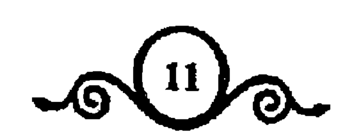
- لعدة أسباب، أولًا أنا أرغب فعلًا بتعزية عائلة هذا الرجل المسكين وتقديم ما يلزم لمساعدة أهله، ثانيًا أريد أن أستفسر منهم عن أي معلومة تخص والدتي، وثالثًا أريد أن أسألهم إن كانوا يعلمون شيئًا عن تلك الأرقام التي تركها القتلة عند جثته.

- عزيزي نضال، يبدو أنك لم تركز في حديث الرجل كعادتك، الحاج متولي هو الذي كتب تلك الأرقام بدمه وليس العصابة.

- كنت في غاية التركيز في حديثه، وهذا ما أكد لي أن القتلة هم من تركوا تلك الرسالة!

- ولكن كيف ذلك؟! تساءل عبد العزيز بتعجب.

- حسنًا يا عبد العزيز، سأحاول تبسيط الأمر قدر الإمكان، عندما تتعرض لإصابة مؤلمة في كرة القدم، فهل يكون ما يشغل تفكيرك هو الإشارة للحكم إلى الشخص الذي أصابك، أو تكون أولوياتك منصبة على تقليل حدة الألم والحصول على مساعدة مستعجلة؟



-أتذكر أنني تعرضت لإصابة خطيرة في إحدى المرات أثناء محاولتي التسجيل في مباراة نهائية لدوري الحارات في مدينتي خريبكة، فقد تعرضت لكسر في كاحل القدم عندما كنت منفردًا بالحارس داخل منطقة الجزاء، وذلك بعد أن دفعني أحد المدافعين بشدة من الخلف، كل ما أتذكره أنني كنت أتلوى من شدة الألم وأرفع يدي طلبًا للإسعاف، ولم أنتبه حتى إلى المعركة التي حدثت حولي بين لاعبي الفريقين وقيام الحكم بإلغاء المباراة بعد رفض زملائي في الفريق ضرب ركلة الجزاء التي احتسبت لنا وأصروا بدلًا من ذلك على ضرب ذلك اللاعب. قال عبد العزيز وهو يخفي ابتسامته.

- حسنًا، كان هذا شعورك لمجرد كسر في كاحلك فقط، فما بالك بإصابة قاتلة في ظهرك؟ هل تعتقد أن الحاج متولي كان يملك التركيز والوقت الكافيين لكتابة رسالة بدمائه مهما كانت بساطتها؟! ناهيك أن تكون هذه الرسالة رسالة مشفرة بأرقام وتحتاج لكثير من الهدوء والتركيز لكتابتها؟!! مع الأخذ بعين الاعتبار أن دماغ الإنسان أثناء النزيف تقل قدراته الطبيعية بشكل متسارع، مما يحد من مجال الرؤية والحركة لديه، والأهم من ذلك كله أن مجال

الاستيعاب والتركيز لدى الإنسان يقل بسرعة جنونية مع كل دفقة دم يفقدها الجسم.

- ولكن يا نضال كثير ما نسمع عن قتلى يدلون على قاتليهم على الرغم مما تقوله!

- صحيح، ولكن هذه الأمور تحدث في مناسبات نادرة، وغالبًا ما تكون عن طريق شيء يعلق بيد الضحية من أثر القاتل، كشعر أو قطعة ملابس أو ما شابه، وهذا الأمر يعتمد أيضًا على نوع الإصابة ودرجة خطورتها والوقت المتاح بين الإصابة والوفاة، وأيضًا لا ينبغي أن نقلل من أهمية الدافع النفسي الذي يحمله القتيل للكشف عن هوية قاتله، فالدافع النفسي من شأنه أن يمنح الضحية قوة عجيبة تزيد من نشاطه الحيوي، خاصة إذا كان هذا الدافع هو تحذير أشخاص يخشى عليهم من القاتل.

- ولكن لماذا تستبعد فرضية أن الحاج متولي كان لديه دافع نفسي كبير ساعده على ترك رسالة يحذر فيها من القتلة؟! تساءل عبد العزيز.

- هذه الفرضية قائمة يا صديقي، ولكن حتى وإن أخذنا بها، فإن مكان كتابة الرسالة الرقمية على الحائط يجعلها فرضية غير واقعية على الإطلاق.



- وما علاقة مكان كتابة الرسالة بهذا الأمر؟!

- انتبه إليَّ جيدًا يا عبد العزيز، لو أراد الحاج متولي كتابة رسالة بدمائه لكتبها على أرضية الغرفة بالقرب جثته، فالإنسان في مثل هذه الظروف لا يملك القوة للقيام أو الجلوس أو حتى رفع الرأس لكي يكتب رسالة على الحائط تحتاج لجهد عضلي وتركيز بصري كبيرين.

- ولكن العامل قال إنهم وجدوا يد الحاج متولي ملطخة بالدماء من أثر الكتابة!

- صديقي العزيز عبد العزيز، وهل تعتقد أن عصابة إجرامية تقدم على مثل هذه الجريمة البشعة عاجزة على أن تحرك يده بعد قتله وتلطخها بالدماء لاستخدامها في كتابة عدة أرقام على الحائط؟

- ولكن يا نضال لماذا يقوم القتلة بترك رسالة قد تدل على هويتهم الحقيقية؟

- لا أعلم بالتحديد، يجب قبل كل شيء أن أطلع على فحوى هذه الرسالة، ولكنني متأكد من شيء واحد، وهو أن هذه الرسالة رسالة تهديدية واضحة، فقد استخدم القتلة الدم لكتابتها، وفي لغة الإشارات فإن استخدام الدم في الكتابة يدل على تهديد صريح موجه إلى شخص

يفترض به أن يرى هذه الرسالة، وهذا ما يفسر استخدام كثير من دول العالم للون الأحمر في أعلامها، فاللون الأحمر يرمز في الغالب إلى الدم، وإضافة هذا اللون إلى رمز الدولة ممثلًا بالعلم قد يعني الوفاء لدماء المقاتلين الذين ضحوا من أجل الوطن، ولكن قد يعني أيضًا تهديدًا مبطنًا لأي دولة تفكر بالاعتداء على الوطن، لذلك فإن اللون الأحمر من أكثر الألوان شيوعًا بين الأعلام، فالبشر بالرغم من تحضرهم، فإنهم ما زالوا يستخدمون عن طريق مباشر أو غير مباشر لغة الإشارات البدائية التي كان أجدادهم يستخدمونها.

- وهل تعتقد أن هذا التهديد موجه إلينا نحن؟ قال عبد العزيز بشيء من الريبة.

- لست متأكدًا من ذلك، فربما يكون الأمر مجرد صراع بين عصابات متنافسة، أو ربما كانت رسالة أراد القتلة من خلالها تحدي المباحث التي تطاردهم، ولكن هناك احتمال كبير أن نكون نحن المقصودين بهذا التهديد، خاصة إذا كان القتلة قد علموا بشأن تحركاتنا السابقة، وهذا يعني أنه ينبغي علينا...

- نضال! انظر هناك! قال عبد العزيز مقاطعًا.

- ما الأمر يا عبد العزيز؟!



- انظر هناك إلى اليمين من مقعدنا، فمنذ عدة دقائق وأنا أنظر نحو البوابة التي توجه إليها العامل، هناك حركة غير طبيعية لبعض الأشخاص تتزايد مع مرور الوقت، وبين الحين والآخر يخرج أحد الأشخاص من البوابة لينظر إلينا قبل أن يختفي من جديد.

- علينا الخروج من هنا بسرعة يا عبد العزيز، هيا بنا!

تحرك عبد العزيز ونضال بسرعة نحو مخرج المكتبة، ولكنهما لاحظا وجود العامل الذي قابلاه من قبل عند المخرج محاطًا بعدد كبير من الحراس، وكان يتحتم على كل من يرغب بالخروج من المكتبة أن يمر أولًا على ذلك العامل الذي كان يدقق في وجوههم قبل أن يأمر الحراس بالسماح لهم بالخروج، فلما رأى نضال وعبد العزيز هذا الأمر غيرا بسرعة من مسارهما بعيدًا عن بوابة الخروج، وحاولا إيجاد مخرج آخر، ولكنهما لاحظا أن شخصًا يلبس ملابس سوداء كان يلاحقهما في كل خطواتهما، فأخذا يجريان في باحة المكتبة المزدحمة بالزوار في محاولة للخلاص من مراقبته، قبل أن يسمعا صوتًا من الخلف ينادي:

- 101 انتظر!





بداية الحكاية

- اسمعني جيدًا، إما أن تعترف بأنك أنت من قمت بهذا الأمر، وإما أن نحضر إليك كلبًا مدربًا لكي ينتزع هذه الحقيقة منك!

لم يُوجَّه هذا التهديد من إحدى غرف التحقيقات المظلمة

المختصة بجرائم الجاسوسية، ولم يكن الشخص الذي وَجه هذا التهديد أحد محققي مكتب التحقيقيات الفيدرالية الأمريكية «FBI»، ولم يكن من تم توجيه هذا التهديد إليه أحد مجرمي الحروب الذين اقترفوا عمليات إبادة جماعية، بل حدث هذا الأمر في فصل مدرسي تابع لإحدى المدارس، وكان ذلك المحقق أستاذًا لأطفال المرحلة الابتدائية، أما الشخص الذي تم توجيه هذا التهديد إليه فقد كان متهمًا بريئًا، لا تكمن براءته فقط بكونه لم يقترف من الأساس هذه «الجريمة» التي يحقق معه بشأنها، ولكن أيضًا لأنه كان في عمر البراءة، فقد كان طفلًا صغيرًا يدرس في المرحلة الابتدائية، وبالتحديد تلميذًا في الصف الأول الابتدائي، وبتحديد أكثر تلميذًا في أيامه الأولى في أول مرحلة من مراحل التعليم، في إحدى مدارس العالم العربي!

كانت سعادة الطفل الفلسطيني اليتيم نضال بدوي لا توصف في ذلك اليوم الذي استيقظ فيه مبكرًا لكي يبدأ أول أيامه الدراسية على الإطلاق، فأخيرًا سيكون تلميذًا في الصف الأول الابتدائي الذي لطالما حلم بالالتحاق به أثناء وجوده في الروضة، ولكن تلك السعادة سرعان ما تبخرت عندما رفضت المدرسة استقباله في اليوم

الأول، وذلك بعد أن أضاع بطاقته المدرسية مباشرة عند دخوله من بوابة المدرسة، ويبدو أنه سقطت منه أثناء ركضه هربًا من أحد الأساتذة الذين كانوا يلاحقون التلاميذ بعصيهم الملونة في ساحة المدرسة، هذا الأمر دفع نضال للمكوث في البيت لأيام طويلة لاستكمال الإجراءات القانونية اللازمة لاستخراج بطاقة مدرسية جديدة، وبعد ما يقرب من أسبوعين من بداية العام الدراسي، تمكن نضال من أن يكون تلميذًا قانونيًا، وعلى الرغم من تأخره عن بقية زملائه في الدراسة، وجلوسه على المقعد الوحيد الشاغر الذي كان أسوء مقعد في الفصل، فقد بدا نضال متفائلًا وسعيدًا بتمكنه أخيرًا من الالتحاق بالمدرسة، واعتقد أنه لن يواجه أمرًا أكثر سوءً مما واجهه في أول يوم دراسي له، ولكن الشيء الذي لم يكن يعلمه نضال وقتها، أن الأمر الأسوأ لم يأتِ بعد!

فبعد أسابيع قليلة من بداية العام الدراسي، واجه نضال حربًا شرسة شنها عليه أحد أساتذته، فقد رفض هذا الأستاذ فكرة أن يتجاوز أحد التلاميذ أوامره بعدم العد إلى أكثر من الرقم 100 الذي كان الرقم الأقصى المطلوب من تلاميذ الصف الأول الابتدائي معرفته وفقًا للمنهج المقرر، كان التلاميذ يرددون بسعادة

صباح كل يوم الأرقام من 1 إلى 100 خلف الأستاذ، وكان الأستاذ بدوره يشعر بالرضى لتنفيذ التلاميذ لتعاليمه دون مناقشة، وحده نضال كان يشعر بالملل لترديد نفس الأرقام طيلة الوقت!

كان نضال طفلًا مختلفًا بعض الشيء عن بقية الأطفال، فلم يكن من النوع الذي يفضل الالتزام بالأوامر والتعليمات التي لا يقتنع بها من داخله، ولم يكن يحب أن يردد نفس الأشياء بشكل متكرر، أو أن يُحدَّد له من الآخرين ما يمكن معرفته وما لا يمكن معرفته، لذلك فقد كانت مادة الرياضيات مادته المفضلة، فكان يجد فيها حريته التي يطلق فيها العنان لخياله غير المحدود، خاصة وأنها لا تحتاج إلى كثير من الحفظ الذي كان نقطة ضعفه، فقد كان نضال يعاني من ضعف واضح في التركيز، وصعوبة كبيرة في الحفظ، جعلته دائم النسيان لأبسط الأمور، إلا أنه كان بارعًا في حل المسائل الحسابية الصعبة، وفي حين كان التلاميذ يحتاجون إلى استخدام الورقة والقلم للقيام بعمليات الجمع والطرح التي كان المعلم يختبرهم فيها، كان نضال يقوم بتلك العمليات في ذهنه بسرعة فائقة دون الحاجة لاستخدام الورقة والقلم، الأمر الذي مكنه دائمًا من التوصل إلى الإجابة الصحيحة قبل كل التلاميذ، فأخذ يبحث عن

الرقم الذي يلي الرقم 100، ليكتشف أنه الرقم 101، وفي صباح أحد الأيام وبعد أن ردد التلاميذ كعادتهم الأرقام من 1 إلى 100 خلف أستاذهم، تفاجأ الجميع بالتلميذ نضال بدوي يردد الرقم 101، الأمر الذي أثار استياء الأستاذ الذي لم يتعود على سماع صوت يخالف تعاليمه، وأثار في نفس الوقت استغراب التلاميذ الذين اكتشفوا أن هناك شيئًا جديدًا يختلف عن ما كانوا يرددونه طيلة الوقت خلف أستاذهم، لذلك أحس الأستاذ بخطورة ما قام به نضال، وحاول منعه عن تكرار ذكر ذلك الرقم مجددًا أمام التلاميذ خوفًا من أن يفقد سيطرته عليهم، فاستخدم كافة الوسائل لثني نضال عن ذكر الرقم 101 داخل الفصل، فقام بضربه، وتوبيخه، وعرض عليه أن يكون ممثلًا للمدرسة في مسابقة الرياضيات مقابل الالتزام بتعليماته، ولكن نضال استمر في ترديد الرقم 101 صباح كل يوم، الأمر الذي دفع الأستاذ إلى محاولة كسر إرادة نضال ومحاربته نفسيًا، فطلب من التلاميذ السخرية منه وإطلاق لقب 101 عليه، وبالفعل كان نضال على وشك الاستسلام في تلك الحرب الظالمة التي فرضت عليه من قبل أستاذه المستبد، قبل أن توجه إليه عمته خديجة نصيحة جعلته يقرر الاستمرار في تلك

الحرب، وبعد أن اعتقد الأستاذ أن نضال في طريقه إلى الرضوخ والاستسلام، تفاجأ بأنه صار يردد كل صباح الرقم 101 بصوت أعلى من ذي قبل، وأنه صار لا يأبه بمناداة التلاميذ له بلقب «مائة وواحد»، بل على العكس من ذلك، صار يبدي سعادة وفخرًا بهذا الأمر، حتى أنه طلب من عمته أن ترسم الرقم 101 بلون ذهبي على ظهر قميصه الرياضي الذي كان يلبسه أثناء لعب كرة القدم، وبدلًا من أن يتحول هذا الرقم إلى عار يطارده في حياته، أصبح بالنسبة له رمزًا يمثل كثيرًا من المعاني الإنسانية التي كان أغلب تلاميذ المدرسة يفتقدونها، وعلى الرغم من خوف كثير من هؤلاء التلاميذ من إظهار تعاطفهم وتأييدهم لما يقوم به نضال، فإن الأستاذ المستبد كان يدرك أن نضال بات يمثل تهديدًا خطيرًا لأسلوبه القديم في التدريس، وأن صاحب الرقم 101 صار مصدر إلهام لكثير من التلاميذ الذين بدأوا بطرح أسئلة لم يعتد سماعها منهم في السابق، لذلك قرر الأستاذ التخلص من نضال عن طريق وضع خطة تؤدي إلى فصله من المدرسة، أو على الأقل نقله إلى مدرسة أخرى!

فقد عرض الأستاذ على أحد التلاميذ أن يمنحه العلامة



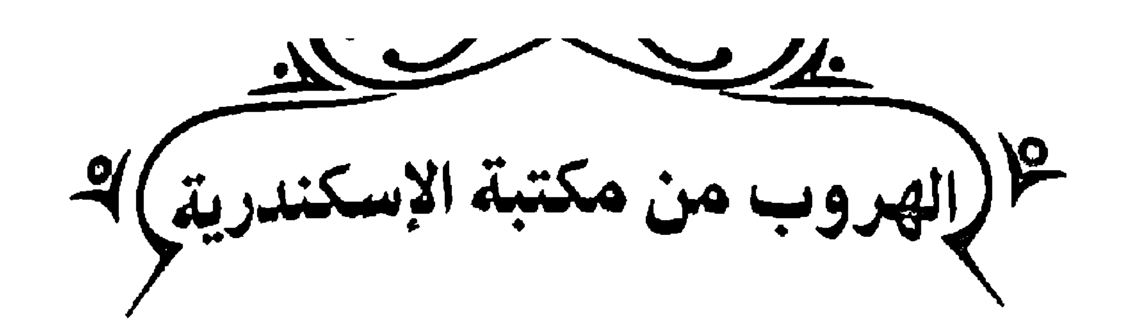
الكاملة في مادة الرياضيات مقابل أن يقدم ذلك التلميذ على تمزيق جميع كتب الرياضيات الخاصة بالتلاميذ باستثناء الكتاب الخاص بنضال، وكانت خطة الأستاذ تقضي بأن يقوم ذلك التلميذ بتمزيق الكتب أثناء فترة الاستراحة المدرسية عند خلو الفصل من التلاميذ، وطلب الأستاذ منه أن يشيع بعد ذلك بين التلاميذ أن التلميذ نضال بدوي هو من قام بهذه الفعلة انتقامًا من زملائه لسخريتهم منه في مادة الرياضيات بالتحديد ومناداته بلقب 101، وفعلًا تم تنفيذ هذه الخطة بنجاح، ليتبعها مباشرة اتهام نضال بتمزيق كتب زملائه، لتنهال عليه اللكمات والشتائم من قبل التلاميذ الغاضبين، وبعد ذلك تم استدعاء نضال من مدير المدرسة، ليتم التحقيق معه بشأن الكتب الممزقة، فأخبر نضال المدير بأنه لا علاقة له بتمزيق الكتب، ولكن المدير رفض تصديقه، لتبدأ منذ ذلك اليوم عمليات تحقيق مستمرة من قبل المعلمين والإداريين في تلك المدرسة، وكان نضال في كل مرة يؤكد لهم عدم قيامه بتلك الفعلة، وكانوا هم بدورهم يكررون عليه نفس الاتهام، قبل أن يقرر أحد الأساتذة استدعاءه من فصله ليوجه إليه تهديدًا مباشرًا بأنه سيقوم بجلب كلب شرطة مدرب بإمكانه انتزاع الحقيقة منه إن لم يقم بالاعتراف، فأجابه

نضال وهو يبكي بأنه ينبغي عليه أن يقوم بذلك بالفعل، فلعل ذلك الكلب يخلصه من التحقيقات المستمرة التي تلاحقه، وبعد أن يأس المدير والمعلمون من انتزاع اعتراف من نضال بارتكاب شيء لم يقترفه من الأساس، بدأوا بالتفكير بطريقة مختلفة، فبدلًا من أن يكرروا على مسامع نضال هذا السؤال: لماذا مزقت الكتب؟ بدأوا بطرح سؤال آخر ساعدهم على معرفة الفاعل الحقيقي، هذا السؤال هو: من مزق الكتب؟

وبالفعل، بدأ المدير يحقق مع بقية التلاميذ في تلك الحادثة، وطلب من أولياء الأمور مساعدته في معرفة الفاعل الحقيقي، ليخبره بعض أولياء الأمور بأن أحد الأساتذة عرض على أبنائهم القيام بتلك الخطة من قبل، ولكن أبناءهم رفضوا ذلك، ليقوم ذلك الأستاذ بتهديدهم بعقاب شديد إذا ما أبلغوا أحدًا بهذا الأمر، ليتمكن المدير في نهاية الأمر من معرفة التلميذ الذي قام بتمزيق الكتب، والذي أخبر المدير بأن أستاذ الرياضيات هو من طلب منه القيام بذلك، فبعث المدير بمذكرة إلى وزارة التربية والتعليم يطلع المسؤولين فيها على نتائج التحقيق الذي تضمن خلفيات الصراع بين نضال وأستاذه، فصدر قرار من الوزارة بفصل ذلك الأستاذ



المستبد نهائيًا عن التدريس، ثم صدر قرار آخر يعمم فيه على جميع المدارس الابتدائية في البلاد إلغاء نظام تحديد الأرقام التي يسمح للتلاميذ بمعرفتها في كل مرحلة من مراحل الدراسة الابتدائية، وبعثت الوزارة بجائزة تقديرية وشهادة شكر إلى التلميذ نضال بدوي موقعة من وزير التربية والتعليم بشكل شخصي، ليكون نضال أصغر تلميذ يحصل على مثل ذلك التكريم في تاريخ البلاد، بعد أن صار يُنادى باحترام من قبل تلاميذ المدرسة بالرقم الذي بات يمثل لكثير منهم رمزًا للتحدي والصمود، الرقم 101!



الهروب من مكتبة الإسكندرية

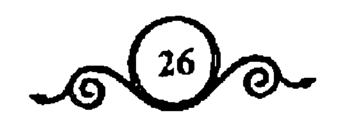
- انتظر يا 101!

أبطأ نضال من سرعته بعض الشيء بعد أن سمع هذا النداء، وأخذ يلتفت إلى مصدره، لقد كان نفس الشخص ذي الملابس السوداء الذي كان يتبعهما، وبينما كان نضال يفكر في مواصلة الركض بسرعة ليلحق بعبد العزيز الذي ابتعد عنه قليلًا، ناداه ذلك الشخص مجددًا:

- نضال بدوي، 101، الأمانة التي جئت لمقابلة العم متولي من أجلها موجودة معي!

- عند تلك اللحظة توقف نضال كليًا عن الركض في إحدى ردهات المكتبة، ونادى عبد العزيز لكي يرجع إليه، ثم استدار نحو ذلك الشخص ليسأله وهو يلهث من شدة التعب:

- من أنت؟ هل تعرف الحاج متولي بالفعل؟ وما هي تلك الأمانة؟ وكيف عرفت باسمي ولقبي؟!



توقف ذلك الشخص عن الركض ليلتقط أنفاسه، ثم أجاب وهو يلهث:

- أنا سعيد ابن أخ العم متولي، أعمل أيضًا في المكتبة في قسم التنظيفات، كنت أنتظر مجيئك منذ أيام، وأعرف أمك السيدة عائشة التي كانت تأتي باستمرار إلى المكتبة، وعمي متولي هو من أخبرني بأنك ستأتي، وترك عندي أمانة قبل موته بأيام، وأوصاني بأن أعطيها لك إذا حصل له أي مكروه.

- يعني أن القتلة لم يحصلوا من عمك على تلك الأمانة؟ سأل نضال.

- ليس تمامًا، فلقد كان الملف الذي تركته أمك عنده يتكون من بحث علمي كبير، إضافة لورقة جانبية مكتوب عليها بعض الأمور المعقدة، ولضمان سلامة العم متولي وضعت السيدة عائشة خطة لتضليل كل من يفكر بالاستيلاء على الملف، فتركت عند عمي نسختين، نسخة تحتوي على البحث العلمي إضافة لتلك الورقة، ونسخة أخرى من البحث لا تحتوي على تلك الورقة، وأخبرته أن يخبأ النسخة التي تحتوي على الورقة في مكان آمن، وألا يتردد بمنح النسخة الأخرى لأي أحد يهدد حياته للحصول عليها.



- ولكن هناك أمر يحيرني، طالما أن أمي كانت بهذا الحذر، فلماذا لم تترك نسخة مزيفة أو ناقصة من بحثها بدلًا من النسخة الحقيقية، وبهذا تكون قد ضمنت عدم وصول البحث الحقيقي لأيديهم حتى وإن كشفوا مكان الحاج متولي؟! تساءل نضال.

- ماذا؟ هل توفيت السيدة عائشة أيضًا؟

- أجل، قتلتها عصابة الحشاشين الجدد، وهي نفس العصابة التي قتلت عمك، لذلك أرجوك أن تخبرني بكل ما تملكه من معلومات لكي أتمكن من الانتقام من هؤلاء المجرمين.

- طرحت نفس سؤالك على الحاج، وأجابني بأن السيدة عائشة أخبرته أن العصابة لديها من الإمكانيات والمعلومات ما سيمكنها من معرفة أمر التزييف، وأن اكتشافهم للبحث لن يشكل خطرًا طالما أنهم لم يحصلوا على الورقة، لذلك رأت أن تترك نسخة سليمة من البحث لديه لاعتقادها بأن من سيبحث عن الملف سيتركه بسلام بعد أن يحصل عليه، ولكن هؤلاء المجرمون استولوا على نسخة البحث وقتلوه بعدها دون أي رحمة أو شفقة! قال سعيد بغضب.

- وهل النسخة الأخرى من الملف التي تحتوي على الورقة

موجودة معك هنا؟ تساءل نضال.

- موجودة معي، ولكن ليس هنا، فقد طلب العم متولي مني إخفاءها في مكان آمن وتسليمها إليك في حالة إصابته بأي مكروه، وأخبرني بأنك ستأتي حتمًا إلى المكتبة، لذلك كنت أنتظر قدومك المرتقب إلى المكتبة منذ مقتل الحاج، وصرت أعمل طيلة اليوم فيها فقط لكي أتواجد هنا في حالة قدومك.

- أشكرك جزيل الشكر يا سعيد، لا أعرف كيف أعبر لك عن شكري لك وحزني لما أصاب عمك رحمه الله رحمة واسعة، آسف لما جرى له نتيجة لهذا الأمر الذي لا علاقة له به. قال نضال والتأثر واضح على صوته.

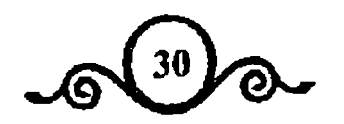
- لا عليك يا أخي، كان عمي متحمسًا جدًا لمساعدة أمك، وكانت أمك تعتقد أنها بتلك الخطة تضمن سلامته، وكما فهمت من العم متولي فإن البحث الذي قامت به السيدة عائشة به خير كثير للبشرية، ومن شأنه أن يعيد كتابة تاريخ الأرض، لذلك كان الحاج مستعدًا للتضحية بروحه من أجل ذلك، والآن وبعد مقتله من أولئك القتلة المجرمين، قررت أن أساعدك بأي شيء في سبيل الثأر منهم لمقتل عمي الطيب.

- أعدك أن أعمل أقصى طاقتي لكي ينال هؤلاء القتلة ما يستحقونه من عقاب، ولكن أخبرني يا سعيد، ماذا عن الرسالة الرقمية التي وجدت عند جثته؟ هل لديك فكرة عنها أيضًا؟ سأل نضال.

- أتقصد تلك الأرقام التي كانت على الحائط بالقرب من الجثة؟ لقد رأيتها عندما طلب مني المدير أنا وبعض الزملاء في قسم التنظيفات مسح الدماء من على أرضية الغرفة، وقبل أن يتم إغلاق الغرفة التقطت صورة لها على هاتفي المحمول، لا تقلق سأطلعك على ما جاء فيها وأخبرك بكل ما لدي من معلومات ولكن ليس الآن، فلا وقت لدينا لمناقشة كل هذه الأمور في هذا الوقت، فالشرطة في طريقها إلى المكتبة لاعتقالك!

- ماذا؟! الشرطة! ولكن لماذا؟! ما الذي قمت به ليتم اعتقالي! لقد وصلت للتو إلى مصر، فلماذا ترغب الشرطة في اعتقالي؟!

- استمع إلي جيدًا يا نضال، يبدو أن الشرطة لديها اعتقاد كبير بأن أمك متورطة بشكل من الأشكال في عملية قتل العم متولي وبقية الضحايا الذين تمت تصفيتهم خلال الأيام الماضية في مدينة



الإسكندرية، فجميع هؤلاء الأشخاص كانت أمك تتواصل معهم أثناء وجودها هنا، وعندما علم مدير المكتبة وجودك في المكتبة اتصل مباشرة بالشرطة، وأمرنا بأن نحرص على بقائك في المكتبة إلى حين قدوم أفراد الشرطة دون أن نحدث أي بلبلة بين زوار المكتبة.

كان عبد العزيز يستمع من بعيد إلى الحوار الذي كان جاريًا بين ذلك الشخص ونضال، وفي نفس الوقت كان يحدق بالناس من حوله خوفًا من انقضاض أحدهم على صديقه، قبل أن يوجه كلامه إلى ذلك الشخص قائلًا:

- المهم أخبرنا الآن يا أخ، كيف يمكننا أن نخرج من المكتبة؟ سأل عبد العزيز بصوت متوتر.

- مخرج المكتبة الرئيسي محاط بالحرس ومن المستحيل العبور من خلاله، وجميع المخارج الجانبية طلب المدير من العمال التأكد من إقفالها بإحكام، لم تبقَ لكما سوى طريقة واحدة للخروج، ولكنها طريقة خطرة!

- أرجوك أخبرنا ما هي هذه الطريقة. قال نضال.

- اعتدت أنا وبعض الزملاء على تنظيف سقف المكتبة المنحدر مرتين في العام، وما زلت أحتفظ بمفتاح الغرفة المؤدية



إلى السقف، بإمكاني أن أرشدكما إلى هناك، وإذا تمكنتما من المشي بحذر عليه يمكنكما الوصول إلى نهايته حيث بركة المياه المحيطة بالمكتبة، سيحتاج الأمر منكما إلى قليل من السباحة وبعدها ستكونان في مواجهة الطريق العام، وبعبوره ستكونان قد وصلتما إلى بر الأمان عند ساحل البحر الأبيض المتوسط بعيدًا عن أعين من يبحثون عنكما، ولكن الخطورة تكمن في كون سقف المكتبة شديد الانحدار، وأي حركة غير محسوبة من شأنها أن تعرضكما إلى انزلاق حاد قد يؤدي إلى الوفاة المباشرة أو التعرض إلى كسور خطيرة في أفضل الأحوال، أحد زملائي ما يزال يعاني منذ أشهر من كسرٍ في ظهره نتج عن انزلاقه أثناء تنظيفه للسقف، للأسف لن أستطيع مرافقتكما هناك، فيجب علي تسجيل خروجي من المكتبة بشكل نظامي كي لا أثير الشكوك نحوي وينكشف أمرنا جميعًا، ولكني سأخرج من البوابة الرئيسية بشكل طبيعي وسأكون بانتظاركما عند شاطئ البحر المقابل للمكتبة، وهناك سأطلعكما على ما لدي من معلومات.

- ليس لدينا طريق آخر يا سعيد، فنحن لا نملك الكثير من الوقت لنقضيه في التحقيقات إلى حين إثبات براءة أمي من هذه

الجرائم، فهناك مهمة عاجلة ينبغي إنجازها في أسرع وقت، أرجوك قدنا إلى الباب المؤدي إلى السقف.

- حسنًا، اتبعاني وكونا هادئين!

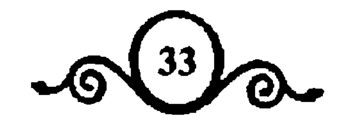
بدأ سعيد بالتنقل بين ردهات المكتبة ونضال وعبد العزيز يتبعانه، حتى وصل إلى قاعة القراءة العلوية حيث الباب المؤدي إلى السقف، وهناك توقف سعيد خلف صف من الكتب، ونظر إلى نضال وعبد العزيز وقد بدا الانزعاج واضحًا عليه، وقال بصوت هامس:

-القاعة مليئة بالقراء والحرس، والهدوء يعم المكان، وأي حركة خلال القاعة سيلاحظها الحرس.

-وما العمل إذا يا سعيد؟ سأل نضال.

- خذ يا نضال هذا المفتاح، هل ترى ذلك الباب المقابل لنا؟ إنه الباب المؤدي إلى السقف، انتظرا هنا ولا تتحركا حتى أقوم بتشغيل جرس إنذار الحرائق الموجود على الجانب الأيمن للقاعة، وعند انطلاق جرس الإنذار ستدب الفوضى في أرجاء القاعة، عندها تحركا بسرعة نحو الباب واعبرا من خلاله إلى السقف.

تحرك سعيد بهدوء نحو الجانب الأيمن للقاعة الكبيرة، وأخذ

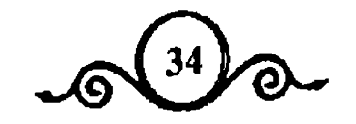


نضال وعبد العزيز يراقبانه بنظريهما، وبالفعل ضغط سعيد على مفتاح جرس الإنذار، ولكن شيئًا لم يحدث، فعاود سعيد الضغط على المفتاح لمرات متكررة دون أن ينطلق أي صوت في قاعة المكتبة، فنظر سعيد إلى نضال وعبد العزيز وأخذ يهز رأسه بحزن، لم يفهم الصديقان سبب عدم انطلاق جرس الإنذار، هل قام المدير بإغلاق جميع مفاتيح الإنذار خوفًا من استخدامها للهروب؟ أم أن جرس الإنذار لا يعمل بالأساس في المكتبة؟ وبينما كان نضال مصدومًا من هذه المفاجأة غير السارة، تحرك عبد العزيز نحو مركز قاعة القراءة حيث يجلس عشرات القراء بهدوء.

- إلى أين أيها المجنون؟ ستكشف أمرنا! صاح نضال بعبد العزيز في صوت هامس.

ولكن عبد العزيز لم يلتفت لنضال، وواصل تحركه حتى منتصف القاعة، بينما أخذ نضال وسعيد يتابعانه بتعجب، فجلس عبد العزيز على أحد المقاعد، قبل أن يقوم منه بسرعة وهو يصيح بصوت عال هز أرجاء القاعة:

- قنبلة! إنها قنبلة! انجوا بأنفسكم!



وما أن أطلق عبد العزيز تحذيره، حتى قام جميع القراء من أماكنهم بسرعة البرق، وأخذوا يصيحون ويتدافعون في كل الاتجاهات، ودبت الفوضى العارمة في أرجاء القاعة، وأسرع الحرس إلى السلالم في محاولة لمنع تدافع الناس فوق بعضهم البعض، بينما كان نضال يشاهد ذلك المشهد السريالي ودماغه شبه مشلولة من هول ما قام به صديقه.

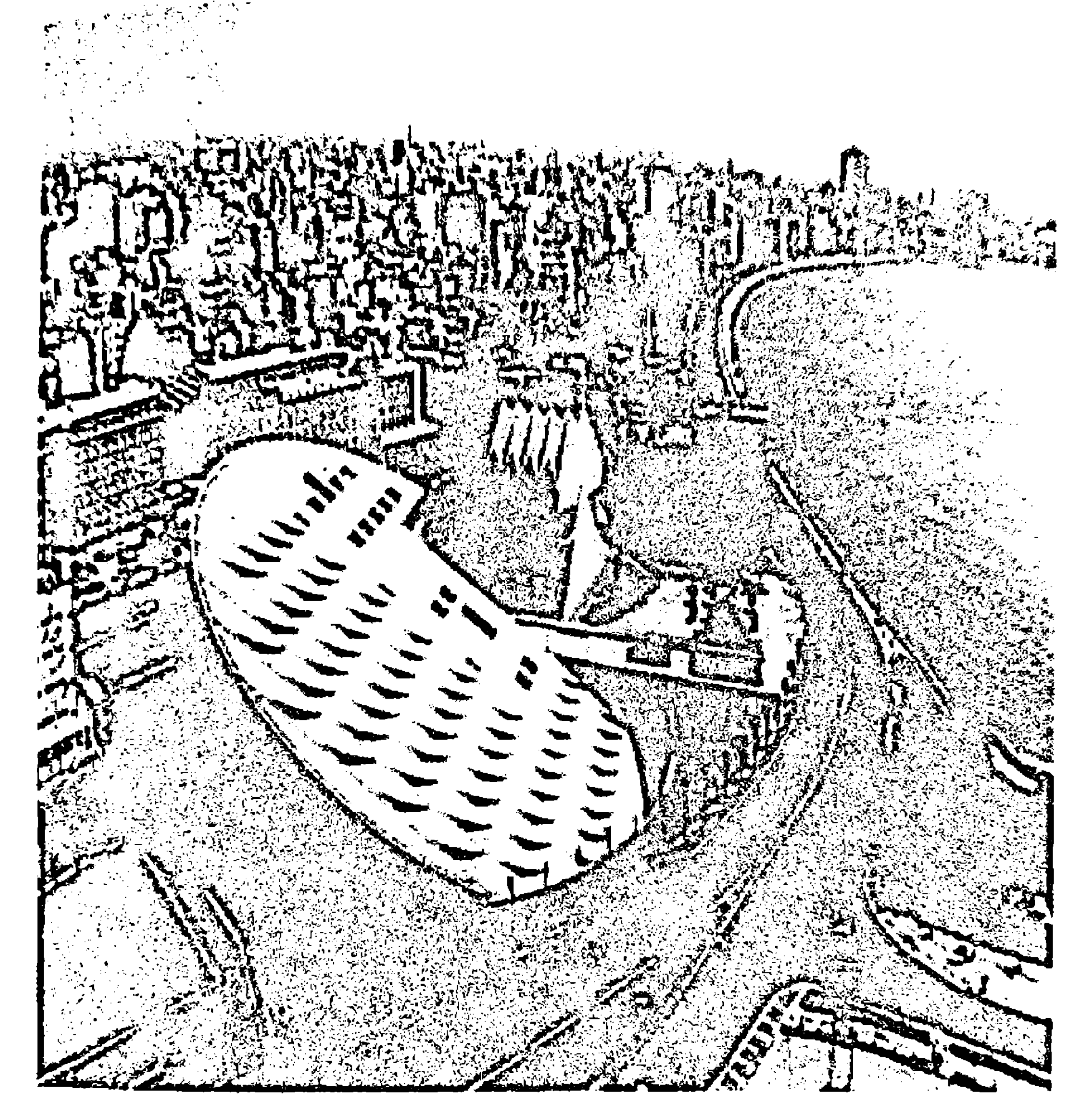
- هيا يا نضال، تحرك! صاح عبد العزيز وهو يمسك بيدَ نضال.

فانطلق الصديقان بسرعة حتى وصلا إلى الباب المؤدي إلى السقف، وفتحا الباب بالمفتاح الذي أعطاهما إياه سعيد، ليجدا نفسيهما على سقف المكتبة المنحدر.

- انتبه لخطواتك يا نضال، السقف شديد الانحدار.

- عبد العزيز أعتقد أن المشي على هذا السقف المنحدر ليس خطرًا وحسب، بل سيكون بطيئًا جدًا، وسينكشف أمرنا قبل وصولنا إلى نهايته، علينا الانزلاق بدلًا من المشي عليه!

- ماذا؟ ننزلق على سطح السقف؟! ولكن كيف؟



- انظر إلى تلك «الكراتين» الفارغة على جانب الباب، افرد «كرتونة» واحدة منها واجلس على ركبتيك فوقها، وارفع رأسك واستند على يديك، واختر مسارًا جيدًا للانزلاق بحيث تتجنب الاصطدام بنوافذ المكتبة، وسأقوم أنا بنفس الأمر، وعندما أعد للثلاثة انطلق!

وبعد أن استعد عبد العزيز ونضال للانزلاق، بدأ نضال بالعد:

- واحد، اثنان، ثلاثة... انطلق! صاح نضال بصوتٍ يغمره الحماس.

فانزلق نضال بسرعة على سقف مكتبة الإسكندرية، وانزلق بجانبه عبد العزيز متأخرًا عنه بقليل، وكانت سرعة انزلاق الصديقين تتزايد مع كل ثانية يقتربان بها من نهاية السقف، وكان عبد العزيز أثناء انزلاقه يصرخ بسعادة من شدة الإثارة، بينما كان نضال صامتًا.

- كيف خطرت على بالك هذه الفكرة المجنونة؟ صاح عبد العزيز وهو يضحك وينزلق بسرعة فائقة..

- تعلمتها من ملاحقتي للقطط!

- ماذا تقول؟ لم أسمع جيدًا!

- من القطط! أجاب نضال بصوت عالٍ وهو يغمض عينيه مبتسمًا أثناء انزلاقه، وكأنه يتذكر أمرًا ما!

القطط

كان نضال طفلًا غريبًا بعض الشي، فقد كانت لديه بعض الهوايات الغريبة، ومن بين تلك الهوايات برزت هوايته في ملاحقة الحيوانات المشردة، فكان يلاحق الكلاب والقطط التي كانت تعيش في شوارع مدينته حتى يكتشف الأماكن الخفية التي كانت تعيش فيها، وكانت بدايته مع ملاحقة القطط، فكان يشعر بإثارة كبيرة أثناء ملاحقتها أسفل السيارات، وفوق أسطح المنازل المهجورة، وفي أقبية العمارات المظلمة، وخلال ملاحقاته لتلك القطط أيام طفولته تعلم الكثير من أساليب البحث والمراقبة والتخفي، وتعلم أيضًا الصبر،

فقد كان نضال يحاول قدر المستطاع ملاحقة القطط بحذر دون أن يشعرها بتحركاته، لذلك كان يمضي في بعض الأحيان ساعات طويلة من أجل اكتشاف مكان سكن قطة واحدة، فكان يلاحقها أثناء تنقلاتها في كل مكان، يختبأ خلالها تحت السيارات العاطلة، ويتسلق الأسوار العالية، ويقفز بين أسطح العمارات المتقاربة، وينزلق خلفها على أسقف المنازل المائلة، وفي نفس الوقت كان نضال يتعلم من تلك القطط أمورًا كثيرة، خاصة في مجال فنون البقاء الذي تتقنها القطط بشكل خاص، وصار يدرك سر المقولة الشهيرة بأن القطط تمتلك سبعة أرواح، فالقطة بطبيعة الحال لديها روح واحدة، ولكنها تتميز عن غيرها من المخلوقات ببراعتها في الحفاظ على تلك الروح، ليس لأن المصاعب أو المخاطر التي تواجهها في حياتها أقل من تلك التي يواجهها غيرها من الحيوانات، بل لأنها تمتلك قدرة فطرية على التكيف مع تلك المصاعب والمخاطر، فالقطط على سبيل المثال تمتلك قدرة فائقة على الرؤية في الظلام تفوق مجال رؤية الإنسان بعشرات المرات، وتمتلك القطط أيضًا مهارة كبيرة على السقوط من الأماكن المرتفعة دون أن تؤذي نفسها، فعندما تقفز القطط أو تسقط من مكان مرتفع فهي إما أن تستخدم نظرها القوي لتحديد المسافة المتوقعة للوصول إلى الأرض، أو تستخدم لذلك جهازها الدهليزي

(نظام التوازن الموجود في الأذن الداخلية للقطط وكثير من الثدييات)، وهذا ما يتيح لها الالتفاف بجسمها بحيث تسقط على أقدامها بدلًا من السقوط على ظهرها أو رأسها، وهو ما يسمى علميًا بـ «ردة الفعل التعديلية للقطط» «Cat righting reflex»، هذه الميزة العجيبة التي تتميز بها القطط استفاد منها نضال كثيرًا في حياته، فأثناء تأمله لسقوط القطط، أدرك بأن الخطورة لا تكمن في سقوط الإنسان، فكل إنسان معرض للسقوط في تجربة من التجارب العديدة التي يخوضها في حياته، ولكن الخطورة تكمن في مدى تعامل الإنسان مع هذا السقوط، فإما أن يتحكم الإنسان في سقوطه بحيث يقف على قدميه بعدها ليستمر في مسيرة حياته ويحاول من جديد، أو يستسلم ويترك نفسه للسقوط لكي يتحكم هو فيه ليحطمه ويقضي عليه وينهي مسيرة حياته إلى الأبد، لقد تعلم نضال من القطط في ذلك العمر المبكر الحكمة التي سترافقه طيلة حياته، وهي أن:

«السقوط في حد ذاته ليس كارثة، الكارثة هي عندما تسمح أنت لذلك السقوط أن يحطمك!»



الرسالة الرقمية

- كما توقعت إنها رسالة تهديد من العصابة التي قتلت الحاج متولي! قال نضال وهو يتفحص صورة الرسالة الرقمية من هاتف سعيد المحمول.

- ماذا؟ ولكنها مجرد أرقام بسيطة لا تحمل أي معنى! ثم إن عمي عليه رحمة الله هو الذي كتب هذه الأرقام بدمه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة! قال سعيد وهو يمشي مع نضال وعبد العزيز على رمال شاطئ الإسكندرية.

- كلا يا سعيد، هذه رسالة تهديد مباشر موجهة من العصابة التي قتلت عمك.

- تهديد موجه إلى من بالتحديد؟ سأل عبد العزيز.

- تهديد موجه إلي أنا! أجاب نضال.

- ولكن كيف عرفت ذلك من مجرد أرقام بسيطة؟! تساءل سعيد بتعجب.



- حسنًا، تمعنا جيدًا في هذه الأرقام، هذه الأرقام جزء من «متتالية فيبوناتشي»!

- أتقصد «ليوناردو فيبوناتشي» عالم الرياضيات الإيطالي الشهير؟ قال سعيد مقاطعًا.

توقف نضال عن الحديث، وأخذ ينظر في وجه سعيد باستغراب، وقام عبد العزيز بنفس الأمر، ففهم سعيد سر استغرابهما، فقال وهو يبتسم:

- لا تستغربا كثيرًا من معرفة عامل تنظيفات بسيط بمثل هذه الأمور، فقد كنت يومًا ما تلميذًا مجتهدًا في المدرسة، وكنت أهوى القراءة والمطالعة منذ نعومة أظافري، وكنت كباقي الأطفال أحمل أحلامًا للمستقبل، وكان حلمي أن أكون مهندسًا بحريًا لكي أعمل على تطوير مدينتي الإسكندرية، ولكن ظروفي الصعبة هي التي اضطرتني أنا وكثير من أبناء جيلي إلى عدم مواصلة التعليم، لذلك تركت التعليم في آخر سنة دراسية، فلم يكن بمقدوري دفع مصاريف الدروس الخصوصية مثل بقية الطلاب، وبالنسبة لنا فإنه من شبه المستحيل النجاح وتحصيل معدل جيد في شهادة الثانوية العامة دون أخذ دروس خصوصية مكلفة لا تقدر عليها العائلات

الفقيرة مثل عائلتي، لذلك فقد اختصرت الطريق وتركت الدراسة واتجهت إلى العمل في ميناء الإسكندرية لكي أساعد عائلتي، خاصة مع الإصابة التي أقعدت والدي المسن عن العمل كحمال في الميناء بعد إصابته بانزلاق غضروفي ناتج عن الأحمال الثقيلة التي كان يحملها على ظهره، وبدلًا من العمل كمهندس بحري في ميناء الإسكندرية كما كنت أحلم، ورثت عن أبي مهنته كحمال، وربما أورثها أنا لابني في المستقبل، فهكذا تجري الأمور في هذه المدينة البائسة، إذا لم تكن ابنًا لشخص غني أو مسؤول، فمن الصعب أن تحقق أحلامك!

- لا عليك يا سعيد، فما زلت شابًا، والمستقبل أمامك، وبإمكانك العمل والدراسة في نفس الوقت. قال نضال وهو يضع يده على كتف سعيد.

- فكرت بهذا الأمر بالفعل، ولكن مهنتي كحمال لم تكن كافية لإعالة عائلتي وشراء الأدوية لأبي المريض، لذلك عدلت عن فكرة الدراسة بشكل نهائي، وأخذت أبحث عن عمل آخر في الفترة الصباحية التي لا أعمل فيها في الميناء، وكم كانت سعادتي كبيرة عندما وجد لي عمي متولي وظيفة في مكتبة الإسكندرية كعامل

للنظافة، فحبي للمطالعة والقراءة لـم ينقطـع أبـدًا، وعملـي في المكتبة أتـاح لـي قـراءة العديـد مـن الكتـب في أوقـات الاسـتراحة، ومـن بين الكتب التي استمتعت بقراءتها في المكتبة هو كتاب ليناردو فيبوناتشي الشهير «كتاب الحساب»، فقد كان هذا الكتاب بالنسبة لي...

كان سعيد يسترسل في كلامه قبل أن يقاطعه عبد العزيز قائلًا:

- المعذرة يا أخ سعيد، قصة كفاحك مؤثرة للغاية، ولكن كما تلاحظ فنحن نمشي بجانبك وملابسنا مبتلة بعد أن سبحنا في البركة الصناعية المحيطة بمكتبة البلدية بناء على خطتك الذكية، وكما أخبرتنا أنت فإن الشرطة تبحث عنا، لذلك يفضل أن تؤجل رواية قصة حياتك علينا وتعطينا بدلًا عن ذلك الأمانة التي تملكها لكي نتمكن من السفر بسرعة قبل إلقاء القبض علينا!

- من هـذا الشـخص المجنـون الـذي ترافقـه يـا نضـال؟ لـم يخبرني العم متولي شيئًا عنه؟ سأل سعيد وهو يشير بيده بغيظ نحو عبد العزيز.

ابتسم نضال ثم قال لسعيد:

- هذا صديقي المغربي عبد العزيز، وبالمناسبة هو شخص طيب للغاية، ولكن لسانه سليط بعض الشيء.



- مغربي؟ مرحبًا بك في مصر! لا بد أنك تتذكر هدف محمد أبو تريكة الجميل في نادي المغرب الفاسي؟ قال سعيد بابتسامة ساخرة.

- أبو تريكة لاعب خلوق ونحبه في المغرب كثيرًا، وهدفه كان جميلًا بالفعل، ولكن لم يكن بجمال هدف مصطفى حجي في منتخبكم في بطولة كأس الأمم الأفريقية عام 1998، لا بد أنك تتذكر جيدًا ذلك الهدف الطائر وتلك المباراة الجميلة التي هزمناكم فيها؟

- ألم أحذرك من سلاطة لسانه؟ قال نضال لسعيد وهو يبتسم.

- نضال دعك من لساني الآن وأخبرني، أليس هذا العالم الإيطالي هو نفسه الشخص الذي حدثتني عنه أثناء رحلتنا في «لغز بربروسا»؟ لقد نسيت كل شيء يتعلق به، بالكاد أتذكر اسمه! قال عبد العزيز.



- نعـــم، هـــو نفســـه ليونـــاردو فيبوناتشـــي « Leonardo Fibonacci» أحد أشهر علماء الرياضيات في تاريخ البشرية، وهو العالم الذي غيرٍ من مجرى التاريخ في الغرب وتاريخ الأرض بشكل عام بعد أن نقل إلى أوروبا الأرقام التي بنيت على أساسها الحضارة الغربية الحديثة، والمعروفة بـ «الأرقام العربيـة» « Arabic numerals»، وبالرغم من أن هذا العالم الإيطالي ولد في مدينة «بيزا» الإيطالية عام 1170م، إلا أنه عاش قسمًا كبيرًا من حياته في مدينة «بجاية» الجزائرية التي كانت كغيرها من مدن العالم الإسلامي متقدمة في العلوم التطبيقية الحديثة، وتلقى تعليمه هناك على أيدي عدد كبير من العلماء المسلمين الكبار الذين عاشوا في هذه المدينة الجزائرية، من أمثال عبد الحق الإشبيلي، وابن حمد،

والعالم المعروف بسيدي بومدين، وأبي حميد الصغير، وتنقل في ذلك الوقت بين مدن عديدة في تونس والجزائر والمغرب مرافقًا أباه الذي كان يعمل كمسؤول لتجارة بيزا مع المسلمين في شمال أفريقيا، وفي تلك الفترة تبلورت في عقل فيبوناتشي فكرة كتابه الذي أحدث ثورة فكرية في أوروبا عند نشره، كتاب «ليبر أباتشي» «Liber Abaci»، أو «كتاب الحساب».



وقـد بـدا واضـحًا في هـذا الكتـاب مـدى تـأثر فيبوناتشـي بعلـوم المسلمين، لدرجة أنه حرر قسمًا منه من اليمين إلى اليسار كالكتب العربية، ومع إصدار هذا الكتاب قام فيبوناتشي بتعريف الأوروبيين على أنظمة الحساب المتقدمة لـدى المسـلمين، الأمـر الـذي شـكل صدمة لأوروبا التي كانت غارقة في ظلام العصور الوسطى، ومنذ ذلـك التـاريخ بـدأت الأرقـام العربيـة التـي طورهـا المسـلمون عـن الهنود تحل محل الأرقام الرومانية المعقدة التي كانت تشكل عائقًا للتطور الحضاري في أوروبا، ومازالت هذه الأرقام العربية تستخدم إلى يوم الناس في جميع التعاملات التجارية الدولية، وفي الأبحاث العلمية المتقدمة، وفي أبسط تعاملات الناس اليومية.

Arabic numerals

0123456789

- هذا كله جميل، ولكن أرجوك ادخل مباشرة في الموضوع، ما علاقة هذا العالم بهذه الأرقام؟! سأل عبد العزيز.



-حسنا يا عبد العزيز، هل تتذكر ما أخبرتك به سابقًا عن «متتالية فيبوناتشي»؟

- كل ما أتذكره ما أخبرتني به بأن تلك الأرقام تكون مرتبة بطريقة معينة، ولكني لا أتذكر كيفية ذلك الترتيب! أجاب عبد العزيز.

- صحيح، «المتتالية» ويطلق عليها أيضًا «المتتابعة» أو «المتوالية» أو «التناسب»، هي مجموعة من العناصر المرتبة بنمط محدد وله معنى، بحيث يكون كل عنصر له علاقة بالعنصر الذي يليه، ويرتبط معه بنظام محدد، حيث يكون ترتيب أعضاء المتتالية محددًا تمامًا ومميزًا، و«متتالية فيبوناتشي» «Fibonacci sequence» مثال على ذلك، فقد رتب فيبوناتشي الأرقام في متتاليته بحيث يكون كل رقم هو مجموع الرقمين السابقين له، فإذا ما اعتبرنا أن أول رقم هو 1، فالرقم الثاني هو أيضًا 1 لأنه مجموع الرقمين السابقين له وهما 1 و0، والرقم الثالث في هذه المتتالية هو 2 لأنه مجموع الرقمين السابقين له وهما 1 و 1، وهكذا دواليك في بقية أرقام المتتالية، كل رقم هو مجموع الرقمين السابقين: 0، 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، 34، 55، 89، 144، ويستمر هذا النظام إلى ما لا نهاية.



The Fibonacci Sequence

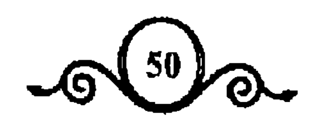
1,1,2,3,5,8,13,21,34,55,89,144,233,377...

1+1=2	13+21=34
1+2=3	21+34=55
2+3=5	34+55=89
3+5=8	55+89=144
5+8=13	89+144=233
8+13=21	144+233=377

- ولكن في هذه الحالة يا نضال تكون الأرقام التي وجدت عند جثة عمي ناقصة ولا تمثل جزء من متتالية فيبوناتشي، فهناك رقم ناقص، وهو الرقم ١، فالأرقام ينبغي لها أن تكون على الشكل 0 1 1 2 3 لكي تكون متتالية فيبوناتشي!

- كلامك صحيح يا سعيد، هناك رقم ناقص، أي أن الرسالة في حد ذاتها تمثل لغزًا، وهو ما دفعه لكتابة هذه الرسالة على شكل لغز رقمي.

- مع احترامي لك يا أخ نضال، على افتراض صحة تحليلك للأرقام، وأنها لغز بالفعل، كيف عرفت أنك أنت المقصود بهذا اللغز؟! تساءل سعيد.



- لعدة أسباب يا سعيد، أولًا وقبل كل شيء الحاج متولي كان يحتفظ بالأمانة التي أخفتها أمي عنده، ومن المرجح أن من قتلوه يعلمون، أو على الأقل يشكون، بأنني سأكون هنا قريبًا لاستلام الأمانة، الأمر الثاني نوعية كتابة الرسالة على شكل لغز، وهو ما يدل على أن من كتبها يعرفني بشكل جيد!

- أتقصد أن وضع هذه الرسالة الرقمية يعرف اهتمامك بعالم الألغاز وتخصصك الأكاديمي في دراسة علم الرموز «Symbology»؟

- هذا صحيح، يبدو أنهم علموا من أمي كل شيء عني.

- ولكن هل كتابة الرسالة بالدماء، وجعل الرسالة على شكل لغز هو الأمر الذي أوحى لك بأن هذه الرسالة رسالة تهديدية موجهة لك شخصيًا؟ تساءل عبد العزيز.

- هذه كلها مؤشرات قوية، ولكن الأرقام نفسها تحمل تهديدًا مباشرًا لي بالقتل!

أخذ عبد العزيز يحدق بصورة الأرقام للحظات، محاولًا فهم ما يقصده نضال، ثم قال:

- أنا لا أرى أمامي سوى أربعة أرقام لا تحمل أي معنى 0123، ووفقًا لتحليلك هناك رقم آخر ناقص هو الرقم 1 الناتج

عن متتالية العالم الإيطالي الذي تحدثت عنه، وهذا الرقم لا أرى فيه أي شيء لافت للانتباه.

ابتسم نضال ثم قال:

-صديقي العزيز عبد العزيز، يبدو أنك نسيت ما أخبرتك به سابقًا أثناء حلنا للغز بربروسا! كل إنسان منا يرى الأشياء بمرآته الخاصة، فما تراه أنت ليس بالضرورة ما أراه أنا، وما أراه أنا ربما لا تراه أنت، بمعنى أن الشيء الواحد قد نراه بعدة أشكال مختلفة تبعًا لتجاربنا الخاصة ومعارفنا المتعددة وقناعاتنا المتباينة وزاوية الرؤية التي يستخدمها كل واحد منا للنظر إلى نفس الشيء، نحن نرى الأشياء كما تريد عقولنا أن تراها يا صديقي!

-وماذا ترى أنت في هذا الرقم؟ عفوا... ماذا يرى عقلك؟ سأل عبد العزيز بابتسامة ساخرة.

-عقلي يرى أن هذه الرسالة موجهة لي أنا بالتحديد، فلو بدأت هذه الأرقام بالرقم الناقص وهو الرقم 1، تكون أول ثلاثة أرقام هي 101!

كان سعيد يستمع بذهول لكلام نضال الأخير دون أن ينطق بأي كلمة، قبل أن يكسر صمته موجهًا سؤاله لنضال بصوت خافت



تملؤه الدهشة:

-وماذا عن معنى الرقم المتبقي 23؟ هل به أي دلالة على تهديد؟

صمت نضال للحظة، ثم أخذ نفسًا عميقًا وقال:

-الرقم 23 هو التهديد الحقيقي! إنه رمز الموت والحياة في هذه الرسالة!!!



العمة خديجة

بالرغم من افتقاد نضال لوالديه منذ صغره، فإنه كان يجد في عمته الرقيقة خديجة الحضن الدافئ الذي كان يعوضه عن عطف أبيه وحنان أمه، وكانت خديجة بدورها تعتبر نضال ابنها الذي لم تلده، خاصة وأنها لم تكن تنجب أطفالًا، إلا أن زوجها أنور كان على النقيض منها، فقد كان لسبب ما يكره وجود نضال، ويعامله بقسوة وغلظة، وحاول مرارًا إقناع زوجته بوضعه في دار للأيتام، إلا أنها كانت ترفض هذه الفكرة من الأساس، وهددته بطلب الطلاق إذا ما فكر بإبعاد نضال عنها، فتقبل على مضض وجود نضال في المنزل، خاصة وأنه يعلم أن زوجته هي التي تملك ذلك المنزل، وأنها هي التي تنفق على نضال من مالها الخاص والمال الذي تركه له والداه، وأنها على استعداد تام لترك زوجها والعالم بأسره من أجل العناية بابن أخيها اليتيم.

خديجة لم تكن تعامل نضال كعمة، بل كانت تعامله كصديقة، وكانت هي تمثل بالنسبة له حياته كلها، فقد كان نضال

يجد صعوبة بالتفاعل مع الأطفال الآخرين، ويفقد تركيزه عندما يتحدث معه أحد من الناس، وكانت خديجة الإنسانة الوحيدة التي كان يشعر معها براحة نفسية لا يشعرها مع أحد من البشر، فقد كانت تفهمه من نظرات عينيه دون أن يتحدث بأي كلمة، وكان هو يشعر بحزنها الدفين الذي تحاول أن تكتمه عنه، فقد كان يعلم أنها لم تكن سعيدة في حياتها مع زوجها أنور الذي كان ابن خالتها في نفس الوقت، ولكنها لم تكن تظهر ذلك لنضال، وكان هو بدوره لا يشعرها أنه كان يعلم كل شيء، وكان الاثنان يمضيان وقتًا طويلًا في التحدث مع بعضهما البعض حول كافة المواضيع دون أن يشعر أي واحد منهما بالملل، وكان نضال يقصد عمته في كل مشكلة تعترضه في حياته، وكانت هي تقدم له نصائحها الحكيمة التي أثرت في تكوين شخصيته المميزة، وكانت خديجة دائمًا ما تقابله بابتسامة مشرقة عندما كان يأتيها ليشكو لها باكيًا المصاعب التي كانت تعترض طريقه في الحياة، فكانت تضمه إلى صدرها وتمسح دموعه بكفها الرقيق لتقول لي بكل طمأنينة:

لا تحزن، فكل شيء سيصبح على ما يرام، وقدر الله كله خير، حتى ولو لم تكن أنت ترى هذا الخير في بداية الأمر، فحتمًا ستراه



في يوم من الأيام، واعلم أن أشد أوقات الظلام هو الوقت الذي يسبق ظهور الفجر، وأن الليالي مهما طالت لن تدوم، وتذكر قول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)﴾.

كانت كلمات خديجة تبث الأمل والطمأنينة في قلب نضال، وكان ينسى كل أحزانه بمجرد سماع صوتها، وعادة ما كان يتصل بها وهو في غربته عندما كان يشعر بالحزن لأي سبب من الأسباب، وكان مجرد سماع صوتها يذهب عنه كل أحزانه وهمومه.

وكان أصعب أيام نضال في حياته هو اليوم الذي اتصل فيه زوج عمته أنور ليبلغه برحيل عمته خديجة نتيجة حادث مروري، في تلك اللحظة أصيب نضال بحالة من الصدمة الشديدة أفقدته القدرة على التفكير بأي شيء، وأحس بأن دماغه على وشك الانفجار من شدة الضغط الذي أصابه، وبعد ذلك فقد نضال الشعور بالعالم الخارجي تمامًا، الشيء الوحيد الذي كان يسمعه بوضوح كان صوت دقات قلبه وهي تتباطأ بشكل مضطرد، ليجثم بعدها على ركبتيه بعد أن فقد السيطرة عليهما، منتظرًا توقف دقات

قلبه بعد أن فقد القدرة نهائيًا على التنفس، في تلك اللحظة بالتحديد، رأى نضال ابتسامة عمته الرقيقة، وتذكر حضنها الدافئ الذي عوضه عن حضن أمه الذي فقدها صغيرًا، وتذكر كيف كانت عمته تحثه دائمًا على الاستمرار في طريق الحياة وهي تقبض بكف يدها مشيرة إليه بأن يكون قويًا صلبًا، فتذكر ما كانت تقوله له في مثل تلك الظروف: لا تحزن، فكل شيء سيصبح على ما يرام، وقدر الله كله خير، فرجعت الحياة إلى قلب نضال من جديد، وقرر أن يصبر على فراق عمته، التي علم فيما بعد أن الحشاشين الجدد هم من نفذوا عملية اغتيالها بتلك الطريقة بعد رفضها الإفصاح عن معلومات تدلهم على مكان أمه.



سر الرقم 23

- لم أسمع أبدًا في حياتي أن الرقم 23 يحمل أي معنى من المعاني! فهل ما تقوله لنا مبني على حقائق ومعلومات؟ أما أنه مجرد تحليل شخصي خاص بك؟! تساءل عبد العزيز وقد بدت الحيرة على ملامحه.

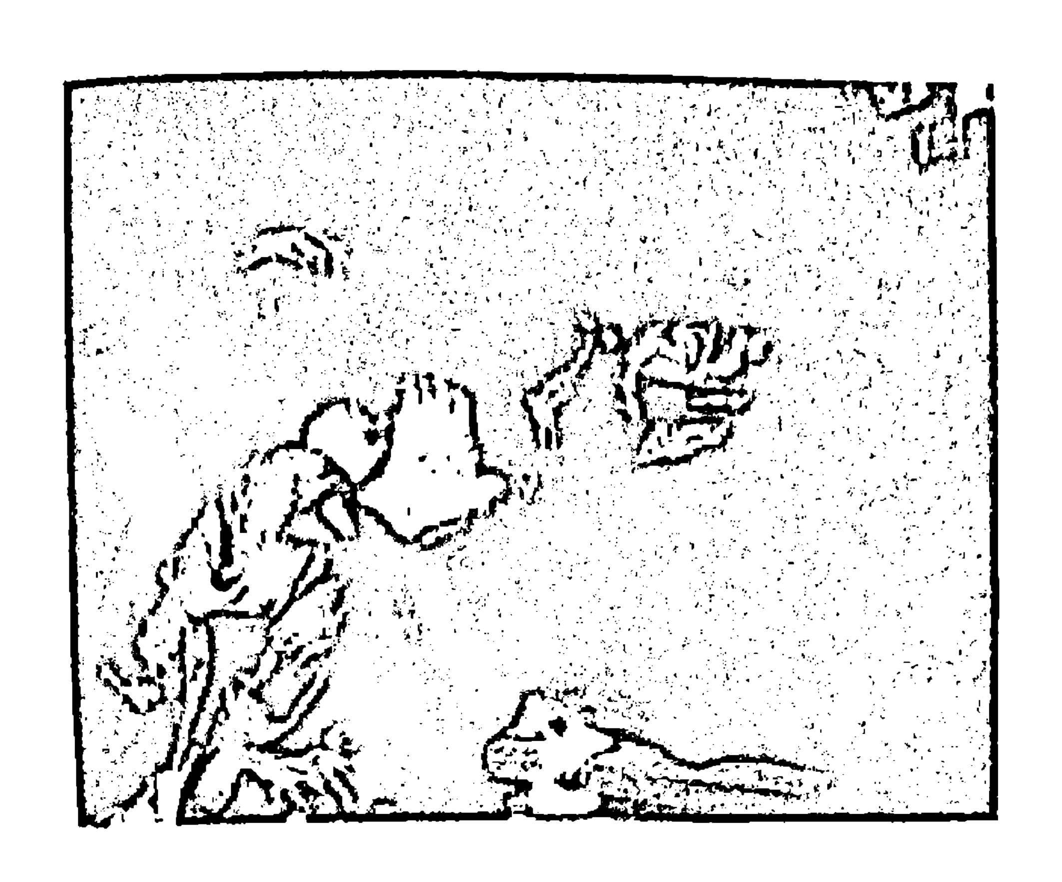
- حسنًا، استمع إلي جيدًا، كل ما سأقوله الآن ليس بالضرورة اعتقادًا خاصًا بي، وإنما هو تحليل لظاهرة موجودة على أرض الواقع، فهناك الكثيرون ممن يؤمنون بعلاقة الأرقام بالأمور التي تجري من حولهم، ففي الوقت الذي يعتبر فيه البعض الرقم 7 هو رقم الحظ، والرقم 13 هو رقم النحس، فإن الرقم 23 مشهور لدى الكثيرين بأنه رقم مرتبط بحوادث «الحياة والموت» في لغة الرموز.

- لغة الرموز؟! تساءل سعيد.

- نعم يا سعيد، فالمنظمات السرية والجمعيات الدينية التي تعمل في الخفاء ووكالات المخابرات العالمية عادة ما تستخدم الرموز في كثير من تعاملاتها، فطبيعة عملها السرية تحتم عليها استخدام لغة مشفرة مكونة أساسًا من الرموز، فالرموز يمكن لها توفير الكثير من الجهد والوقت لإيصال الرسالة المراد توجيهها، أي أن الرمز الواحد يمكن أن يختصر كثيرًا من الكلمات والجمل والمعاني المراد إيصالها، والأرقام من أشهر الرموز التي يتم استخدامها من تلك الجهات.

- ولكن على أي أساس اعتبر هؤلاء أن الرقم 23 رمز للحياة والموت؟ سأل عبد العزيز.

- هناك أمور تاريخية عديدة، بعضها وقع حقيقة، وبعضها مبني على نظرية المؤامرة، رسخ هذا الاعتقاد لدى من يؤمنون بطبيعة هذا الرقم، فعلى سبيل المثال، يوليوس قيصر أول إمبراطور روماني في التاريخ، المعروف تاريخيًا أن موته كان عن طريق اغتياله بطعنه 23 طعنة!



- ولكن هذه الحادثة لا تكفي لربط هذا الرقم بالموت! قال عبد العزيز.

- اصبر قليلًا يا صديقي، الرقم 23 تكرر بعد ذلك بشكل عجيب في كثير من الأمور التي تتعلق بالحياة والموت، فعلى سبيل المثال اكتشف العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون من 23 زوجًا من الكروموسومات، وأن تكون الجنين يبدأ مع تشكل 23 زوجًا من الكروموسومات، نصفها من الأب ونصفها الآخر من الأم، ومن المعروف أيضًا أن دورة الجسم الحيوية تتكون من 23 يومًا، وإذا أردت أن تربط هذا الرقم بأحداث التاريخ فمن الثابت تاريخيًا أن الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ توفي بعد 23 عامًا من

بعثته، والأديب الإنجليزي الأشهر وليام شكسبير من المعروف على نطاق واسع أن ميلاده كان يوم 23 أبريل 1564، وأن يوم وفاته كان في 23 أبريل 1616، أضف إلى ذلك أن لاعب كرة القدم الكاميروني مارك فيفيان فويه الذي توفي أثناء لعبه في كأس القارات عام 2003، ولا يخفَ عليك تشابه الرقم 2003 بالرقم 23، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا اللاعب كان يحمل الرقم 23 في فريق مانشستر سيتي الذي كان يلعب لصالحه وقت موته، وعلى حسب معلوماتي امتنع فريق مانشستر سيتي عن إصدار قمصان بهذا الرقم منذ ذلك التاريخ، البعض يذهب في تحليلاته إلى أبعد من ذلك، فاعتبروا أن للرقم 23 علاقة بالسنة التي أصدر فيها عالم الأحياء الشهير داروين كتابه الذي تحدث فيه عن أصل الحياة ونظرية التطور، فجمعوا أرقام تلك السنة 1859 ليخرجوا منها بالرقم 23، والبعض ذهب إلى أبعد من ذلك، فاعتبروا أن من قاموا بأحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية اختاروا ذلك التاريخ لارتباطه بالرقم الرمزي 23، فمجموع أرقام اليوم والشهر والسنة والألفية التي وقعت به تلك الأحداث في تاريخ 11-9-2001 هي 23، وحتى في الأدب والسينما الأمريكية، فإن

الأرقام التي يستخدمها صناع الأفلام في هوليوود، عادة ما يكون للرقم 23 نصيب كبير فيها، حيث يتكرر هذا الرقم كثيرًا في أفلام الكوارث والأمور المتعلقة بالحوادث والموت!

- وهل تعتقد فعلًا بارتباط الرقم 23 بالحياة والموت يا نضال؟ تساءل عبد العزيز.

- شخصيًا لا أؤمن بمثل هذه الأمور، وأرى أن كثيرًا منها مبالغ فيه، وأعتقد أنه من الخطأ التشاؤم من أي رقم، أو الاعتقاد بوجود رقم سحري يجلب الحظ الحسن، ولكن أنا هنا أحاول فقط تفسير كيفية تفكير من يؤمنون بمثل هذه الأمور.

- إذا فالرقم 23 في نهاية الرسالة الرقمية التي كتبها قاتلو عمي يقصد فيه تهديدك أنت يا 101، أي أنهم يخيروك بين الحياة والموت بلغتهم! قال سعيد.

- ربما هذا هو التفسير الأكثر منطقية، والظاهر أنهم يريدون مني التوقف عن إكمال مسيرة أمي، وعلى أي حال فإن تهديدهم من عدمه لن يغير من قراري الذي اتخذته بمواجهة هؤلاء القتلة، لذلك يا سعيد أحتاج منك الآن أن تعطيني الملف الكامل الذي تركته أمي عند عمك، فأخشى أن الوقت ليس في صالحنا.

- سأعطيك إياه ولكن على شرط!

- شرط؟ أي شرط يا سعيد؟!

- شرطي هو أن تقبلا دعوتي لكما على الغداء في منزلنا المتواضع، فليس من المعقول أن تزورا الإسكندرية ولا تأكلا من سمكها، وبعد ذلك سأعطيك الأمانة التي بحوزتي.

- حسنًا أقبل دعوتك وأتشرف بزيارة منزلكم، وأعتقد أن عبد العزيز أيضًا يرحب بها، ولكن نحن أيضًا لدينا شرط لقبول هذه الدعوة!

- اشرط كما تشاء يا نضال.

- أريد منك أن توصل هذا المبلغ البسيط هدية مني ومن عبد العزيز لأسرة الحاج متولي، وتقدم لهم تعازينا الخاصة، كنا نود زيارتهم وتقديم واجب العزاء في فقيدهم، ولكن لا أعتقد أن من الحكمة أن نزورهم الآن في منزلهم بعد ما حصل في المكتبة!

- وهو كذلك يا صديقي.

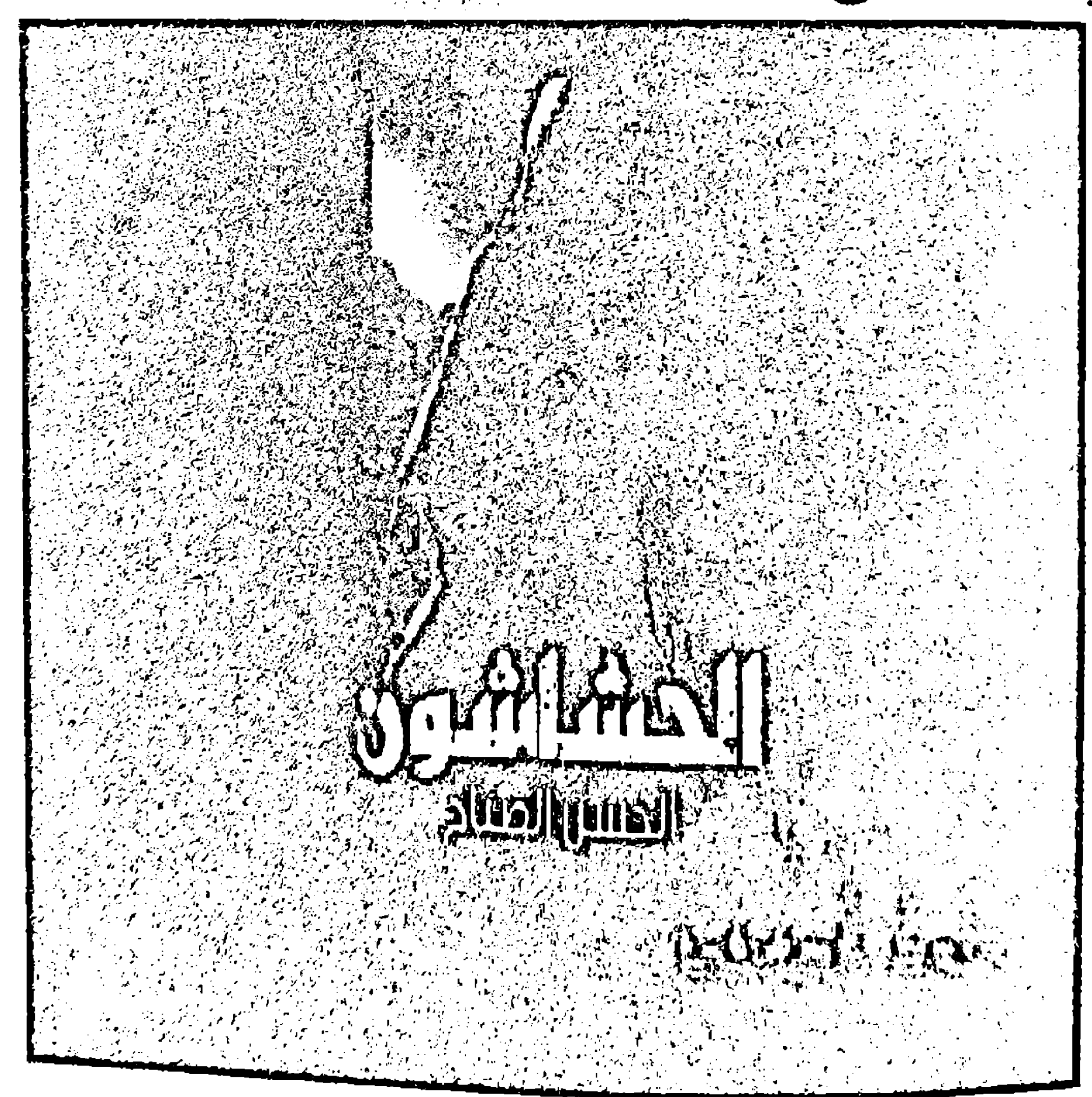


الحشاشون الجدد

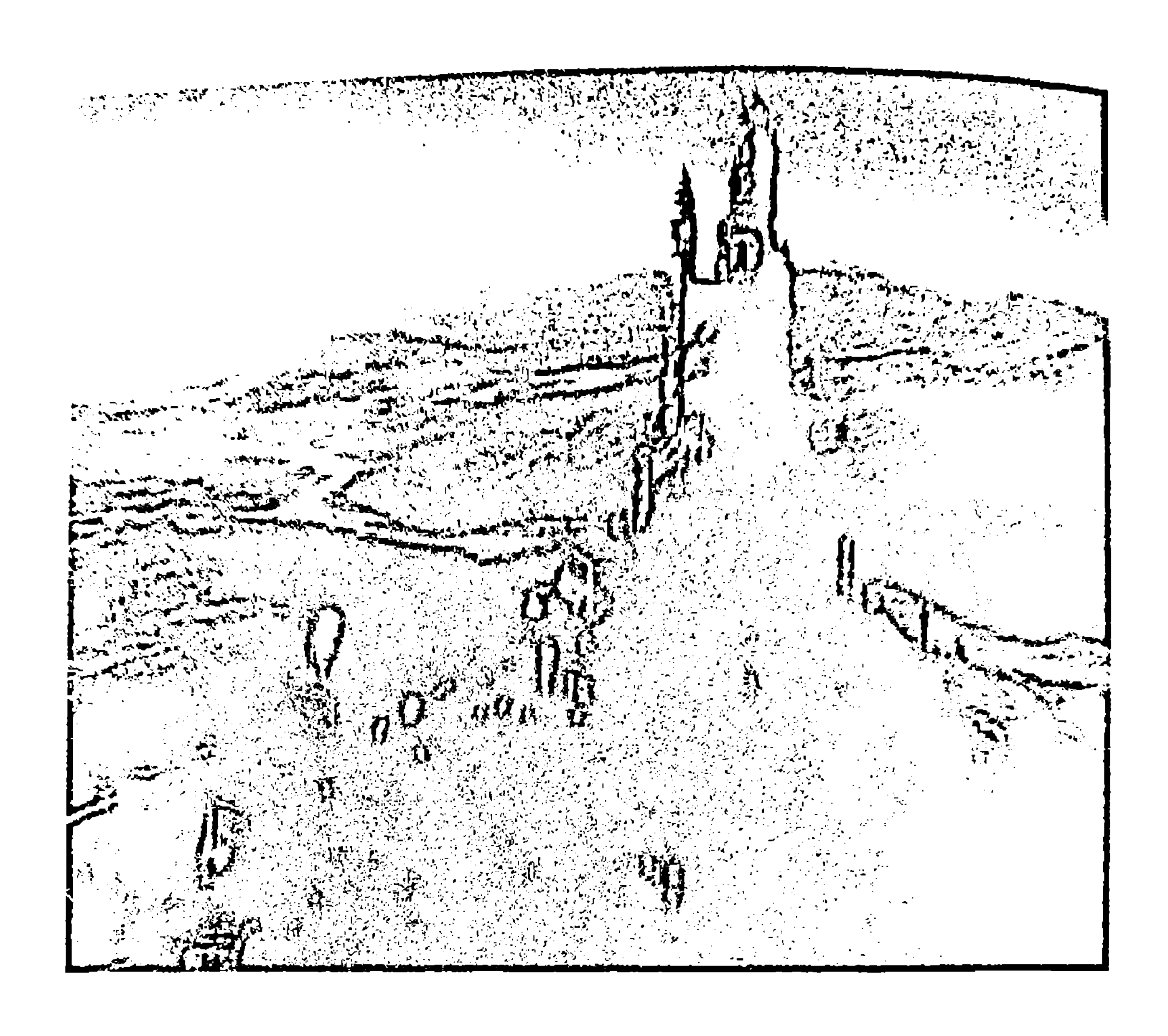
أثناء بحث نضال وعبد العزيز عن لغز بربروسا، اكتشفا أن هناك تنظيمًا سريًا خطيرًا تشكل مؤخرًا في إيران يهدف للسيطرة على البشر، هذا التنظيم لاحظت السيدة عائشة أم نضال أنه بدأ يفتش عليها في محاولة للاستيلاء على أبحاثها، هذا ما دفعها لإخفاء أبحاثها والسفر إلى أماكن متفرقة لإخفاء خيوط اللغز الذي تركته لابنها، وفي ذلك اللغز قامت السيدة عائشة بتحذير ابنها من هذا التنظيم الذي أطلق نضال عليه اسم تنظيم الحشاشين الجدد، وذلك لارتباطه بحركة الحشاشين القديمة، وفي نهاية رحلة البحث عن لغز بربروسا اكتشف نضال أن هذا التنظيم تمكن من اختطاف أمه من المغرب وتهريبها إلى إيران.

ويرجع تاريخ هذه التنظيم إلى مئات السنين، إلى وقت سبق ظهور الحروب الصليبية بقليل، كانت المهمة التي كلف بها أفراد هذا التنظيم السري هي القيام بعمليات اغتيال إجرامية ضد كل من يقف في طريقهم، والحشاشون كانوا ينتمون بالأساس إلى طائفة من

طوائف الشيعة، وهي الطائفة الإسماعيلية النزارية، هذه الطائفة الباطنية انفصلت عن العبيديين «الفاطميين» الذين كانوا أيضًا من الإسماعليين، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر ميلادي، وتؤمن هذه الطائفة بأن كلمات القرآن لها تفسير باطني يختلف عن المعنى الحرفي المفهوم، لذلك فقد كانت لهم تفسيرات غريبة لمفردات القرآن الكريم تشبه الشفرات السرية التي يحددها شيخ الطائفة.



ويعود تأسيس هذه الطائفة إلى أحد أخطر المجرمين في التاريخ الإنساني، هذا الشخص كان يدعى «الحسن الصباح»، وكانت بدايته في أحد الحصون المنيعة الواقعة في إيران الحالية والتي اتخذها الحسن الصباح كمقر سري لنشر دعوته الباطنية، ويقع هذا الحصن الجبلي بوسط جبال البرز أو جبال الديلم في بلاد فارس جنوب بحر قزوين، ويبعد حوالي 100كم عن العاصمة طهران، هذا المقر الحصين لهذا التنظيم السري كان اسمه «قلعة آلموت» «Alamut Castle»، ويعني بالفارسية «وكر العقاب»، وقد استولى الحسن الصباح على قلعة آلموت ليحولها إلى مركز تدريب لأتباعه الذين كان يسيطر عليهم بواسطة نبات القنب الهندي المعروف بالحشيش، لذلك سموا بالحشاشين، وكانت المهام التي أوكلت إليهم هي القتل غدرًا بدون مواجهة، لذلك فإن كلمة «يغتال» في كثير من اللغات الأجنبية مشتقة في الأساس من كلمة «حشاشين»، فبالإنجليزية على سبيل المثال اشتق من كلمة «حشاشين» الكلمة الإنجليزية التي تعرف القاتل المحترف الذي يقتل بطريقة الاغتيال «Assasin»، ومنها اشتق فعل «assassinate» ويعني بالإنجليزية «يغتال».



الرحالة الإيطالي الشهير «ماركو بولو» «Marco Polo» الذي جاب بلاد آسيا في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر روى قصة مخيفة عن تنظيم الحشاشين، وكيف كان قائدهم الذي أطلق عليه لقب «شيخ الجبل» يقوم بالسيطرة عليهم، وبالرغم من أن ماركو بولو لم يعاصر الحسن الصباح، فقد نقل ما تناقله الناس من أساطير عن مقر الحشاشين السري المعروف بقلعة آلموت، وكيفية سيطرة قادة الحشاشين على أتباعهم لتحويلهم إلى

آلات قتل بشرية:



«كانت فيها حديقة كبيرة مليئة بأشجار الفاكهة، وفيها قصور وجداول تفيض بالخمر واللبن والعسل والماء، وبنات جميلات يغنين ويرقصن ويعزفن الموسيقى، حتى يوهم شيخ الجبل لأتباعه أن تلك الحديقة هي الجنة، وقد كان ممنوعًا على أي فرد أن يدخلها، وكان دخولها مقصورًا فقط على من تقرر أنهم سينضمون لجماعة الحشاشين، كان شيخ الجبل يدخلهم القلعة في مجموعات، ثم يُشرِبهم مخدّر الحشيش، ثم يتركهم نيامًا، ثم بعد

ذلك كان يأمر بأن يُحملوا ويوضعوا في الحديقة، وعندما يستيقظون فإنهم سوف يعتقدون بأنهم قد ذهبوا إلى الجنة، وبعدما يُشبعون شهواتهم من المباهج، كان يتم تخديرهم مرة أخرى، ثم يخرجون من الحدائق ويتم إرسالهم عند شيخ الجبل، فيركعون أمامه، ثم يسألهم من أين أتوا؟، فيردون: «من الجنة»، بعدها يرسلهم الشيخ ليغتالوا الأشخاص المطلوبين، ويعدهم أنهم إذا نجحوا في مهماتهم فإنه سوف يعيدهم إلى الجنة مرة أخرى، وإذا قُتلوا أثناء تأدية مهماتهم فسوف تأتي إليهم ملائكة تأخذهم إلى الجنة».



وبذلك استطاع قادة الحشاشين السيطرة على أتباعهم وتحويلهم إلى آلات قتل بشرية مخيفة، لدرجة أنه لو أمر أحدهم بأن يقتل نفسه لفعل ذلك، فاستطاع الحشاشون بهذا الكتيبة المخيفة من القتلة أن يغتالوا كل من يعترض طريقهم، من مسلمين وغير مسلمين، فسقط ضحية لهم كثير من الشخصيات العليا في الأمة الإسلامية، فكان أول ضحاياهم هو الوزير الفارسي للدولة السلجوقية «نظام الملك الطوسي»، والذي كان يعد أحد أشهر الوزراء في تاريخ الأمة الإسلامية، ثم تتالت عمليات الاغتيال التي كان يقوم الحشاشون، وكان كثيرًا منهم يقوم بقتل نفسه بعد أن ينجح في عمليته الإجرامية، وبذلك تمكنوا من اغتيال شخصيات كبيرة للغاية، كان على رأسهم رأس الخلافة الإسلامية شخصيًا الخليفة العباسي «المسترشد»، وقد تمكن التنظيم السري لهذ التنظيم الخطير من التغلغل إلى داخل أروقة الحكم، حتى أن أحد الحراس الشخصيين للقائد الكردي «صلاح الدين الأيوبي» كان منتميًا لتنظيم الحشاشين السري، وقد قام الحشاشون بقتل كثير من القادة الصليبيين أيضًا، ومن هنا بدأت أوروبا باستخدام لفظ «أساسين» للدلالة على عمليات الاغتيال والقتل السري.

وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، تم إنهاء وجود تنظيم الحشاشين مع تدمير قلعتهم من قبل القائد المغولي «هولاكو خان» ، فقبل غزوه لبغداد قام هولاكو بتدمير قلعة آلموت عام 1256م، واستطاع تشتيت شملهم ومطاردة من تبقى منهم، وفي عام 2004م سقطت الجدران المتبقية من القلعة جراء الزلزال الشديد الذي ضرب إيران، ويرى نضال أن سقوط قلعة الحشاشين نهائيًا مع زلزال إيران الأخير أحيى هذا الفكر المتطرف من جديد، فأعاد أتباع هذا الفكر الباطني تنظيم أنفسهم تحت مسمى «الحشاشين الجدد»، مثلما نظم «النازيون الجدد» أنفسهم في السنوات الأخيرة مع صعود اليمين المتطرف في أوروبا!



أشتاق إلى طيفك يا أمي!

بدأت علاقة نضال بالقطط وهو في عمر مبكرة، وذلك في المقهى الذي كان يعمل فيه عند أنور زوج عمته خديجة التي كان يعيش معها، فعندما كان نضال في السابعة من عمره، فُصل زوج عمته أنور من الشركة التي كان يعمل بها بعد شبهات أثيرت حوله بتلقي رشاوى من المراجعين، وبعد أن رفضته كل الشركات التي تقدم للعمل بها، قامت خديجة باستئجار مقهى صغير لزوجها لكي ينشغل بالعمل فيه، وذلك بعد أن أحست بأن وجوده المستمر في المنزل دون عمل زاد من عصبيته وبات يشكل لها ولنضال إزعاجًا كبيرًا، ولأنه كان إنسانًا بخيلًا وظالمًا في تعاملاته مع عماله، فإن جميع العمال الذين أحضرهم لم يتحملوا العمل معه لأكثر من أسبوع على حد أقصى، لذلك أراد أنور إحضار نضال للعمل معه في المقهى بعد انتهاء دوامه الدراسي، وذلك لتعويض النقص في العمال الذي كان يواجهه باستمرار، ولكن خديجة رفضت فكرة أن يذهب نضال للعمل مع زوجها، إلا أنها غيرت رأيها في نهاية الأمر

بعد أن لمست حماسة نضال للفكرة، فسمحت له بذلك، ولكنها اشترطت على زوجها بأن يقتصر عمل ابن أخيها على حسابات المقهى فقط، وذلك لكي تزداد مهاراته التطبيقية في الحساب، وكان نضال بدوره مستمتعًا بوجوده في المقهى، فقد كان يجد هناك متعة خاصة في التعرف على الأنماط المختلفة للبشر ممن كانوا يرتادون المقهى بشكل مستمر، وفي نفس الوقت أظهر براعة فائقة في ضبط حسابات المقهى لدرجة جعلت أحد أصحاب المحلات المجاورة يعرض عليه العمل في محله في الإجازة الصيفية مقابل راتب أسبوعي كبير، إلا أن زوج عمته رفض بشدة هذا العرض بحجة أن نضال مجرد طفل ولا ينبغي له العمل، وعوضًا عن ذلك ترك نضال يعمل معه هو طيلة فترة الإجازة الصيفية بالسخرة دون أن يعطيه أي أجر نظير عمله، ودون أن يمنحه أي مكافأة كتقدير لجهوده، بل على العكس من ذلك، كان زوج عمته البخيل يقوم بعد زجاجات المشروبات الباردة في الثلاجة خوفًا من أن يقوم نضال بشرب إحداها دون علمه أثناء عمله في أيام الصيف الحارة!

كان نضال يعلم مدى بخل زوج عمته وعدم حبه له منذ طفولته المبكرة، ولم ينسَ ذلك اليوم الذي عاتبه فيه زوج عمته بأنه

خسر راتب يوم عمل في شركته بعد أن اضطر لترك العمل باكرًا والذهاب إلى قسم الشرطة لتسلم نضال الذي كان تائهًا في الصحراء قبلها، ولكن عمل نضال في المقهى جعله يحتك أكثر بهذا الرجل ويدرك أن بخله وكرهه له الذي لا يعرف سببه يتجاوز ما كان يعتقده بمراحل عديدة، ففي إحدى الليالي الصيفية وبعد يوم عمل طويل بات نضال من شدة التعب على أريكة صغيرة داخل المقهى، ليصدم في الصباح الباكر أنه نام ليلته كلها على أرضية المقهى الإسمنتية فوق غطاء رقيق لم يحل دون شعوره بوجع شديد في ظهره، ومما زاد من صدمته رؤيته لأحد الرجال الغرباء ينام مكانه على الأريكة، فلما استيقظ زوج عمته من النوم على سريره الموجود في غرفة جانبية للمقهى سأله عن هذا الأمر، فأخبره زوج عمته أن هذا الرجل عابر سبيل فقير لم يجد مكانًا للنوم، لذلك سمح له بالنوم على الأريكة ابتغاء للأجر والثواب، بعد أن نقله للنوم على أرضية المقهى، ولكن نضال لم يكن مطمئنًا لصحة هذه الرواية، فلم يتعود من زوج عمته البخيل أن يقوم بأي عمل دون أخذ مقابل، حتى أنه كان يطلب من زوجته ثمن الوقود عندما كان يوصلها بسيارته إلى صديقاتها، لذلك لم يستغرب نضال عندما رأى

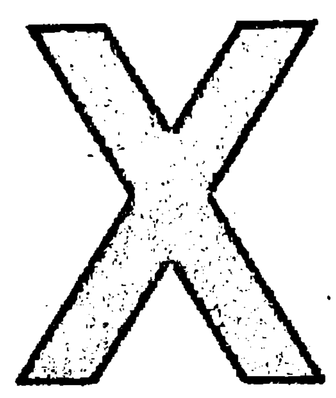
زوج عمته يأخذ من ذلك الرجل الغريب بعض المال مقابل تلك الليلة التي قضاها نائمًا على الأريكة!

ومع مغيب شمس أحد الأيام، وبعد أن زار المقهى الكثير من الزبائن الذين جنى منهم أنور أموالًا كثيرة، قرر هذا الرجل البخيل أن يحتفل بأرباحه في ذلك اليوم عن طريق شرائه لإحدى المعلبات الغذائية التي تحتوي على لحم بقري محفوظ، ولكنه لم يرد أن يشرك باحتفاله نضال الذي عمل معه طيلة ذلك اليوم، بل أعطاه قطعة من الخبز اليابس وفوقها كمية ضئيلة للغاية من اللحم البقري المحفوظ، وطلب منه أن يذهب إلى خارج المقهى ليأكل وجبته بعيدًا عنه، فأخذ نضال ما أعطاه إياه زوج عمته من طعام قليل وتحرك بخطواته الصغيرة إلى الباحة الخلفية للمقهى ليسد جوعه بتلك الوجبة الصغيرة بعد يوم عمل شاق، وقبل أن يشرع بالأكل، لاحظ نضال قطة هزيلة تحوم حوله، فأدرك من هيأتها أن الجوع قد نال منها أكثر مما نال منه، فقدم لها نصف كمية اللحم التي كانت بحوزته، ولكنه تفاجأ أن القطة بدلًا من أن تقوم بأكل اللحم، حملته بفمها وانطلقت به إلى مستودع مهجور بالقرب من المقهى، فلحقها إلى ذلك المستودع المهجور، ليكتشف أنها حملت كمية اللحم إلى

صغارها الذين تجمعوا حولها لأكل ما جلبته لهم أمهم، فانهالت دموع نضال على وجنتيه، وزاره طيف أمه التي بالكاد يتذكر صوتها، وقام بعدها بتقديم كل الكمية المتبقية من اللحم إلى تلك القطة وصغارها، واكتفى هو بتناول قطعة الخبز اليابس بجانبهم وهو يراقبهم بسعادة غامرة ملأت عليه روحه، ترجمتها ابتسامة مشرقة ارتسمت على وجهه الصغير، ومنذ ذلك اليوم بدأت حكاية نضال في ملاحقة القطط المشردة في مدينته حتى يكتشف أماكن سكن صغارها، وكان يجلس بعدها لبضع دقائق يتأملها بسعادة وهي تلتف حول أمها، قبل أن يتركها بسلام ويمضي في طريقه بهدوء إلى المقهى، ليجد زوج عمته ما يزال جالسًا يلتهم طعامه بشراهة.



رمز المجهول



كان نضال يقلب صفحات البحث وهو جالس على مقعده في الطائرة بجانب صديقه عبد العزيز، وقد كانت علامات الإثارة والصدمة بادية على وجهه وهو مستغرق في قراءة ما جاء في ذلك الملف.

- هناك شيء ما زلت لا أفهمه في هذا البحث منذ أن رأيته ونحن في الإسكندرية! قال نضال بتعجب.

- وما هو هذا الشيء يا صديقي؟

- المعلومات التي يحتويها هذا البحث مذهلة، وتفصل في تاريخ آريوس والأريسيين بشكل دقيق، وتبين جرائم قراصنة

القديس يوحنا في طمس تاريخ الأريسيين منذ مئات السنين، مع تفصيل موثق لعملياتهم السرية القذرة خلال الخمسين عامًا الأخيرة، وأتفهم أن عصابة القراصنة ترغب في إخفاء هذه المعلومات الخطيرة التي لا أعلم كيف استطاعت أمي الحصول عليها، ولكن لا أفهم لماذا يحرص الحشاشون الجدد على الحصول على هذا البحث؟!

- ربما هو صراع مصالح بين هاتين العصابتين!

- لا أعتقد ذلك يا عبد العزيز، فجميع العصابات تمتلك معلوماتٍ خطيرة عن بعضها البعض، ولا أعتقد أن الحشاشين الجدد قاموا بكلّ ما قاموا به من أجل هذه المعلومات، أعتقد أن الأمر يتعدى ذلك بكثير، وأن هناك أمر غامض، يكمن حله في هذه الورقة التي تركتها أمي لي!

لاحظ عبد العزيز توتر نضال وهو يتكلم معه وينظر في البحث، فأراد أن يصرف صديقه قليلًا عن القراءة التي بدا أنها أجهدته، فبادره بالسؤال:

- نضال، هناك أمر يحيرني أردت سؤالك عنه طيلة الوقت خاصة أثناء بحثنا عن لغز بربروسا!

ترك نضال البحث من يديه، والتفت إلى عبد العزيز، وقال:

- وما هو ذلك الشيء الذي شغلك يا صديقي؟

- كنت دائمًا أتساءل كيف يمكنك تذكر كثير من المعلومات التاريخية بتفاصيلها الدقيقة في وقت تنسى فيه مفاتيح منزلك لدي دائمًا عند زيارتك لشقتي؟ سأل عبد العزيز مبتسمًا.

- حسنًا، أظنني أخبرتك من قبل أنني أعاني منذ صغري من اضطراب في الذاكرة يجعل من الصعب علي تذكر التفاصيل اليومية البسيطة التي أمر بها، ولكن هذا الاضطراب لا يؤثر على الذاكرة طويلة المَدى، بل على العكس من ذلك، بإمكاني تذكر كثير من المعلومات التي اطلعت عليها منذ سنوات بعيدة، خاصة إذا كانت تلك المعلومات من النوع الذي أنجذب إليه.

- صحيح، قرأت معلومة طريفة من إحدى المجلات بأن آينشتاين كان معروفًا بين أصدقائه وأقاربه بضعف الذاكرة، حيث كان ينسى الأسماء والعناوين وأرقام الهواتف، ولكنني لم ألحظ عليك ملامح العبقرية. قال عبد العزيز مازحًا.

- ربما أثبت لك أنني عبقري عندما أضع نظرية جديدة ألغي



بها نظرية آينشتاين النسبية، ولكن علينا أولًا كشف سر آريوس يا صديقي.

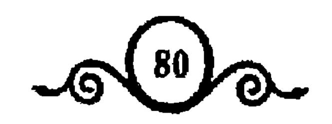
- قال نضال وهو يبتسم.

- بالمناسبة يا نضال، أخبرتني مباشرة بعد حلنا للغز بربروسا في المغرب أن ذلك اللغز يقود إلى سر آريوس، وهو الأمر الذي تأكد الآن بعد حصولنا على الملف الذي تركته والدتك، ما زلت لا أفهم كيف توصلت إلى هذه النتيجة دون أن ترد أي كلمة في رسالة أمك الصوتية تشير فيها إلى آريوس!

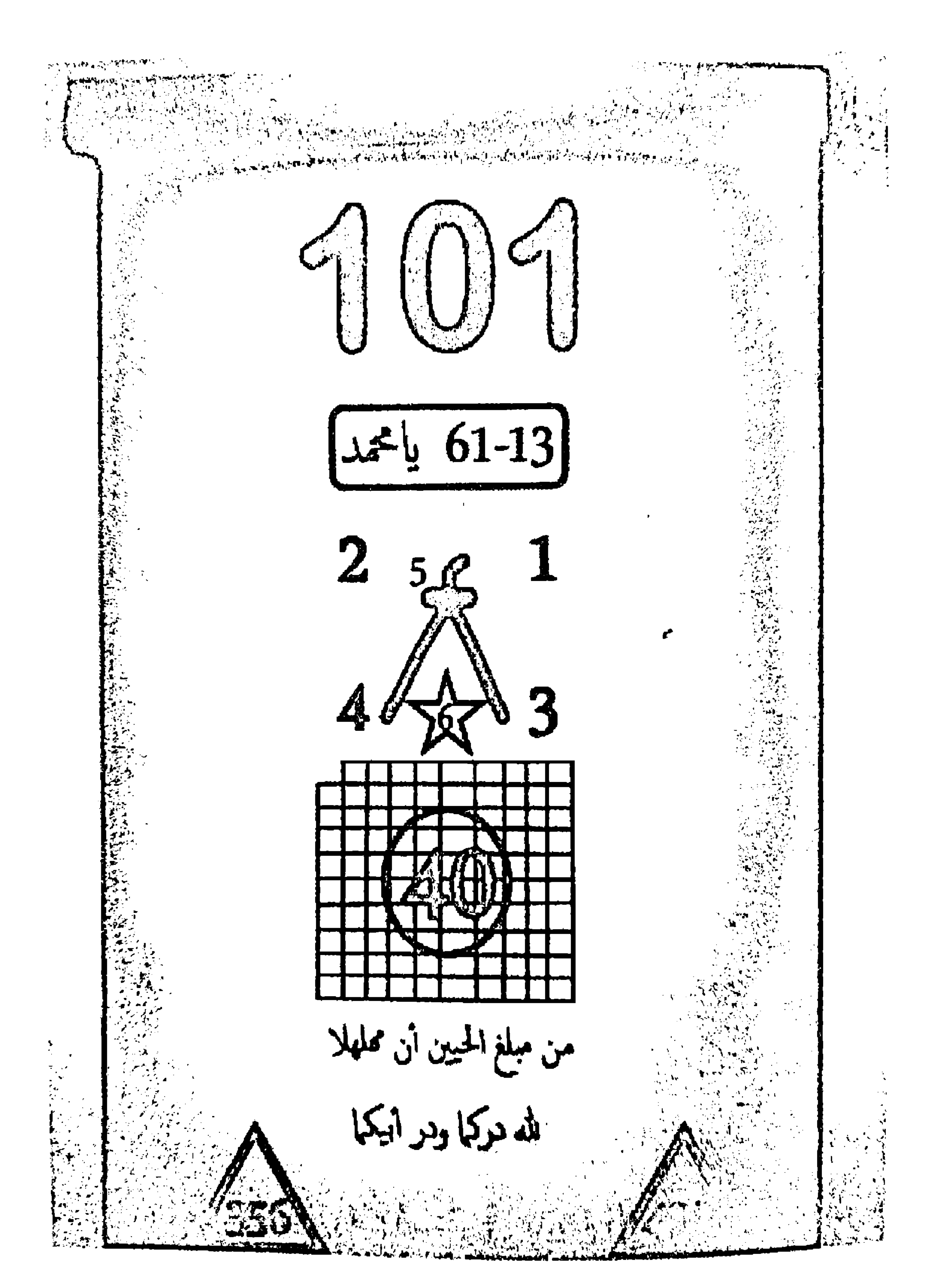
- كل الرموز الظاهرة والخفية في لغز بربروسا كانت توحي بذلك يا عبد العزيز، كان علي أن أدرك هذا الأمر منذ اللحظة الأولى التي تلقيت فيها منك ورقة البردى التي رسم عليها اللغز، ولكنني لم أنتبه إلى ذلك إلا في نهاية الأمر!

- هل أنت جاد فيما تقول يا نضال؟! هل تريد أن تقنعني الآن أن لغز بربروسا ما زال يحتوي على أمور جديدة غير تلك التي توصلنا إليها بعد كل ما كابدناه من مشقة وتعب في أسفارنا لحل ذلك اللغز العجيب؟!

- يبدو ذلك يا صديقي! أجاب نضال.



- ولكن كيف؟!

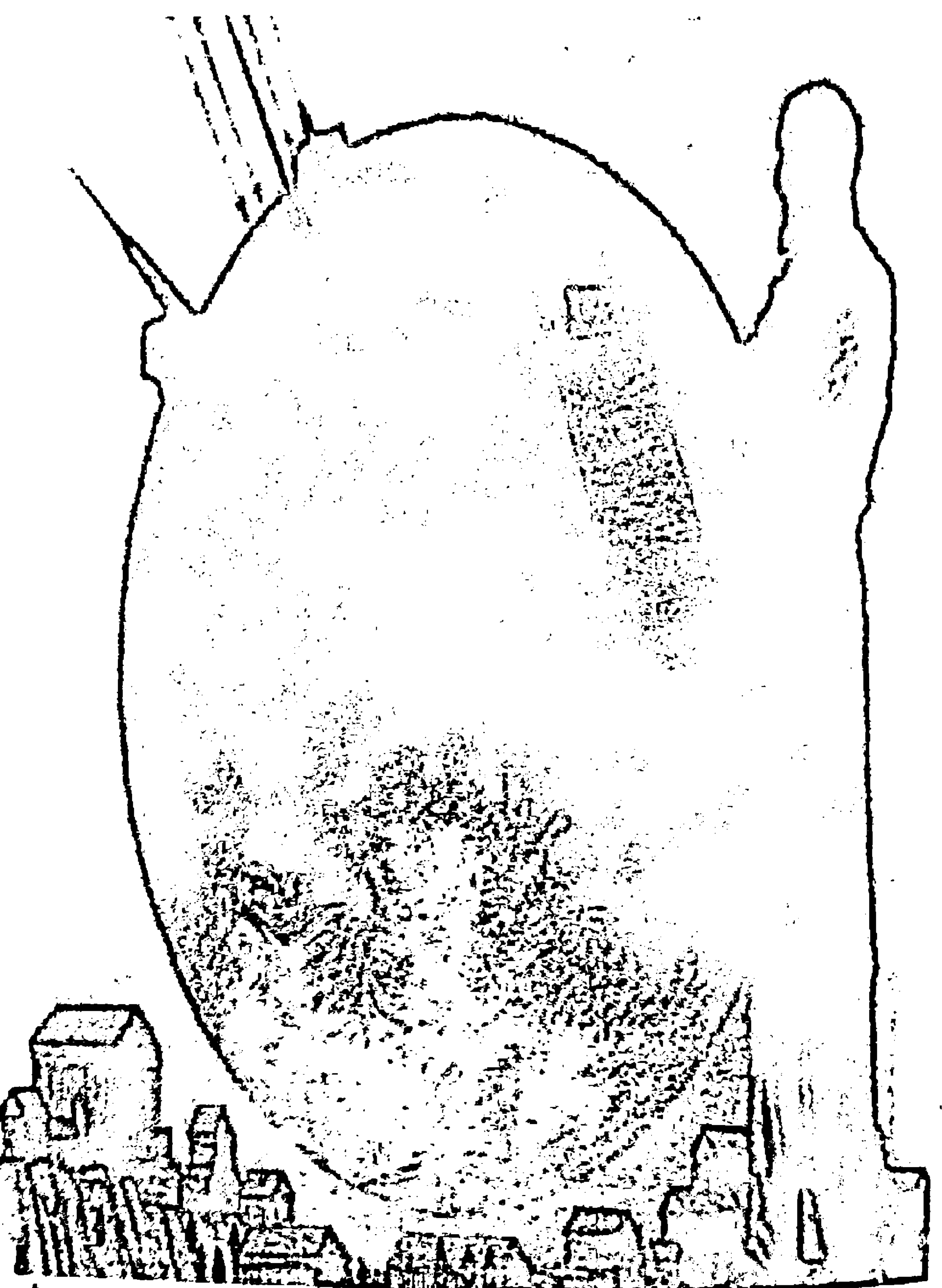

101
13-61 يا محمد
2
5
1
4
6
3
40
من مبلغ الحيين أن مهلهلا
لله دركما ودر أبيكما
350

- حسنًا يا عبد العزيز، كما أخبرتك في المغرب، بعض رموز لغز بربروسا كانت تشير بشكل جلي إلى آريوس، فغربال إراتوستينس لم يكن فقط بمثابة الدليل الذي يبين الأرقام التي سنحتاجها في حل لغزنا، بل كان أيضًا يشير بشكل واضح إلى مكان حل اللغز، وقد كنت منذ البداية أتعجب من رسم الغربال في الرسالة بدلًا من ذكر الأرقام التي يمكن أن نستخدمها، ولكني أعتقد الآن أن الغربال نفسه كان بمثابة رمز للمكان الذي يوجد فيه مركز اللغز.

- أتقصد تلك الشبكة التي تحتوي على الدائرة التي ترمز إلى الكرة الأرضية؟

- بالضبط يا عبد العزيز، لقد رسمت أمي الكرة الأرضية في منتصفه ليس فقط للإشارة إلى إراتوستينس الذي قاس محيط الأرض، ولكن أيضًا للدلالة على ذلك السر الخطير من تاريخ الأرض الذي بقي محجوبًا خلف قفص لم يسمح بخروجه إلى البشرية، ووجود إشارة إلى إراتوستينس يحمل في طياته رمزية كبيرة إلى آريوس، فإراتوستينس ولد في مدينة قورينا الليبية، وهي المدينة التي ولد فيها آريوس، ثم استقر في مدينة الإسكندرية المصرية،

وهي أيضًا نفس المدينة التي استقر فيها آريوس!



قام العالم إراتوستينس بحساب محيط الأرض متخذًا من مدينة الإسكندرية مركزًا علميًا لإجراء أبحاثه

- حسنًا هذا تحليل منطقي، ولكن هل هناك المزيد من الإشارات على ذلك؟ تساءل عبد العزيز.

- أيضًا ورقة البردى التي اختارتها أمي لكي ترسم عليها رموز اللغز هي في حد ذاتها إشارة كبيرة إلى الإسكندرية، فقد كانت هذه المدينة المصرية المركز الأول لإنتاج أوراق البردى في العالم، أضف إلى ذلك اختيار أمي للإسكندرية لإجراء بحوثها هناك، واختيارها لها لتكون المكان الذي تخفي فيه الملف، هذا كله مؤشر على محورية مدينة الإسكندرية في السر الذي يخفيه اللغز، فالإسكندرية كانت بمثابة نقطة الانطلاق لدعوة آريوس في أنحاء الأرض، الذي قد يشير إليه رمز الكرة الأرضية المرسوم داخل الغربال!

- وهذا أيضًا تحليل منطقي، ولكن لماذا لم تخبرنا الخالة عائشة مباشرة في رسالتها الصوتية بأن حل اللغز هو سر آريوس؟ هل كل أفراد عائلتك مثلك يحبون الغموض؟ سأل عبد العزيز وهو يبتسم.

- لقد أشارت إلى ذلك بشكل غير مباشر في الرسالة الصوتية عندما قالت أن ذلك السر بقي طي الكتمان لما يزيد عن 1500 عام، وفي ذلك إشارة للوقت الذي ظهر فيه آريوس في القرن الرابع الميلادي، أضف إلى

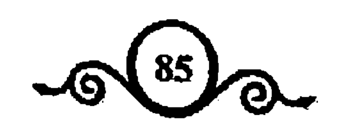
ذلك التاريخ الذي اختارته أمي لتسجيل هذه الرسالة الصوتية، وهو تاريخ الـ 20 من شهر مايو، وهو نفس وقت انعقاد «مجمع نيقية» الذي كان آريوس فيه زعيمًا لأحد الفريقين المتخاصمين، ونيقية مدينة تقع بالقرب من إسطنبول، أو كما كانت تعرف سابقًا القسطنطينية، وهي المدينة الذي اغتيل فيه آريوس، وهي نفس المدينة التي اختارتها أمي لكي نبدأ فيها مغامرتنا في حل لغز بربروسا!

- يا إلهي! يبدو أنكم عائلة تعيش على الرموز! بالمناسبة يا نضال، لم تخبرني عن مجمع نيقية كما وعدتني، ولم تحكِ لي قصة آريوس هذا الذي يبحث عن سره الجميع!

- الأفضل أن تعرف هذه الأمور مباشرة من البروفيسور توماس بريستلي، وقد اتصلت به البارحة بعد أن ألقيت نظرة سريعة على الملف، وحددت معه موعدًا للقائه لكي يوضح لي بعض الأمور الغامضة.

وضع عبد العزيز يده على كتف نضال وقال له برفق:

- هل أنت واثق يا صديقي أنك تريد بالفعل مقابلة البروفيسور بريستلي بعد كل الذي جرى بينكما؟ ألم تجد أحدًا غيره من المختصين لكي تستفسر منه عما تريده؟



- البروفيسور بريستلي هو أحد أعظم المؤرخين العالميين الموجودين حاليًا، وهو أبرز مختص على مستوى العالم بأسره بتاريخ البشرية في القرون الأولى للميلاد، وقد أبدى حماسة كبيرة لمقابلتي بعد أن اتصلت به وأخبرته بما لدي من معلومات خطيرة، وبالنسبة لي ما حصل بيننا في الماضي صار في طي النسيان. أجاب نضال وهو يحاول إخفاء نبرة حزنه التي بدت واضحة في جملته الأخيرة.

- في هذه الحالة ألم يكن من الأجدى أن تسأله عن هذه الأمور الغامضة عن طريق الهاتف بدلًا من سفرنا من الإسكندرية إلى لندن خصيصًا لمقابلته؟

- مثل هذه الأمور لا تناقش بالهاتف يا صديقي، ثم إن هناك شخص آخر يعيش في لندن أحتاج لمساعدته، وإذا كان تحليلي صحيحًا، فإن التفاحة تشير إلى لندن!

- عن ماذا تتحدث يا نضال؟ أي تفاحة تقصد؟ تساءل عبد العزيز باستغراب.

أخرج نضال الورقة التي أعطاها إياه سعيد، وظهر أن هذه الورقة تحتوي على حروف وأرقام غير مفهومة المعنى، وفي أعلى الورقة صورة لتفاحة في صحن مقعر، وعلى التفاحة مكتوب حرف

X، ثم أشار نضال إليها وهو يقول لعبد العزيز:

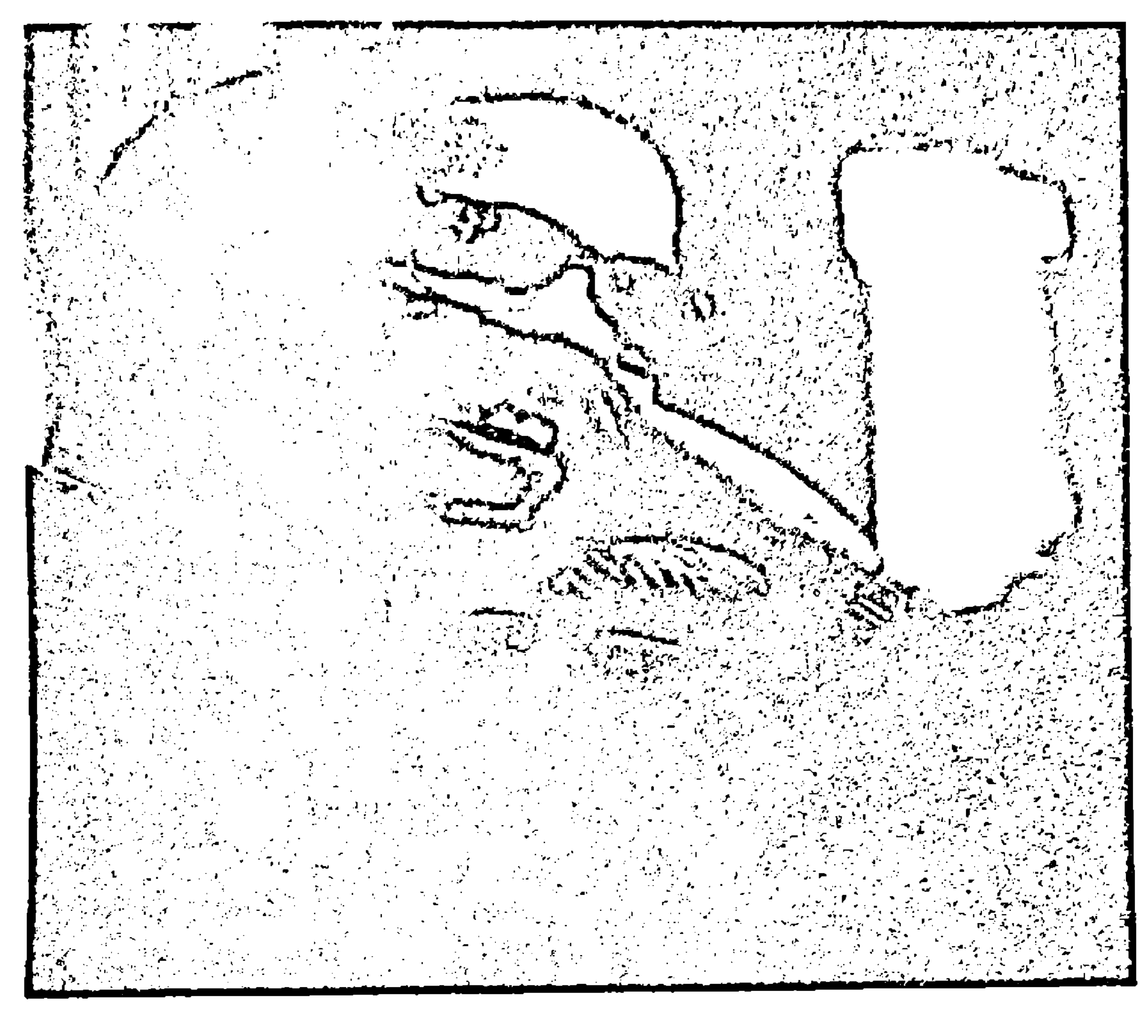
- أقصد هذه الورقة، لدي إحساس أنها تحتوي على مفتاح السر، سر آريوس يكمن في فهم معنى لغز هذه التفاحة!

- وكيف عرفت ذلك؟

- من حرف X المكتوب عليها.

- وماذا يعني الحرف X؟ تساءل عبد العزيز.

- الحرف اللاتيني X يشير دائمًا لشيء مجهول، لذلك فهو يستخدم في المسائل الرياضية العالمية للإشارة إلى القيمة المجهولة، وهو ما يعادل الحرف س بالمسائل الرياضية المكتوبة بالعربية، وهذا هو السبب لاختيار داعية الحقوق المدنية الأمريكي المسلم مالكوم إكس «Malcolm X» لهذا الحرف ليكون اسمًا جديدًا لعائلته، بدلًا من اسمه القديم «Malcolm Little»، لأنه رأى أن أسماء العائلات التي يحملها الأمريكيون من أصول أفريقية هي أسماء عائلات مزيفة فرضها الأسياد البيض على أجدادهم الذين استعبدوا من قبل البيض الأوربيين، لذلك رأى أن يستخدم الحرف X للدلالة على اسم عائلته الحقيقي بدلًا من الاسم الذي ورثه عن الفترة الاستعبادية.

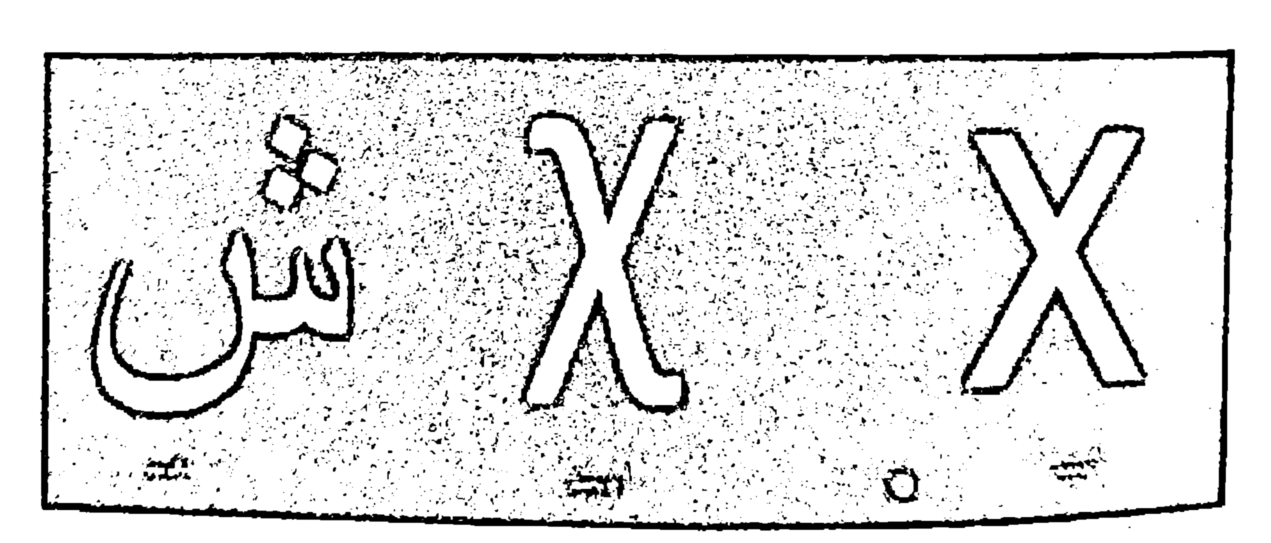


- بالمناسبة يا صديقي، هل تعرف بأننا نحن العرب السبب في اختيار هذا الحرف اللاتيني بالذات للإشارة إلى المجهول؟ سأل نضال.

- كيف ذلك؟! تساءل عبد العزيز.

- سبب ذلك يرجع إلى اللغة العربية، فقد كانت أوروبا غارقة في الظلام في القرون الوسطى، وكانت متخلفة في العلوم التطبيقية وخاصة علوم الرياضيات، على عكس العرب والمسلمين عمومًا

الذين كانوا في قمة التقدم العلمي في ذلك الزمان، وكانت اللغة العربية هي لغة العلوم والتقدم الحضاري، فلما قرأ الإسبان كتب المسلمين الأندلسيين، وجدوا أن المسلمين كانوا يستخدمون حرف الشين «ش» للدلالة إلى كلمة «شيء»، وهي الكلمة التي استخدمها العرب في كتابة علوم الرياضيات للتعبير عن الشيء المجهول، ولإن اللغة الاسبانية لا تحتوي على اللفظ الصوتي الذي يقابل حرف الشين «Sh»، قام الإسبان باستيراد هذا الحرف من اللغة الإغريقية، وقد كان هذا الحرف الإغريقي يكتب على هذا الشكل «χ»، وهو الشكل الذي يشبه حرف إكسX بالحروف اللاتيني، ومن هنا بدأ استخدام هذا الحرف للدلالة على المجهول.



-إذن اتفقنا بأن هذا الحرف يرمز إلى المجهول، ولكن ماذا عن بقية الرموز الموجودة في الورقة؟ تساءل عبد العزيز.



-هذا بالضبط ما سنحاول معرفته يا صديقي في عاصمة الضباب لندن!

وداعًا كاثرين

Catherine

كان نضال أثناء دراسته الجامعية أحد طلاب البروفيسور توماس بريستلي في جامعة أوكسفورد، وكان مولعًا بمادة تاريخ الأديان التي كان يدرسها هذا المؤرخ الإنجليزي الكبير، وكان يستمتع بأسلوبه البسيط في إيصال المعلومة التاريخية لطلاب الجامعة، لدرجة دفعت نضال لكي يكون موضوع «الرمز في الأديان» موضوعًا لرسالة الماجستير الخاصة به، وكم كان سعيدًا عندما قبل البروفيسور بريستلي رجاءه بأن يكون المشرف الخاص على تلك الرسالة، على الرغم من معرفة الجميع بأنه لا يقبل الإشراف على أي رسالة علمية تقل عن درجة الأستاذية في جامعة أوكسفورد، ومع مرور الوقت تطورت العلاقة بينهما من مجرد علاقة أستاذ بتلميذه النجيب لكي تصبح أقرب إلى علاقة والد بابنه، فكان البروفيسور بريستلي في مناسبات عديدة يستضيف

نضال في قصره القديم الواقع في ضواحي لندن، ويطلعه على كتبه ومخطوطاته التاريخية القديمة، ويتناقش معه حول مسائل تاريخية معينة، وهناك تعرف نضال على ابنته كاثرين التي كانت تشاركهما في مناقشاتهما التاريخية على الرغم من أنها كانت تدرس علوم السياسة والدراسات والعلاقات الدولية في جامعة كامبردج، ومنذ أول لقاء بينهما نشأت علاقة إعجاب متبادل بين نضال وكاثرين، لكن نضال كان يخفي مشاعره نحوها كما كانت تفعل هي أيضًا، ويومًا بعد يوم كان هذا الإعجاب يزيد بين الطرفين، حتى جاء وقت صارح كل واحد منها الطرف الآخر عن حقيقة مشاعره، ليعرض نضال مباشرة على كاثرين فكرة الزواج منه، لتبدي هي موافقتها على الزواج منه، فتقدم نضال بعد ذلك بأيام لخطبتها من أبيها، إلا أن البروفيسور بريستلي أبدى معارضته لفكرة زواجهما من بعضهما البعض، وعلل ذلك بأنهما ينتميان لثقافتين مختلفتين، وحاول إقناعهما أن مثل هذا النوع من الزواج المختلط محكوم عليه بالفشل، خاصة بعد إنجاب الأطفال وبروز التباينات الثقافية بين الوالدين في الأسلوب الأمثل لتربية الأطفال، إلا أن نضال وكاثرين لم يقتنعا بوجهة نظره، وازداد تعلقهما ببعض، الأمر الذي دفع

البروفيسور توماس بريستلي لكي يصارح نضال بالسبب الحقيقي لرفضه مباركة زواجه من ابنته:

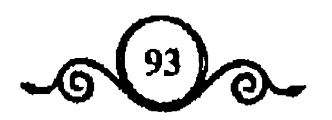
- استمع إلي جيدًا يا نضال، أنت تعلم كم أكن لك من المحبة والاحترام، وتعلم أيضًا أنني من أبعد الناس عن العنصرية، إذا كنت تحب كاثرين حقًا فابتعد عنها!

- ولكن لماذا يا سيدي؟ هل رأيت مني شيئًا يجعلك تخشى على ابنتك مني؟!

- حسنًا، سأكون صريحًا معك إلى أبعد الحدود، وأرجو ألا تفهم كلامي بطريقة خاطئة، فأنا إنما أنقل لك عالم الواقع الذي نعيشه، وليس عالم الأحلام الذي تريد أنت وابنتي أن تعيشاه، فكما تعلم بقي لكاثرين فصل جامعي واحد للتخرج من قسم الدراسات السياسية والعلاقات الدبلوماسية في جامعة كامبردج، وقد حصلت بالفعل على مكان للتدرب في إحدى سفاراتنا في ما وراء البحار.

- صحيح لقد أخبرتني كاثرين بذلك قبل شهر تقريبًا، وقد أبلغتها حينها أنني على استعداد لتقديم موعد الزواج والسفر للعيش معها لحين انتهاء فترة التدريب.

- وهل أخبرتك أيضًا أن السفارة بعثت برسالة لها مؤخرًا



تعتذر فيها عن إمكانية قبولها في السفارة لدواعي أمنية؟!

- ماذا؟ هل حصل ذلك بالفعل؟! لا لم تخبرني بذلك مطلقًا!

- ربما لم ترد أن تجرح مشاعرك، فلا شك أن انتشار خبر خطوبتكما هو السبب في رفض السفارة لها، وأنت تعلم الضغوطات التي تمارسها الأحزاب والحركات اليمينية على الحكومة فيما يخص مسألة المهاجرين عمومًا والمسلمين منهم بشكل خاص، خاصة بعد التفجيرات الإرهابية الأخيرة التي وقعت في لندن، وارتباط أي فتاة إنجليزية تريد العمل في المجال الدبلوماسي البريطاني من شاب مسلم في هذا الوقت بالتحديد سيعني للأسف نهاية مبكرة لمستقبلها العملي قبل أن يبدأ، حتى وإن كانت هذه الفتاة تنتمي لعائلة بريستلي، العائلة الإنجليزية الأرستقراطية التي يتبوأ كثير من أبنائها وبناتها مناصب مرموقة في حكومة صاحبة الجلالة.

- ما الذي تريد قوله بالضبط يا أستاذ؟ قال نضال بصوت خافت.

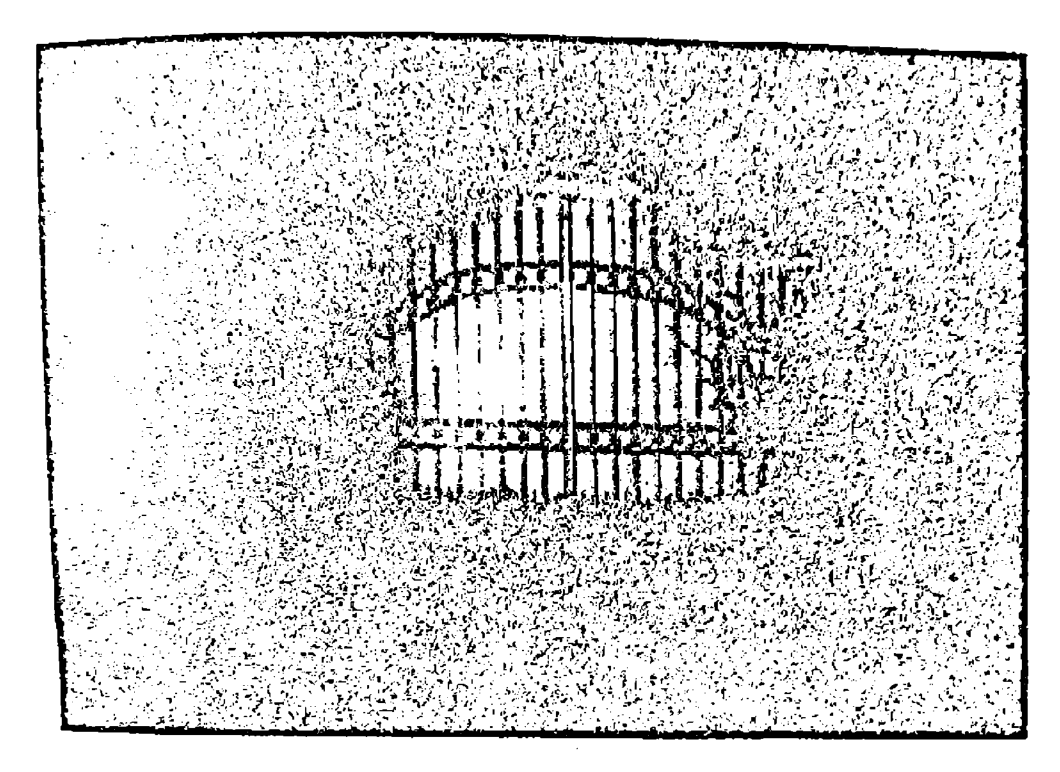
- كاثرين مرتبطة بك بشكل كبير يا نضال، وأعتقد أنها على استعداد للتضحية بمستقبلها المهني من أجلك، أرجوك، إن كنت



تحبها فعلًا، ابتعد نهائيًا عن حياتها، ودعها تمضي في طريقها!

بعد ما سمعه نضال من والد كاثرين، خرج مباشرة من عنده وعيناه تغرورقان بالدموع، ثم تمالك نفسه، وتناول هاتفه المحمول، وحاول السيطرة على نبرات صوته لكيلا تظهر على حقيقتها، ليتصل بكاثرين، ويخبرها بقراره التراجع عن الزواج منها، قبل أن ينهي المكالمة معها بسرعة قائلًا: «وداعًا كاثرين»، ثم أقفل نضال هاتفه المحمول، وأخذ يجري بين حقول الريف الإنجليزي دون أن يشعر بساقيه التي أطلقها للريح، كان نضال أثناء جريه يتأمل شمس الغروب الصافية التي انعكست أشعتها على دموع عينيه التي جرت على خديه كالنهر المتدفق.





وصل نضال وعبد العزيز إلى قصر البروفيسور توماس بريستلي في وقت متأخر من الليل، وقد كانت السماء ملبدة بالغيوم، والضباب يملأ المكان ليزيد من رعب ذلك المكان الموحش، وعندما وصل الصديقان إلى بوابة القصر، لاحظ عبد العزيز تغير ملامح وجه نضال، فوضع يده على كتفه وقال له:

- ما زال بإمكاننا الرجوع يا صديقي، بإمكاننا مقابلة البروفيسور بريستلي في وقت آخر!

- لا عليك يا عبد العزيز، كل شيء على ما يرام، فقط تذكرت المرة الأخيرة التي زرت بها هذا القصر الكئيب!

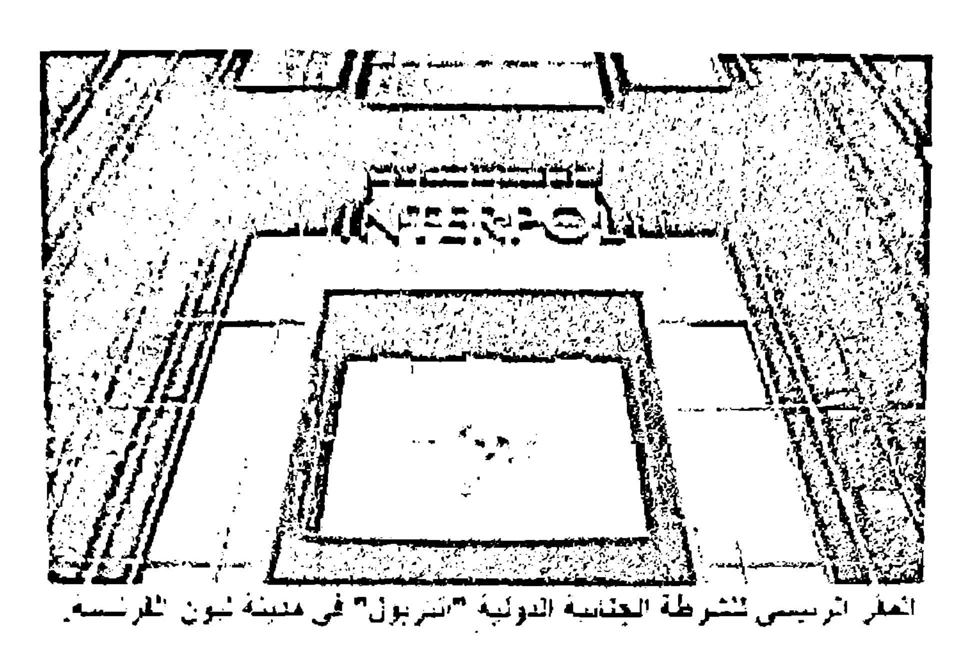
- هل ما زلت غاضبًا على البروفيسور لأنه كذب عليك لكي تترك ابنته؟ تساءل عبد العزيز.

- لست غاضبًا عليه هو، فقط كان مجرد والد خاف على مستقبل ابنته فتصرف بغباء، وقد كنت أعلم منذ البداية باختلاقه لتلك القصة الكاذبة لإبعادنا عن بعضنا البعض، ولكني لم أرد أن أتسبب لها بالدخول في مواجهة مع أبيها والمجتمع من أجلي، لذلك آثرت الانسحاب من حياتها في ذلك الوقت، الحقيقة هي أنني غاضب على نفسي، فقد كانت كاثرين تستحق أكثر من مجرد مكالمة هاتفية قصيرة لإخبارها بنهاية قصتنا!

- معك حق يا نضال، لقد كانت فتاة رقيقة بالفعل، وقد كانت في قمة الانكسار عندما جاءتني لتعرف مني سبب تركك إياها وامتناعك عن الرد على اتصالاتها ورسائلها، ولكنك حذرتني بألا أخبرها بما قام به أبوها لكي لا تفسد العلاقة بينهما، وقد التزمت بما طلبته مني، بالمناسبة هل تتابع أخبارها يا نضال؟

-أتابع أخبارها من بعيد، وسعيد لما تحققه من تقدم مستمر

في مجالها العملي، سمعت مؤخرًا أنها انتقلت للعيش في مدينة ليون الفرنسية للعمل بعد أن تم اختيارها للعمل في منصب قيادي رفيع في منظمة الشرطة الجنائية الدولية «إنتربول».



المقر الرئيسي للشرطة الجنائية الدولية "انتربول" في مدينة ليون الفرنسية.

- وهل سمعت أيضًا أنها أسلمت وتمارس عملها في الإنتربول وهي تلبس الحجاب؟ سأل عبد العزيز.

- سمعت ذلك أيضًا، وابتسمت عند سماعي لهذا الخبر، فقد كان أبوها يخشى من أوهام موجودة فقط في رأسه، كان يعتقد أن ارتباط ابنته من رجل مسلم سيعيق حياتها العملية، وها هي ابنته الآن تسلم وتلبس الحجاب وتعمل بشكل طبيعي في أكبر منظمة أمنية في العالم دون أي معوقات، على أية حال كاثرين فتاة رائعة وأرجو لها كل خير، دعنا الآن من ذكريات الماضي ولنركز بما جئنا

من أجله، فلدينا الكثير من الأمور التي تحتاج لتوضيح من البروفيسور بريستلي.

- وهل تعتقد أن أستاذك بإمكانه أن يزيل هذا الغموض؟

- هذا ما أرجوه على الأقل يا صديقي! أجاب نضال.

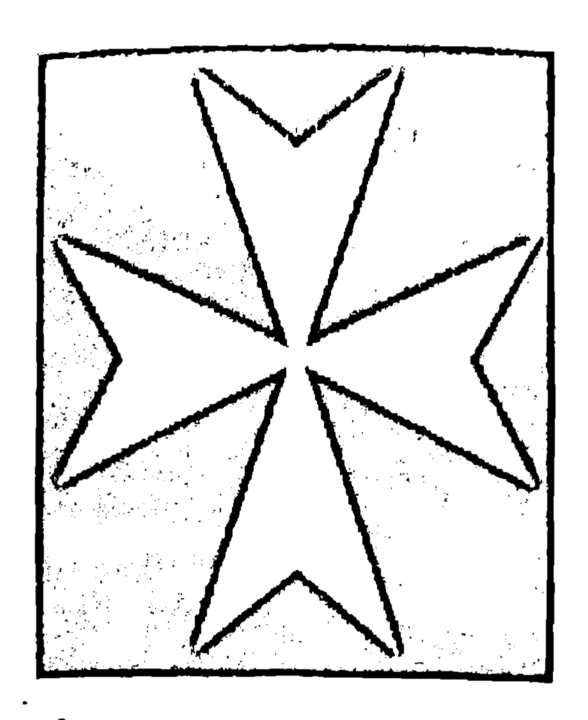
بعد ذلك دخل نضال وعبد العزيز عبر بوابة القصر التي فتحت لهما بطريقة آلية، ليجدا البروفيسور توماس بريستلي في استقبالهما بالموعد المحدد عند ردهة القصر.

قراصنة القديس يوحنا



كان نضال طفلًا يتيمًا، فقد أباه عندما في الثالثة من عمره، بعد أن قتلته جمعية سرية تابعة لـ «قراصنة القديس يوحنا» كإنذار أولي لأمه التي رفضت التعاون معهم ووقف عملها في بحث تاريخي خطير لم ترد تلك الجمعية السرية أن يخرج للنور، ولكن أمه لم

تستسلم للقتلة، وقررت عوضًا عن ذلك الانتقام لزوجها من قادة تلك العصابة عن طريق كشف الحقائق التاريخية التي أراد هؤلاء الأشرار إخفاءها عن البشرية، فأرسلت لهم نسخة عن نتائج دراستها البحثية بعد أن قامت بإخفاء المعلومات الأكثر أهمية واستبدالها ببعض المعلومات المغلوطة، وحصلت منهم على مبلغ كبير من المال لاستخدامه في معركتها معهم وإقناعهم بشكل أكبر بأنها استسلمت لإغراءاتهم، ولكي تتمكن من استكمال بحثها بسرية، وخوفًا على نضال من أن يلحق به أي أذى، قررت الرحيل خارج فلسطين وتركه في عهدة عمته خديجة التي كانت تعلم بتفاصيل الخطة، وبعد رحيلها بأشهر قليلة اختلقت هي وعمته خبر وفاتها، وطلبت منها أن تشيع خبر وفاتها في كل مكان، وألا تخبر أحدًا بأنها ما زالت على قيد الحياة، وكانت تتواصل معها هاتفيًا بين الحين والآخر عبر طرق اتصال آمنة للاطمئنان على نضال ومتابعة كل ما يستجد في حياة نضال، وكانت تشارك العمة خديجة بطريقة غير مباشرة في تربيته، حتى أن كثيرًا من الألغاز التي كانت عمته تدربه عليها في صغره كانت هي من ترسلها.



وقراصنة القديس يوحنا ويطلقون على أنفسهم اسم «فرسان القديس يوحنا» «Knights of Saint John»، هم مجموعة إرهابية من أخطر المجموعات الإرهابية التي كانت تعيث الفساد في البحر المتوسط، فقد كان هؤلاء القراصنة يقومون بعمليات قرصنة بحرية ضد السفن التجارية، وخاصة سفن المسلمين منها، بداية نشأتهم كانت في الحروب الصليبية في فلسطين، كان يطلق عليهم اسم «فرسان الهوسبتالية» «Knights Hospitaller»، واشتهروا أثناء الحروب الصليبية بتطرفهم الدين وحقدهم الشديد على الإسلام والمسلمين، وقاموا بارتكاب عدد كبير من المجازر المروعة بحق المدنيين المسلمين في فلسطين، حتى طردهم منها القائد الكردي المسلم صلاح الدين الأيوبي، فانتقلوا بعد طردهم إلى جزيرة

رودس في البحر المتوسط، وجعلوها مقرًا لهم لشن عمليات القرصنة في البحر المتوسط، فصاروا يمثلون خطرًا كبيرًا على حركة التجارة الدولية في البحر المتوسط، وارتكبوا العديد من المجازر بحق المدنيين المسلمين بالتحديد، حتى قرر الخليفة العثماني العملاق السلطان سليمان القانوني وضع حد لجرائمهم بحق الإنسانية، فقاد بنفسه أسطولًا إسلاميًا ضخمًا واتجه به إلى رودس، فتحصن قراصنة القديس يوحنا داخل أسوار قلعتهم، فقامت المدفعية الإسلامية بدك حصون القلعة دون جدوى، عندها لم يتمكن المسلمون من العبور إليهم عبر جدران قلعتهم الحصينة، قرر القائد القانوني الزحف إليهم من تحت الأرض، فأمر الخليفة العثماني بحفر 50 نفقًا تحت أسوار قلعة رودس الحصينة، لتزحف من خلالها قوات العمليات الخاصة التابعة لجيش الخلافة الإسلامية العثمانية إلى قلب العدو، ليتم زرع الألغام الأرضية تحت أرض قلعة رودس الحصينة، ليتفاجأ هؤلاء القراصنة بالأرض وهي تتزلزل من تحت أقدامهم، وبعد ذلك صعقوا برؤية القوات الإسلامية الخاصة وهي تخرج لهم من تحت الأرض، فأعلنوا استسلامهم للخليفة سليمان القانوني الذي منحهم الأمان

مقابل انسحابهم الكامل من جزيرة رودس، لتتحول تلك الجزيرة الحصينة بعد ذلك إلى قاعدة عسكرية مهمة للبحرية العثمانية لمئات السنين.



بعد طردهم على يد القانوني، رحل قراصنة القديس يوحنا إلى جزيرة مالطا ليتخذوها مركزًا لهم، وسموا بعدها بـ «فرسان مالطا Knights of Malta»، وتحولت مالطا بعد ذلك إلى مركز جديد تنطلق منه عملياتهم الإرهابية ضد سفن المسلمين والمسيحيين على حد سواء، حتى قرر القائد الفرنسي نابليون

بونابرت التخلص من شرهم والقضاء عليهم بشكل نهائي عام 1798م، إلا أنهم وبالرغم من تشردهم ظلوا منظمين في أوروبا تحت تنظيم سري تحت غطاء الأعمال الخيرية، وقاموا بتأسيس «منظمة فرسان مالطا» التي كونت دولة افتراضية تعترف بها الآن ما يقرب من 100 دولة، وصار لهم ارتباطات قوية مع «فرسان المعبد» «Knights Templar»، الذين لديهم حاليًا تأثير سياسي قوي في العالم، وهناك مؤشرات وتقارير بأن إحدى أكبر شركات المرتزقة في العالم ما هي إلا واجهة جديدة لفرسان مالطة الصليبيين.

آريوس



كان البروفيسور بريستلي يجلس على مقعد مكتبه يستمع إلى نضال وهو يشرح بعض من جاء في البحث الذي يحمله بيده، وأخذ البروفيسور يقلب بعض الوثائق المكتوبة باللغة الإنجليزية المرفقة بالملف الذي كتب باللغة العربية، قبل أن يقوم البروفيسور من مقعده وهو يصيح بصوت يغمره الحماس:

- مذهل! هذا البحث مذهل! لقد توصلت أمك إلى معلومات مهمة عن الأريسيين، وأرفقت بحثها بوثائق خطيرة تدين قراصنة القديس يوحنا، وتثبت تورطهم في إخفاء تاريخ الأريسيين، وتؤكد ما كان يشاع عنهم بأنهم مجرد قتلة ومرتزقة يتخفون بلباس الدين، هذا البحث من شأنه تسليط الضوء على تاريخ الأريسيين المفقود، الذي أخفي عن البشرية لمئات السنين!

- تسليط الضوء على تاريخ الأريسيين المفقود؟! أخفي عن البشرية لمئات السنين؟! ردد عبد العزيز متسائلًا.

التفت البروفيسور بريستلي نحو عبد العزيز، ونظر إليه باستغراب وكأنه يراه للمرة الأولى، على الرغم من أن نضال عرّفهما على بعضهما البعض عند ردهة القصر، فابتسم نضال وقال للبروفيسور:

- صديقي عبد العزيز كان ينتظر لقاءك بفارغ الصبر يا بروفيسور، فقد أخبرته بأنك أفضل من يمكن أن يشرح له تاريخ الأريسيين الغامض، وبالمناسبة يا بروفيسور هو من شمال أفريقيا، وأمه أمازيغية، تمامًا مثل آريوس.

- ماذا؟ هل كان آريوس أمازيغيًا؟! سأل عبد العزيز.

تحرك البروفيسور بريستلي نحو خريطة كبيرة للعالم معلقة على جانب مكتبه، وأشار إلى منطقة تقع إلى الشرق من ليبيا، وقال لعبد العزيز:

- آريوس «Arius» قسيس من أصول أمازيغية من شمال أفريقيا، وهو ليبي المولد ومصري الموطن، ولد في «قورينا» شرقي ليبيا عام 256، وعاش حياته في «الإسكندرية» التي كان بها قسيسًا على إحدى كنائسها، تلقى آريوس تعليمه في مدينة أنطاكية شمال بلاد الشام على يد أحد أهم الشخصيات في التاريخ المسيحي على الإطلاق، وهو القسيس السوري لوسيان الأنطاكي «Lucian of Antioch»، الذي يسميه المسيحيون الآن سانت لوسيان «Saint Lucian»، أي القديس لوسيان، ويطلقون عليه أيضًا لقب لوسيان الشهيد «Lucian the Martyr».



لوسيان الأنطاكي "الشهيد" كما تصوره الكنيسة

- ولماذا أطلق على معلم آريوس لوسيان الأنطاكي لقب الشهيد؟ سأل عبد العزيز.

- لأنه قتل نتيجة إيمانه من قبل الإمبراطور الروماني الوثني مكسيميان «Maximian»، فقد كانت أغلب المناطق المسيحية في ذلك الوقت واقعة تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية التي كانت الديانة الوثنية الرومانية هي الديانة الرسمية للدولة. أجاب نضال.



عملة معدنية تحمل صورة الامبراطور مكسيمينوس "مكسيمين"

-هذا يعني أن آريوس كان تلميذًا لأحد أعظم العلماء الأوائل للمسيحية الذين قدموا حياتهم في سبيل إيمانهم، لا بد أن رجال الكنيسة يكنون لآريوس احترامًا كبيرًا أيضًا. قال عبد العزيز.

ابتسم نضال والبروفيسور بريستلي وهما ينظران إلى بعضهما البعض بعد سماعهما لكلام عبد العزيز.

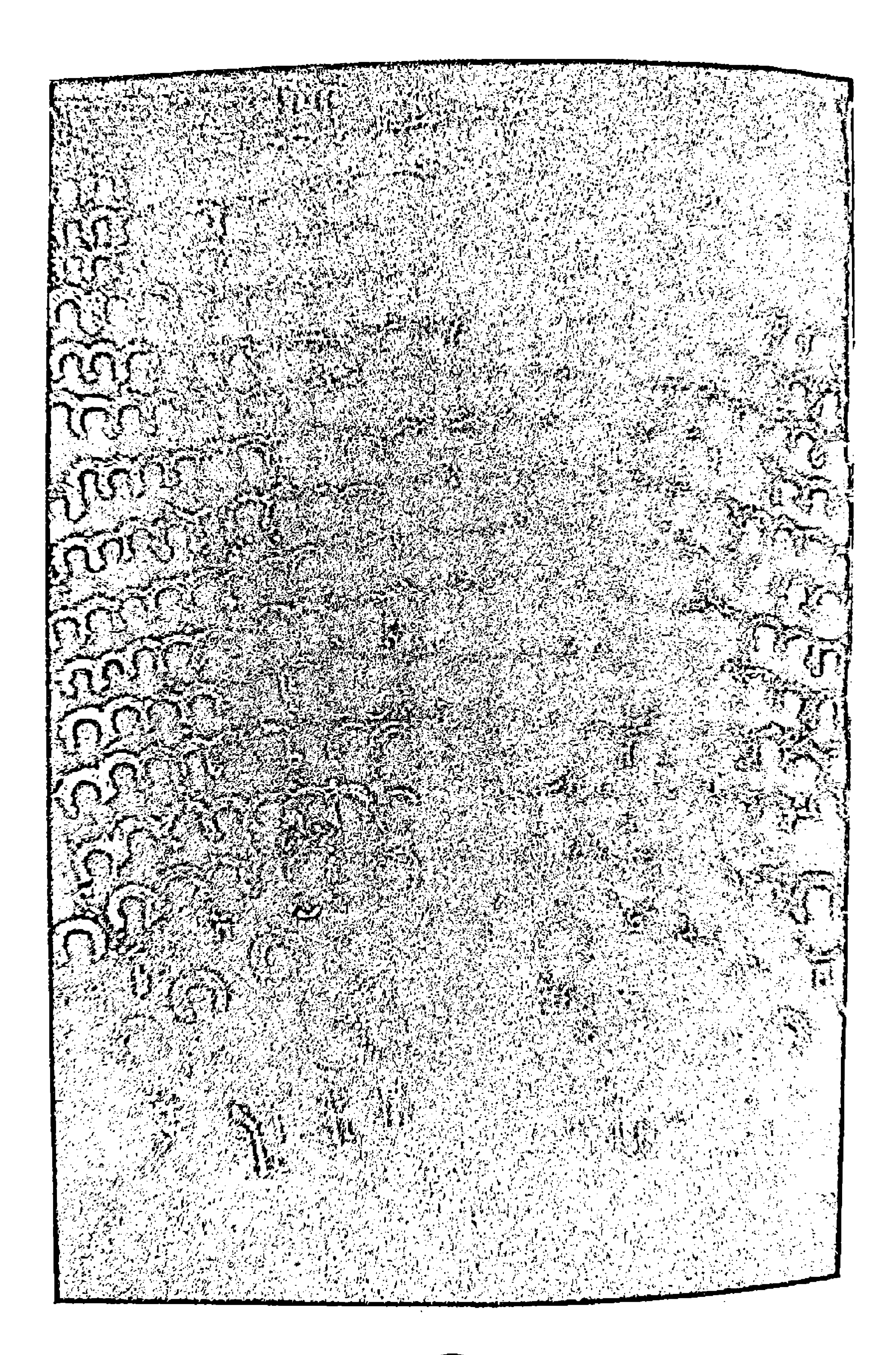
- هل قلت شيئًا طريفًا يدعو للابتسام؟! سأل عبد العزيز مستغربًا.

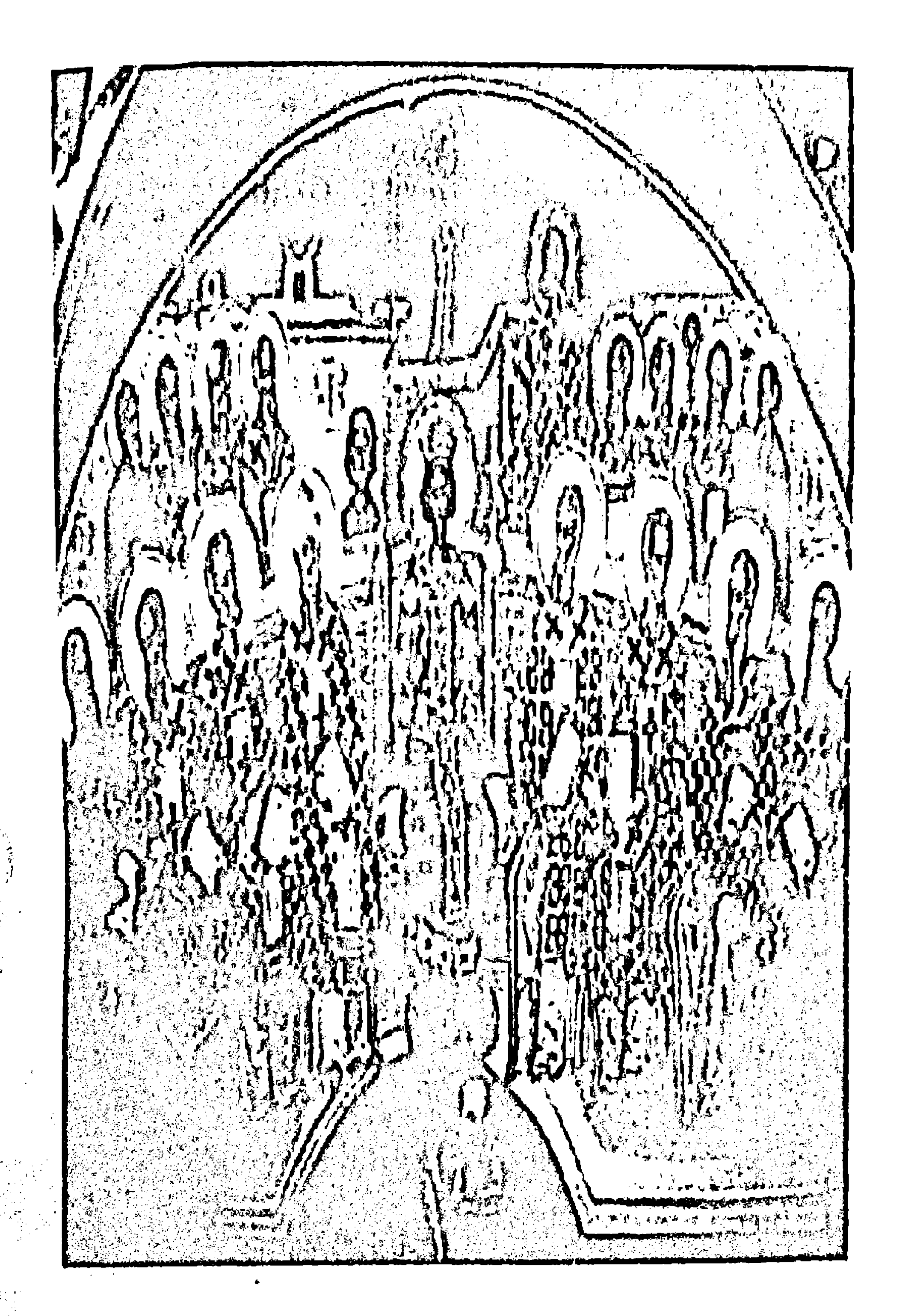
- تعال يا عبد العزيز، أريد أن أريك بعض الصور لكي تعرف مدى تقدير رجال الكنيسة لآريوس. قال البروفيسور بريستلي.

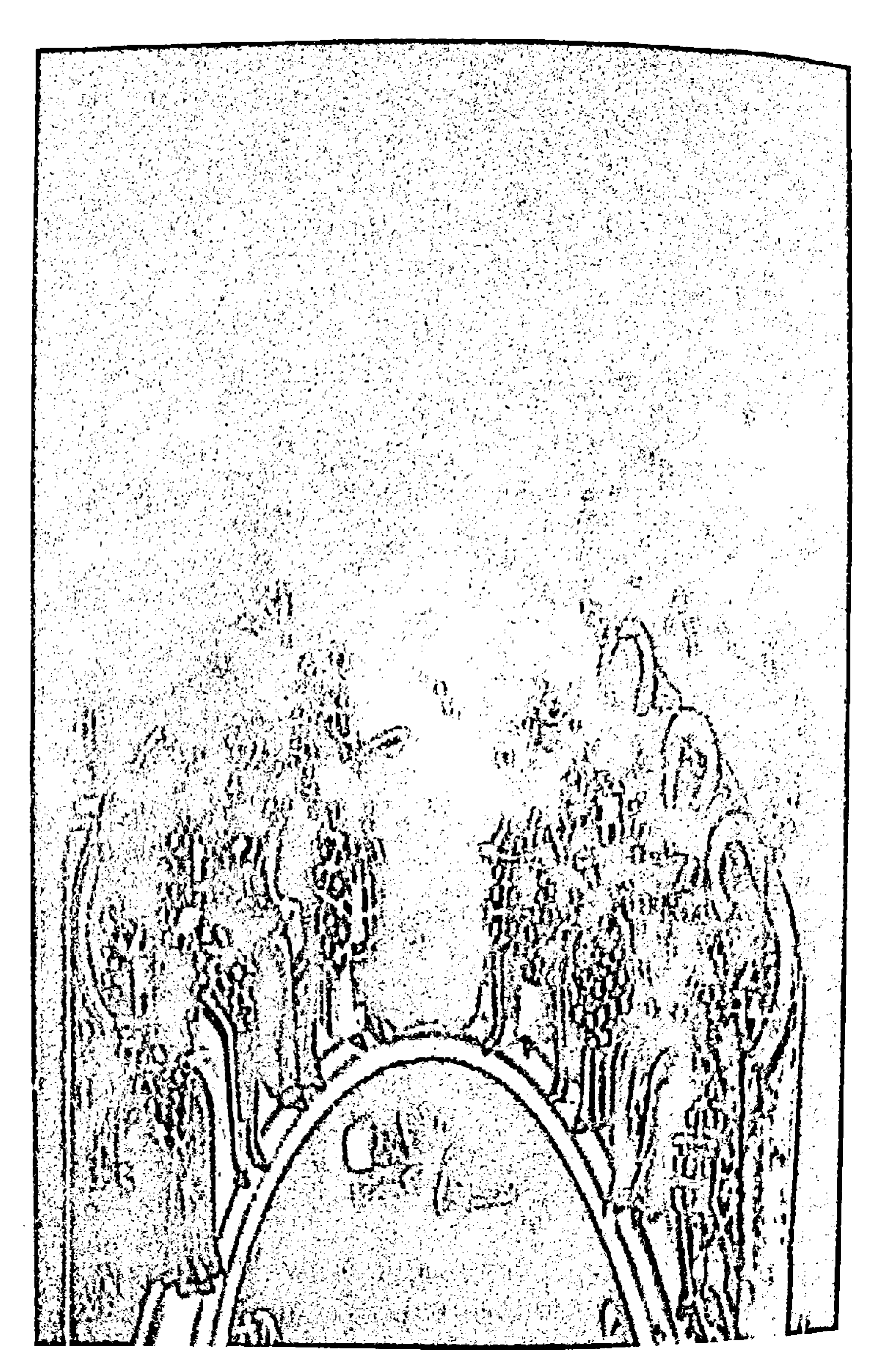
أخرج البروفيسور توماس بريستلي بعض الكتب القديمة من أرفف مكتبته، وأخذ يشير إلى بعض الصور الموجودة فيها وهو يقول لعبد العزيز:

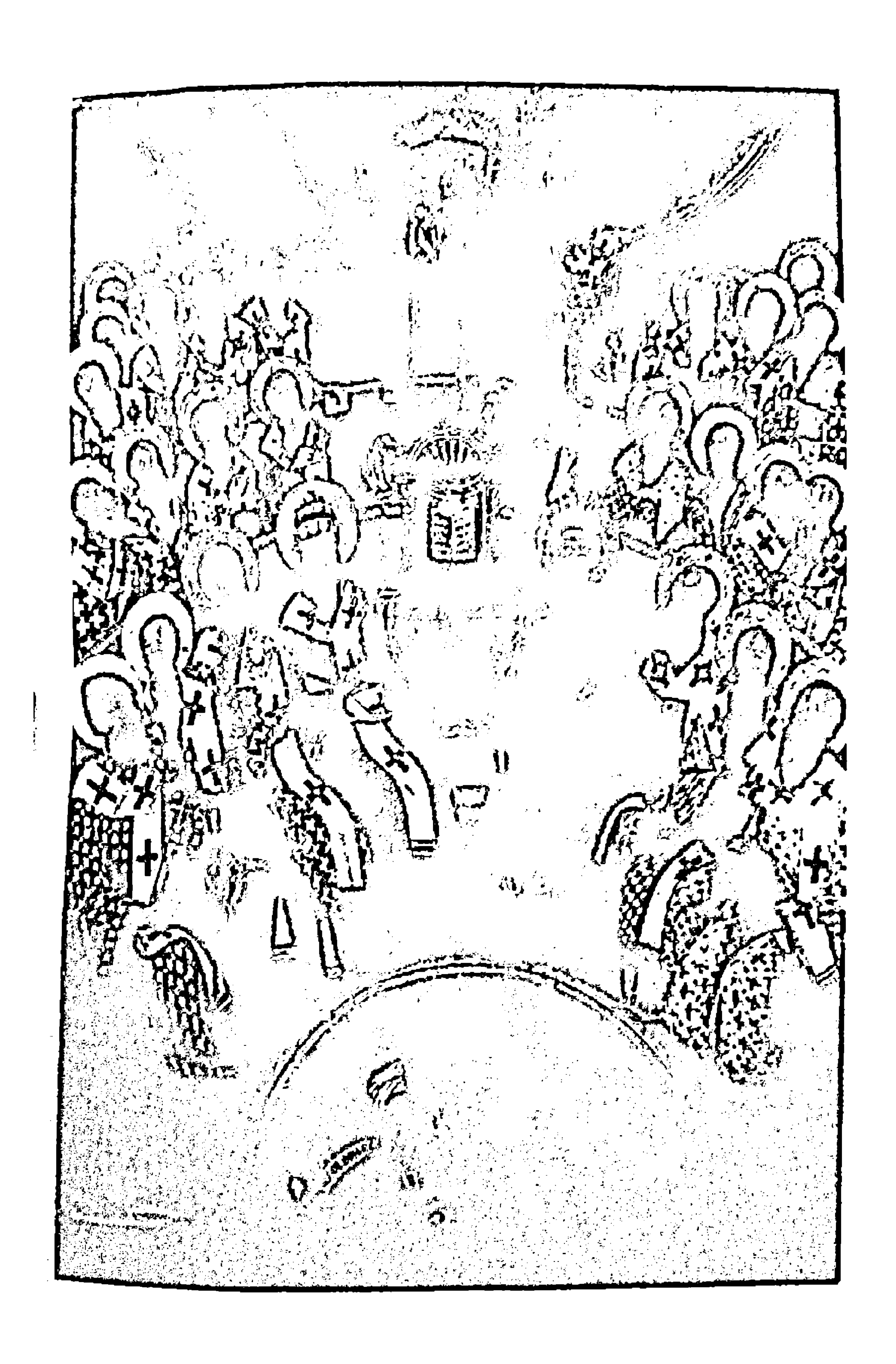
- انظر إلى هذه الصور، هل ترى هذا الشخص الذي توضع صورته بشكل مهين تحت أرجل رجال الكنيسة، هذا هو آريوس كما تريد الكنيسة تصويره، فلو ركزت إلى ما يكتب أحيانًا إلى جانب صورته، ستجد اسم آريوس مكتوبًا إما بالأحرف اليونانية أو اللاتينية، فقد كان أريوس ولا يزال العدو الأول لرجال الكنيسة المتنفذين، لذلك عملوا عبر التاريخ على تجسيده في لوحاتهم وأدبياتهم بأبشع الصور التي تحاول الحط من قدره في نظر عامة المسيحيين، لكي يخيفوا المسيحيين البسطاء من هذا الرجل، ويمنعوهم من البحث في سيرته وحقيقة دعوته.











-ولكن لماذا كل هذا الكره لآريوس؟ ما الذي صنعه هذا القسيس الأمازيغي لكي تقوم الكنيسة برسمه بهذه الطريقة المهينة في كل هذه اللوحات؟ تساءل عبد العزيز.

-الإجابة بكل بساطة هي أن آريوس وقف في وجه تحالف بين الرومان الوثنيين وبعض رجال الكنيسة الذين قرروا تحويل المسيح رسميًا إلى رب معبود بداية القرن الرابع الميلادي. أجاب البروفيسور بريستلي.

-القرن الرابع الميلادي! ولكن كيف كان الإيمان المسيحي خلال ما يقرب من ثلاثمائة عام سبقت هذا التاريخ؟ سأل عبد العزيز باستغراب.

نظر نضال في عيني أستاذه البروفيسور بريستلي وكأنه يطلب الإذن منه للحديث في حضرته، فأومأ البروفيسور برأسه مشيرًا له بالإذن.

-حسنًا يا عبد العزيز، بعد المسيح وحتى انعقاد جلسات مجمع نيقية في عشرينات القرن الرابع الميلادي، لم يكن غالبية المسيحيين يعتبرون أن المسيح رب معبود، صحيح أنه كان هناك من يبالغون في



قدراته وصفاته وإضفاء صفات خارقة له، ولكن قليلون جدًا من اعتبروه إلهًا، وفي القرن الأول الميلادي بعد المسيح مباشرة ظهرت حركة «المساكين» أو «الفقراء» أو كما يعرفوا تاريخيًا«الإبيونيين» «Ebionites»، نسبة للكلمة العبرية «إبيونيم» وتعني «فقير أو مسكين»، وهؤلاء من بني إسرائيل الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، آمنوا بأنه المسيح الذي ينتظره اليهود، وأنكروا ألوهيته، أي أنهم كانوا موحدين، لذلك يطلق عليهم بعض المؤرخين اسم «اليهود المسيحيين» «Jewish Christian»، وهذه الحركة كانت تعتبر «بولس الرسول» «Paul the Apostle» مرتدًا عن دين المسيح، وفي القرن الثاني الميلادي ظهر ثيودوتس البيزنطي « Theodotus of Byzantium» وأتباعه، وهؤلاء كانوا أيضًا من الموحدين، ولم يقروا بفكرة ألوهية المسيح، وفي القرن الثالث الميلادي ظهر أسقف أنطاكيا الشهير بولس الشمشاطي «Paul of Samosata»، وبالمناسبة أنطاكية كانت بمثابة العاصمة الدينية للمسيحيين في ذلك الوقت، والشخص الذي كان يرأس أسقفيتها كانت له مكانة كبيرة بين المسيحيين، ولك أن تتصور أن أسقف هذه المدينة بولس الشمشاطي كان أيضًا من الموحدين الرافضين لفكرة ألوهية المسيح، وكان في حماية الملكة

السـورية العظيمـة زنوبيـا ملكـة تـدمر « Zenobia, Queen of Palmyra»، والظـاهر أن زنوبيـا التـي كانـت تحمـي هـذا الأسـقف المسيحي الموحد كانت أيضًا من الموحدين.

- لم أكن أتخيل يومًا أن زنوبيا ملكة تدمر لها علاقة بالتوحيد! ولكن ماذا حصل لبولس الشمشاطي بعد هزيمة الملكة التي كانـت تحميه؟ تساءل عبد العزيز.

- لأول مرة في التاريخ تدخلت الإمبراطورية الرومانية الوثنية لعزل أسقف مسيحي، فقد قام الإمبراطور الروماني الوثني أوريليـان «Aurelian» بعزل هذا الأسقف المسيحي الموحد تلبيـة لأسـاقفة بعـض كنـائس رومـا المعـادين لعقيدتـه التوحيديـة، والـذين اعتـبروه مهرطقًا خارجًا عن تعاليم المسيحية.





الامبراطور الروماني أوريليان.

- وهل اندثرت أفكار بولس الشمشاطي التوحيدية بعد عزله؟ سأل عبد العزيز.

- على الإطلاق، فالفكرة لا تموت بعد اختفاء صاحبها يا صديقي، خاصة إذا كان لصاحب تلك الفكرة تلاميذ أوفياء من أمثال لوسيان الأنطاكي.

- ماذا؟! لوسيان الأنطاكي الذي تعتبره الكنيسة قديسًا من قدّيسيها كان من تلاميذ هذا الأسقف الموحد الذي تعتبره نفس الكنيسة كافرًا مهرطقًا؟!! تساءل عبد العزيز بتعجب.

-وآريوس الذي تعتبره الكنيسة كافرًا مهرطقًا كان بدوره تلميذًا من تلاميذ هذا الأسقف الذي تسميه الكنيسة لوسيان الشهيد! هل فهمت شيئًا من هذه المعادلة العجيبة؟! سأل البروفيسور بريستلي بانفعال.

- ولكن ما الذي فعله آريوس لكي تعاديه الكنيسة عبر التاريخ بكل هذه الشراسة. تساءل عبد العزيز من جديد.

- عبد العزيز هل قرأت رواية الكاتب الأمريكي دان براون «شفرة دافنشي» «The Da Vinci Code»؟

- كلا يا بروفيسور، ولكني سمعت عنها.

- هل سمعت بردة فعل الكنيسة على هذه الرواية؟

- سمعت أن الفاتيكان اعترض عليها وطلب من المسيحيين المؤمنين عدم قراءتها، وذلك لأن الرواية تظهر بأن المسيح تزوج من إحدى النساء وأنجب منها.

ابتسم البروفيسور بريستلي ابتسامة ساخرة ثم قال:

- هذا ما يحاول رجال الفاتيكان إيهامه للناس، ولكن الحقيقة أن اعتراض الكنيسة الكاثوليكية على شفرة دافنشي كان لسبب أكبر من ذلك بكثير، وهو أن دان براون كشف بذكاء في روايته الشهيرة التاريخ الذي أخفاه الفاتيكان لمئات السنين عن عامة الكاثوليك البسطاء، وذكر الحقيقة البسيطة التي يعلم رجال الكنيسة الكاثوليكية أن اكتشافها يعني نهاية لقوتهم الرهيبة التي استمدوها من سلطتهم الدينية على ما يزيد عن المليار من المؤمنين الكاثوليك في أنحاء العالم.

- وما هي هذه الحقيقة؟ سأل عبد العزيز.

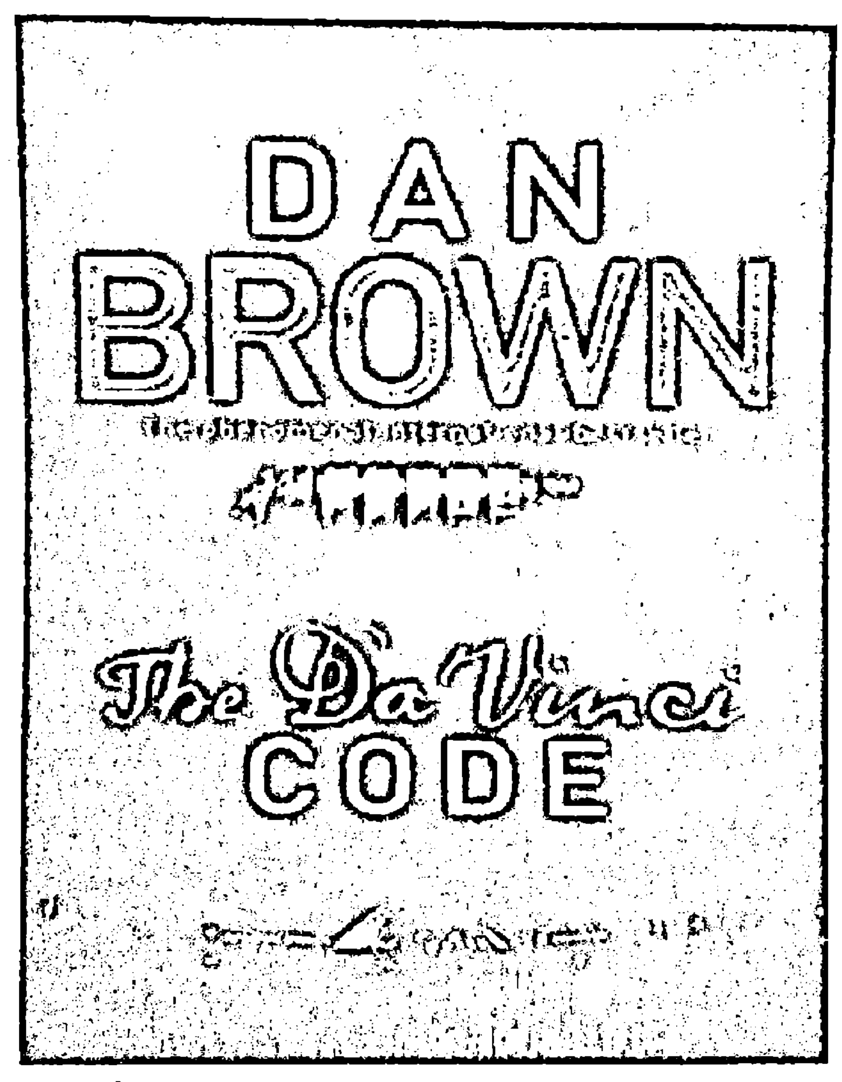
- هذه الحقيقة البسيطة التي ذكرها دان براون في شفرة دافنشي هي أن المسيح مجرد إنسان وليس إله، وأن المسيحية الحديثة ما



هي إلا «نسخة محدثة عن الوثنية» التي أنشأها الرومان!

- وما هو ذلك التاريخ الذي قلت إن الفاتيكان حاول إخفاءه لمئات السنين وكشفه دان براون بذكاء في روايته؟

- إنه تاريخ «مجمع نيقية» «Council of Nicaea» الذي ذكر بعض تفاصيله في الفصل الخامس والخمسين من شفرة دافنشي.



- عُدنا إلى مجمع نيقية من جديد! نضال ألم يحن الوقت لكي أعرف قصة هذا المجمع؟!

نظر نضال إلى البروفيسور توماس بريستلي وقال له:

- بروفيسور، لقد وعدت صديقي أن أطلب منك أن تشرح له حكاية مجمع نيقية، هلا تفضلت وشرحتها له بطريقتك البسيطة كما شرحتها لنا في الجامعة؟

- بكل سرور، الحكاية بدأت في مدينة الإسكندرية المصرية بداية القرن الرابع، في تلك الأثناء...

ما إن بدأ البروفيسور بريستلي بالحديث عن مجمع نيقية، حتى طُرق باب المكتب، ليتوقف البروفيسور بريستلي عن الكلام وهو ينظر نحو الباب، بعدها دخل رجل ستيني بشعر أبيض ناصع البياض، يلبس بدلة سوداء وقفازات بيضاء، ويتحرك بخطوات متشابهة وكأنه إنسان آلي، ثم توجه نحو البروفيسور بريستلي وقال بصوت رسمي:

- المعذرة على المقاطعة يا سيد بريستلي، ولكن الشاي أصبح جاهزًا في قاعة المعيشة. قال الرجل.

- حسنًا شكرًا لك يا سيد واتسون، سنأتي حالًا لشرب الشاي. قال البروفيسور.

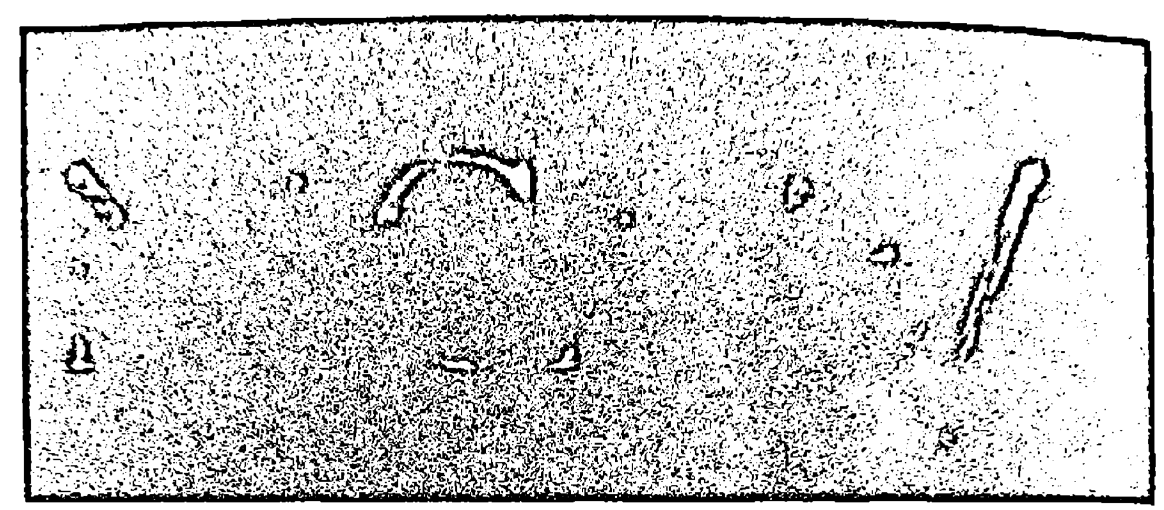


بعدها قام البروفيسور بريستلي من مقعده، وقال:

-أعتقد أيها الشابان أننا سنكمل الحديث عن مجمع نيقية في قاعة المعيشة ونحن نشرب الشاي الإنجليزي.



مجمع نيقية



تناول البروفيسور توماس بريستلي كوبه من على المائدة الكبيرة في قاعة المعيشة، وارتشف قليلاً من الشاي، ثم بدأ بالتحدث موجهًا حديثه إلى عبد العزيز:

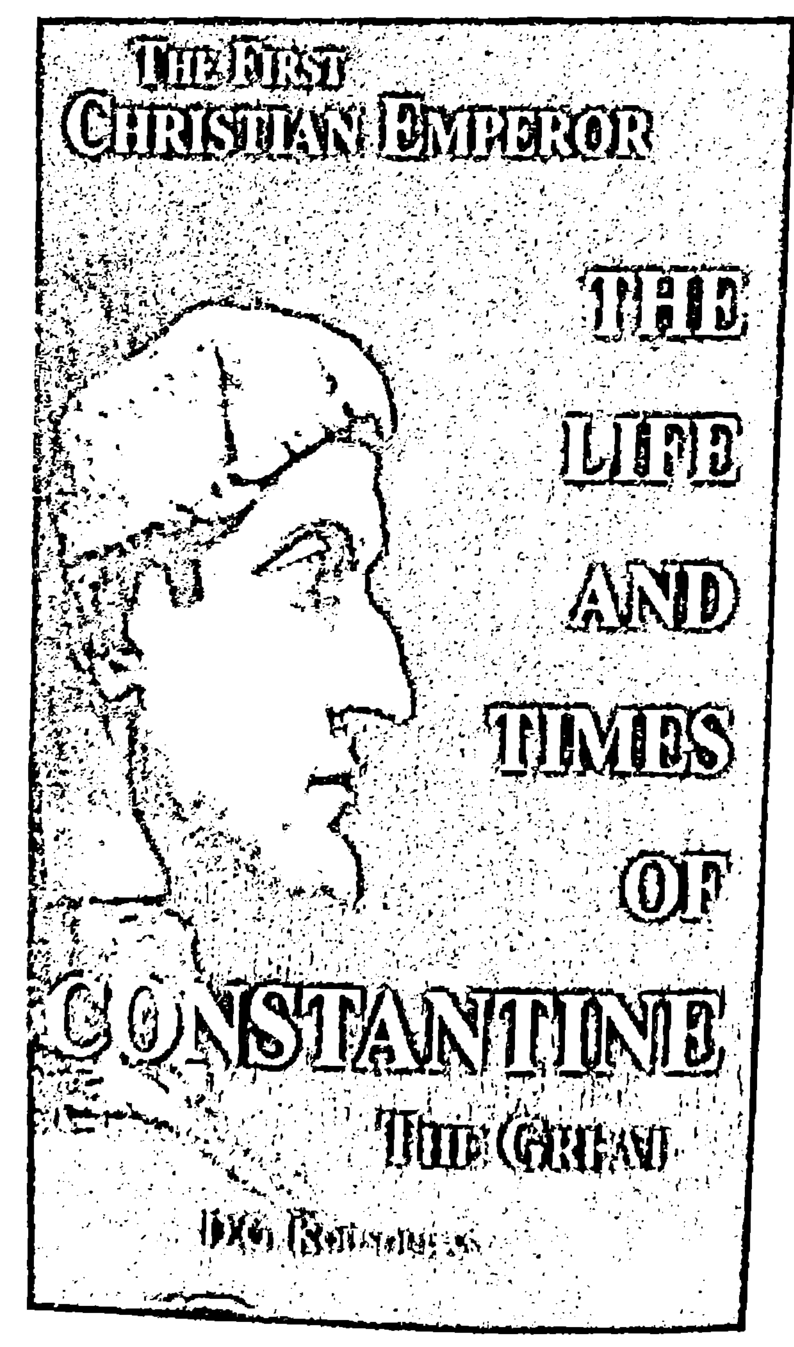
- الحكاية بدأت مع مطلع القرن الرابع الميلادي، في ذلك الوقت ظهر على السطح في مدينة الإسكندرية المصرية صراع كبير بين فريقين، الفريق الأول ويقوده الأسقف ألكسندروس الأول أسقف الإسكندرية «Alexander I of Alexandria »، هذا الفريق كان من الداعين إلى فكرة تأليه المسيح، أما الفريق الثاني، فكان بقيادة القسيس آريوس «Arius»، الذي كان قسيسًا على إحدى

الكنائس الصغيرة في الإسكندرية، هذا الفريق تصدى لفكرة تأليه المسيح، وكان من ضمن فريق الموحدين في مصر «ميلوتيوس» أسقف أكبر مدن الصعيد مدينة ليكوبوليس المعروفة بمدينة أسيوط حاليًا، ولما اشتد الصراع بين الفريقين كثف آريوس من تحركاته في دعوة الناس إلى توحيد الله، فأقبل كثير من المسيحيين على دعوة آريوس التوحيدية، وبات هذا الأمر يسبب إزعاجًا لأسقف الإسكندرية.

-ولكن كيف استطاع قسيس مثل آريوس يعمل في كنيسة صغيرة في الإسكندرية مواجهة رجل دين كبير مثل أسقف الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت؟ تساءل عبد العزيز.

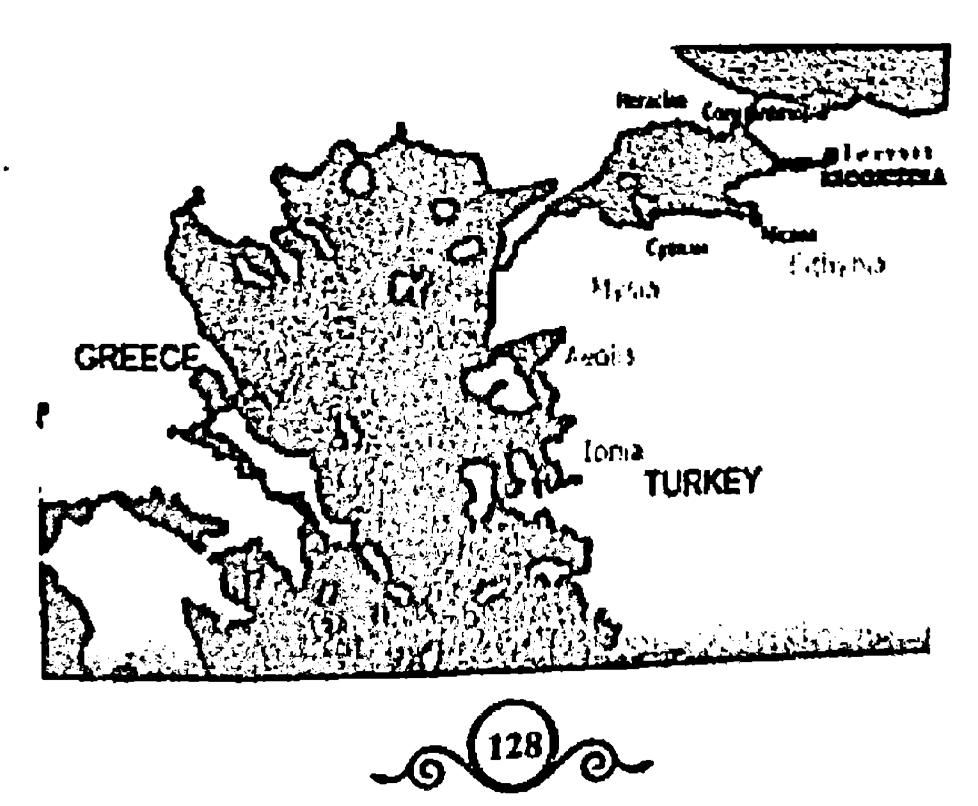
-آريوس كان يتمتع بقدرة كبيرة على الإقناع بالحجج والبراهين، فهو تلميذ المعلم المسيحي الكبير لوسيان الأنطاكي، وقد أحس عامة الشعب البسطاء بصدقه وإخلاصه لدعوة المسيح. يصفه البروفيسور ديميتريوس كوسولاس «Dimitrios Kousoulas» في كتابه «حياة وزمن قسطنطين العظيم» «The life and times of Constantine the Great»: (كانت بلاغته وجلسته الوقورة وزهده في الحياة قد بدأت في اجتذاب أتباع كثيرين، كان طويلا، رشيق القامة، ذو نظرات

جذابة، يرتدي دائما رداءا أبيضا بدون أكمام)، ويضيف البروفيسور ديميتريوس كوسولاس في كتابه: (لم يكن آريوس من نوع الرجال الذين يمكن إسكاتهم بسهولة، كما لم يكن وحده الذي يؤمن بهذه المعتقدات، بل كان كثير من الأساقفة والكهنة في الشرق يفضلون تعاليمه).



-وماذا فعل أعداء آريوس لوقف دعوته التوحيدية؟ سأل عبد العزيز.

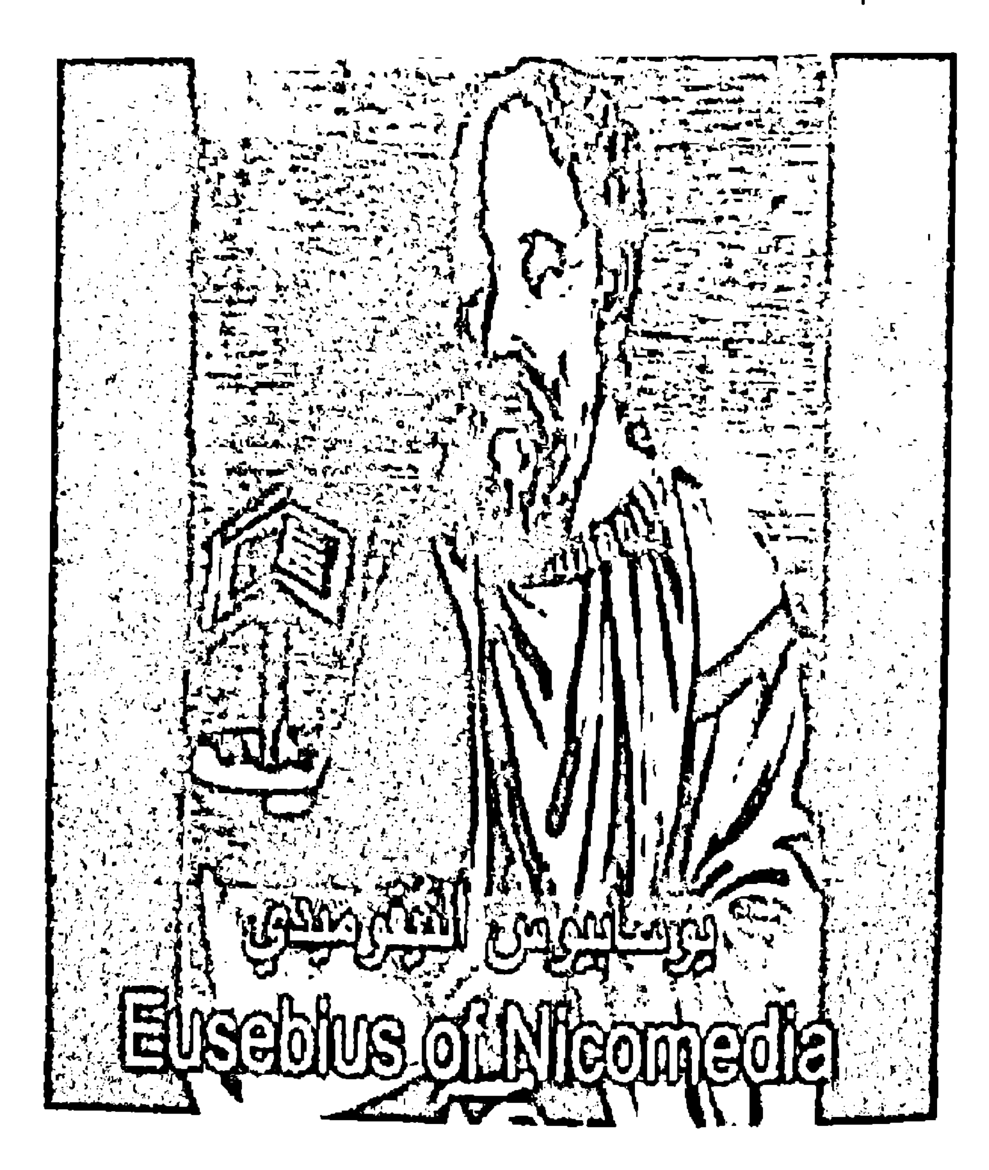
- بعد أن انتشرت دعوة التوحيد المسيحية انتشارا كبيرا في مدينة الإسكندرية، أصدر أسقف هذه المدينة ألكسندروس الأول قرارا كنسيًا بعزل آريوس من كنيسته الصغيرة، ولكن وبالرغم من تلك الحرب التي شنتها الكنيسة عليه، استمر هذا القسيس المسيحي في دعوة التوحيد، فبعث برسالة يطلب فيها التأييد لقضيته من أحد زملائه في الدراسة عند معلمه لوسيان الشهيد، هذا الزميل اسمه « يوسابيوس النيقوميدي» «Eusebius of Nicomedia»، نسبة لمدينة نيقوميديا في الأناضول التي كان أسقفها، وكان في السابق أسقفًا لمدينة «بيروتاس» أي مدينة بيروت اللبنانية، قبل أن ينتقل إلى نيقوميديا.



- عبد العزيز، تذكر اسم هذا الرجل جيدًا، سيكون له دور بارز في صناعة المستقبل، وسيعمل بشكل كبير على تغيير مجرى التاريخ ورسم خريطة الأرض بعد ذلك.

قال نضال مقاطعًا.

-بالفعل يا نضال، هذا الرجل عبقري بالفعل. قال البروفيسور معقبًا على كلام نضال.



- وكيف كانت ردة فعل يوسابيوس هذا على رسالة زميله آريوس؟ سأل عبد العزيز.

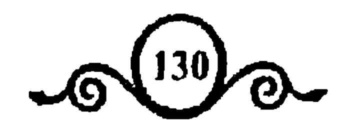
- آريوس عنون رسالته إلى يوسابيوس بكلمة تدعو للتأمل، قال له: «يا تلميذ لوسيان» «Fellow Lucianist»!

- هذا يعني أن آريوس أراد تذكير زميله بما تعلماه في مدرسة معلمهم لوسيان الشهيد، مما يشير إلى أن أستاذهم لوسيان الذي تعتبره الكنيسة قديسًا كان أيضًا على عقيدة التوحيد، ولا يؤمن بتأليه المسيح، أي أن آريوس كان على نهج معلمه، وإلا فما الذي يدعوه لتذكير زميله يوسابيوس بما تعلماه عن أستاذهم؟! قال عبد العزيز.

- هذا هو الظاهر من ذلك، خاصة أن يوسابيوس أعلن بوضوح بعد تلقيه لتلك الرسالة تأييده الكامل لقضية آريوس، والوقوف مع دعوته التوحيدية أمام فكرة تأليه المسيح التي دعا إليها بقوة أسقف الإسكندرية ألكسندروس.

-وما الذي حصل بعد ذلك؟ سأل عبد العزيز وقد بدا الحماس على صوته.

- وصلت أخبار هذا الصراع إلى بقية الكنائس المسيحية،



فأعلن بقية تلاميذ لوسيان الشهيد الذين أصبحوا أساقفة كبار تأييدهم لدعوة التوحيد التي حمل لواءها آريوس، وبعثوا برسائل تأييد إلى زميلهم آريوس، وبعد ذلك أعلن عدد من كبار أساقفة العالم المسيحي تأييدهم لدعوة التوحيد.

- هذا يعني أن آريوس انتصر في معركته الفكرية أمام مؤلهي المسيح! قال عبد العزيز.

- هذا على الأرجح الذي كان سيحدث لو أن المعركة بقيت فكرية ولم تتحول إلى سياسية! قال نضال.

- وما علاقة السياسة بمثل هذه القضية الفكرية أصلًا؟ تساءل عبد العزيز.

- عبد العزيز، ما هو أكثر شيء يطمح إليه السياسي؟ سأل البروفيسور.

- بالتأكيد السلطة والنفوذ. أجاب عبد العزيز.

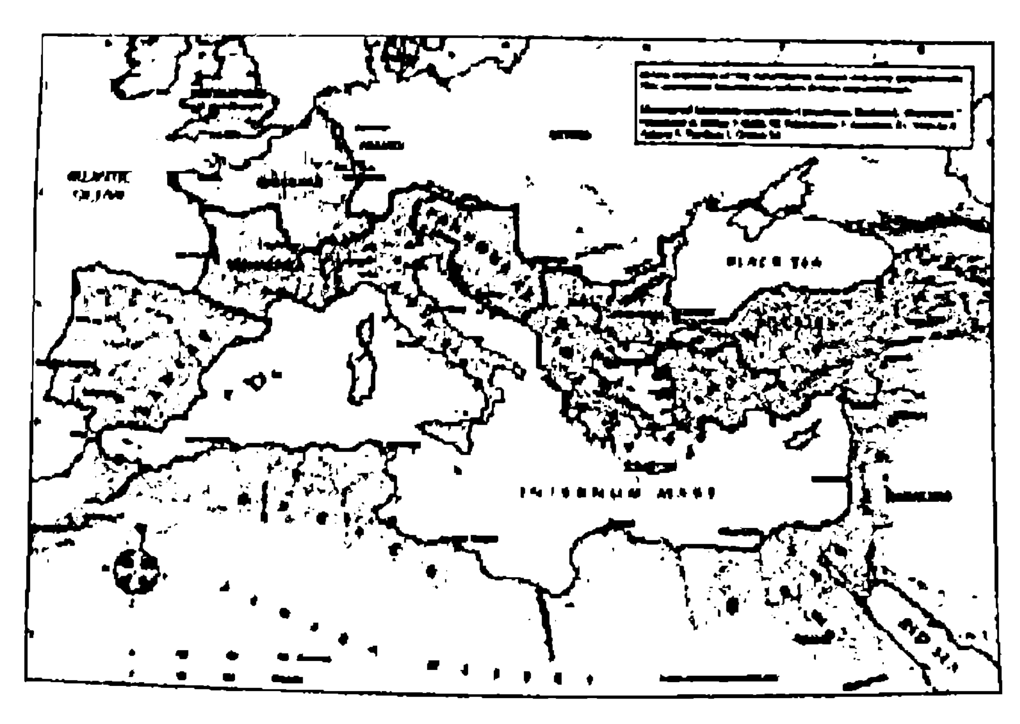
- أحسنت، السلطة والنفوذ، وليس هناك شيء في التاريخ ينقاد إليه البشر مثل الدين، لذلك حرص كثير من أهل السياسة عبر التاريخ قديمًا وحديثًا على تطويع الدين لمصالحهم، وإخضاع رجال الدين بحيث يكونون كهنة لهم، يضفون على قراراتهم الفردية



قدسية دينية، أي أنهم يعملون على تحويل الدين إلى وسيلة ينالون من خلالها الدعم والتأييد من شعوبهم.

- وكيف حصل ذلك في زمن آريوس؟ تساءل عبد العزيز.

- في ذلك الزمن كانت أغلب الكنائس موجودة ضمن أراضي الإمبراطورية البيزنطية الرومانية، وكان الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية هو الدين الوثني الروماني، وبعد ما يزيد على 300 عام من ميلاد المسيح، بدا واضحًا أن الدين الروماني الوثني في طريقه أمام الانحصار أمام المد المسيحي، وقد شهدت أرجاء الإمبراطورية عبر سنوات طويلة صراعات دينية دامية بين المسيحيين والوثنيين، لذلك فكر الإمبراطور الروماني في ذلك الوقت في عمل خلطة دينية تلائم جميع شعوب الإمبراطورية الرومانية الواسعة.



- ومن الذي كان يقود الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت؟ سأل عبد العزيز.

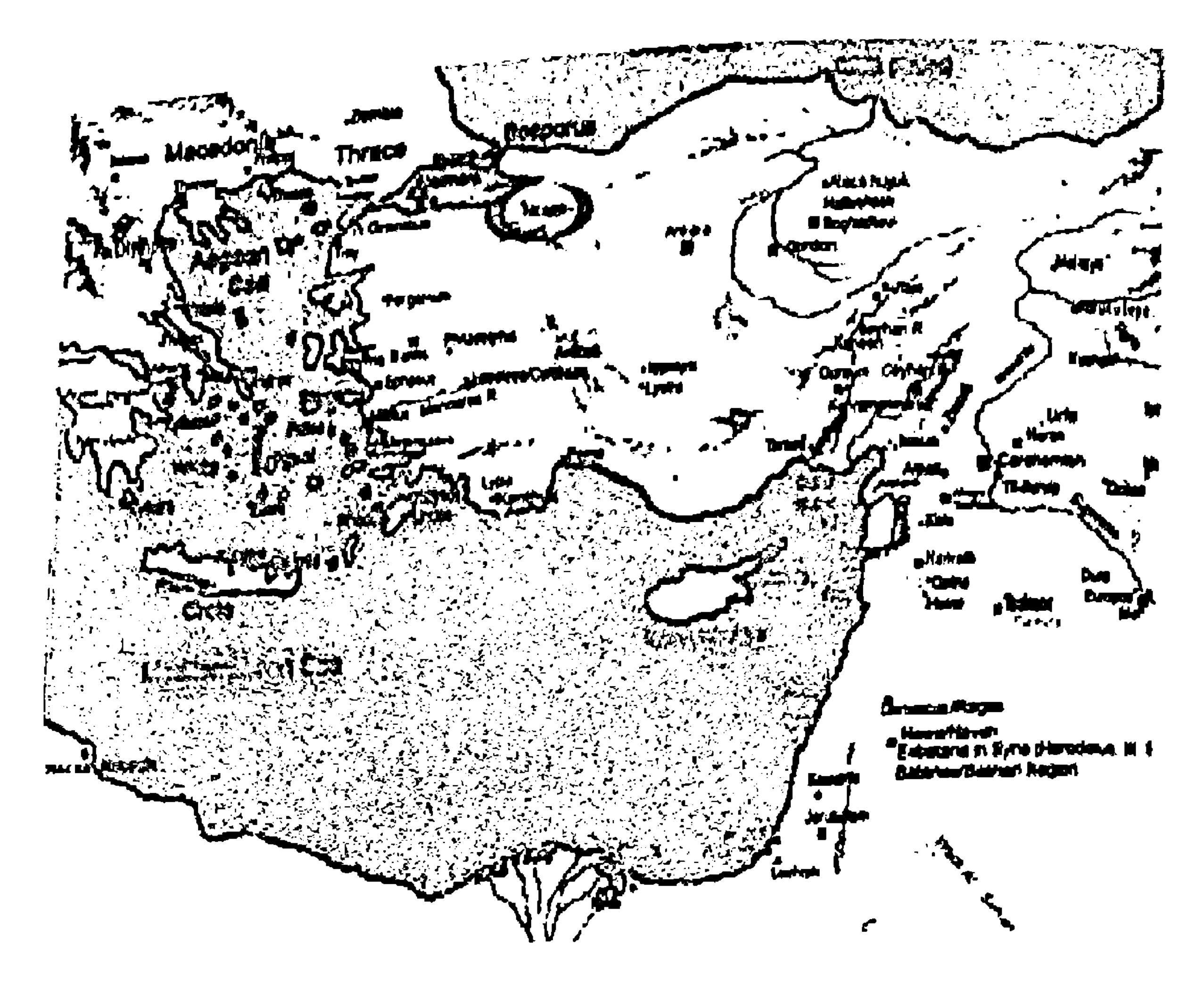
-كان على رأس الإمبراطورية في ذلك الوقت الإمبراطور الروماني «قسطنطين الأول» المعروف باسم «قسطنطين العظيم» «Constantine the Great».



- وما دور هذا الإمبراطور الروماني في الصراع الفكري المسيحي الذي ظهر في ذلك الوقت؟ سأل عبد العزيز.



- الإمبراطور قسطنطين العظيم استطاع في ذلك الوقت أن يوحد أرجاء الإمبراطورية الرومانية بعد حرب أهلية طاحنة، وأراد في ذلك الزمن أن يثبت حكمه في أرجاء الإمبراطورية عن طريق السيطرة على السلطة الدينية للمسيحيين، وتطويع المسيحية بحيث تصبح أقرب إلى الوثنية الرومانية التي كان يدين بها، خاصة بعد أن لاحظ أن الصراع بين فريق الموحدين المسيحيين وفريق مؤلهي المسيح بدأ يأخذ طابعًا تهديديًا للسلم الاجتماعي في مدن إمبراطوريته، فدعا الإمبراطور قسطنطين جميع أساقفة الإمبراطورية إلى الاجتماع في مدينة تقع بالقرب من إسطنبول التركية، هذه المدينة تسمى مدينة «نيقية» «Nicaea»، وتعرف حاليًا بمدينة «إزنيك» «İznik»، وكان هدف هذا المؤتمر بحث مسألة تأليه المسيح، فاجتمع الأساقفة من مختلف أرجاء العالم المسيحي في أول مؤتمر ديني مسيحي في التاريخ، والذي عرف بالمجمع المسكوني الأول «مجمع نيقية» «Council of Nicaea».



- وبدأت جلسات المجمع في العشرين من شهر مايو واستمرت إلى الخامس والعشرين من شهر يوليو من عام 325م، وقد حرص الإمبراطور قسطنطين العظيم على الحضور والتدخل بنفسه إلى جلسات المؤتمر.

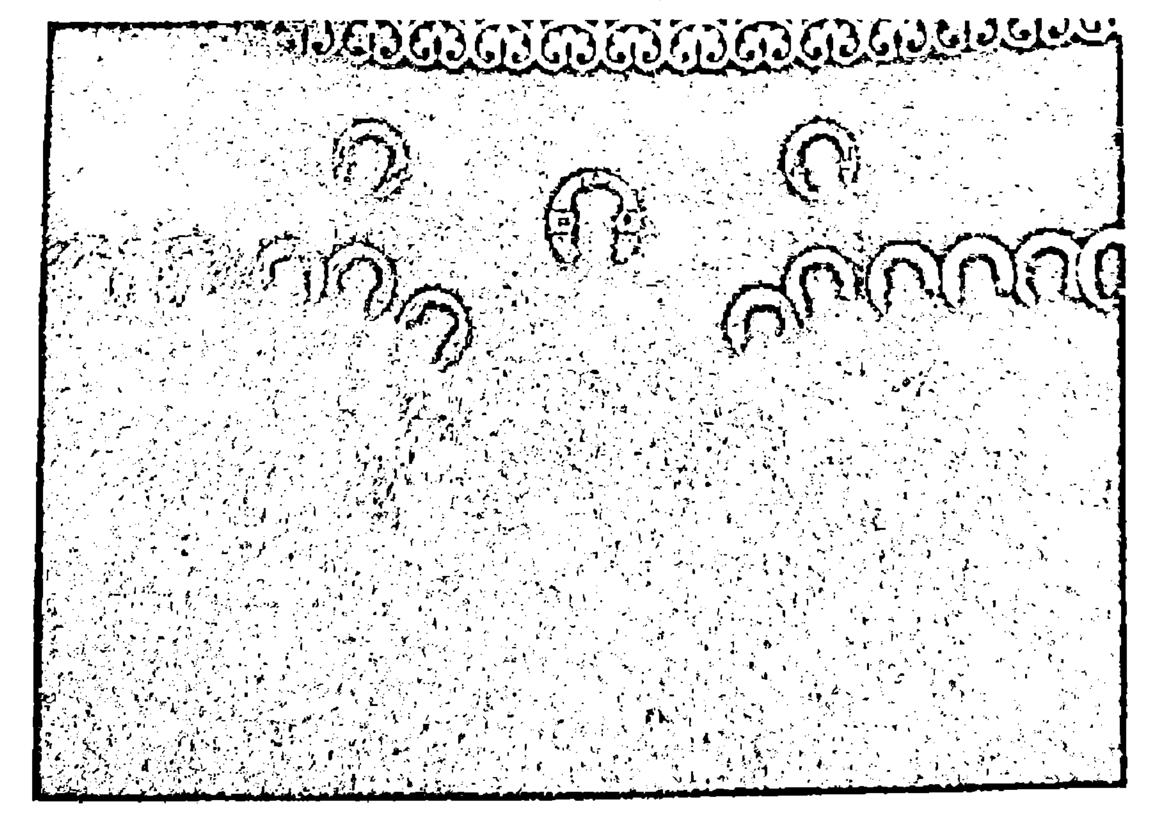
- المعذرة يا بروفيسور، ولكن ما علاقة الإمبراطور قسطنطين الوثني بمؤتمر يناقش قضية مسيحية داخلية؟! الرجل وثني! فما الذي دعاه لحضور مؤتمر لدين آخر غير دينه؟ وكيف له أن يفهم أصلًا نقاشات عقائدية تتعلق بطبيعة المسيح؟! تساءل عبد العزيز مستغربًا.

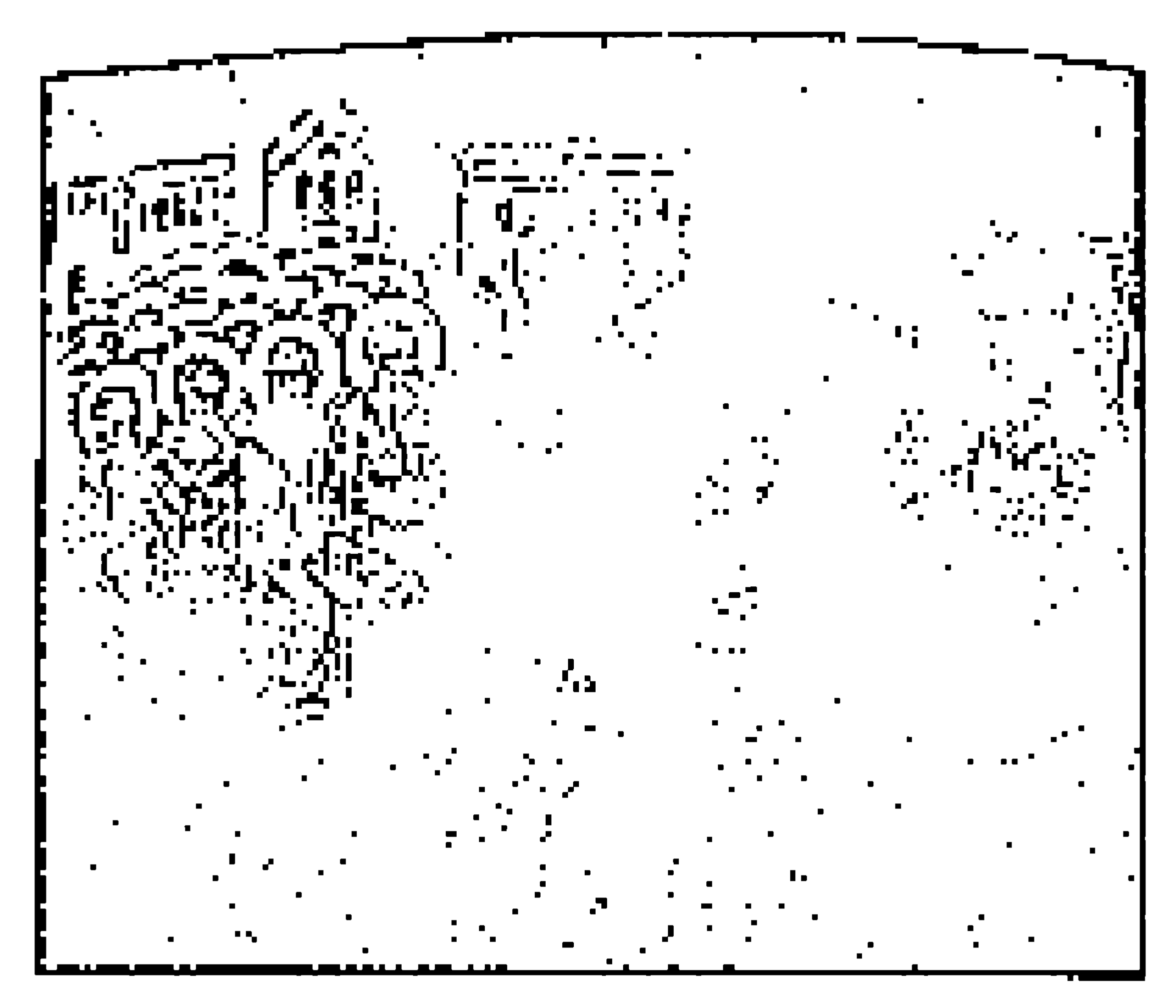
- عبد العزيز، هل تتذكر تلك الصور التي أراك إياها البروفيسور في بداية حديثنا؟ سأل نضال مبتسمًا.

- نعم أتذكرها، الصور الكنسية التي تصور آريوس بشكل ذليل تحت أقدام الأساقفة المسيحيين.

أخرج نضال هاتفه المحمول من جيبه، وأخذ يبحث عن بعض الصور في شبكة الإنترنت وهو يقول لعبد العزيز:

- ذلك الملك الذي يلبس تاجًا على رأسه الموجود في كل تلك الصور هو الإمبراطور قسطنطين الأول في مجمع نيقية حسب ما تصوره الكنيسة، إضافة لصور مثل هذه الصور. قال نضال وهو يضع شاشة هاتفه الجوال أمام عبد العزيز.



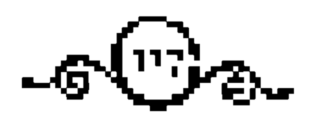


ولكن كيف ذلك؟! قسطنطين ملك وثني، وهذه الصور تبين أنه مسيحي مؤمن يحمل رمز الصليب!! تساءل عبد العزيز.

- هذه هي الخدعة التي قام بها هؤلاء المزيفون! صاح البروفيسور بريستلي بغضب وهو يضرب على الطاولة بيده

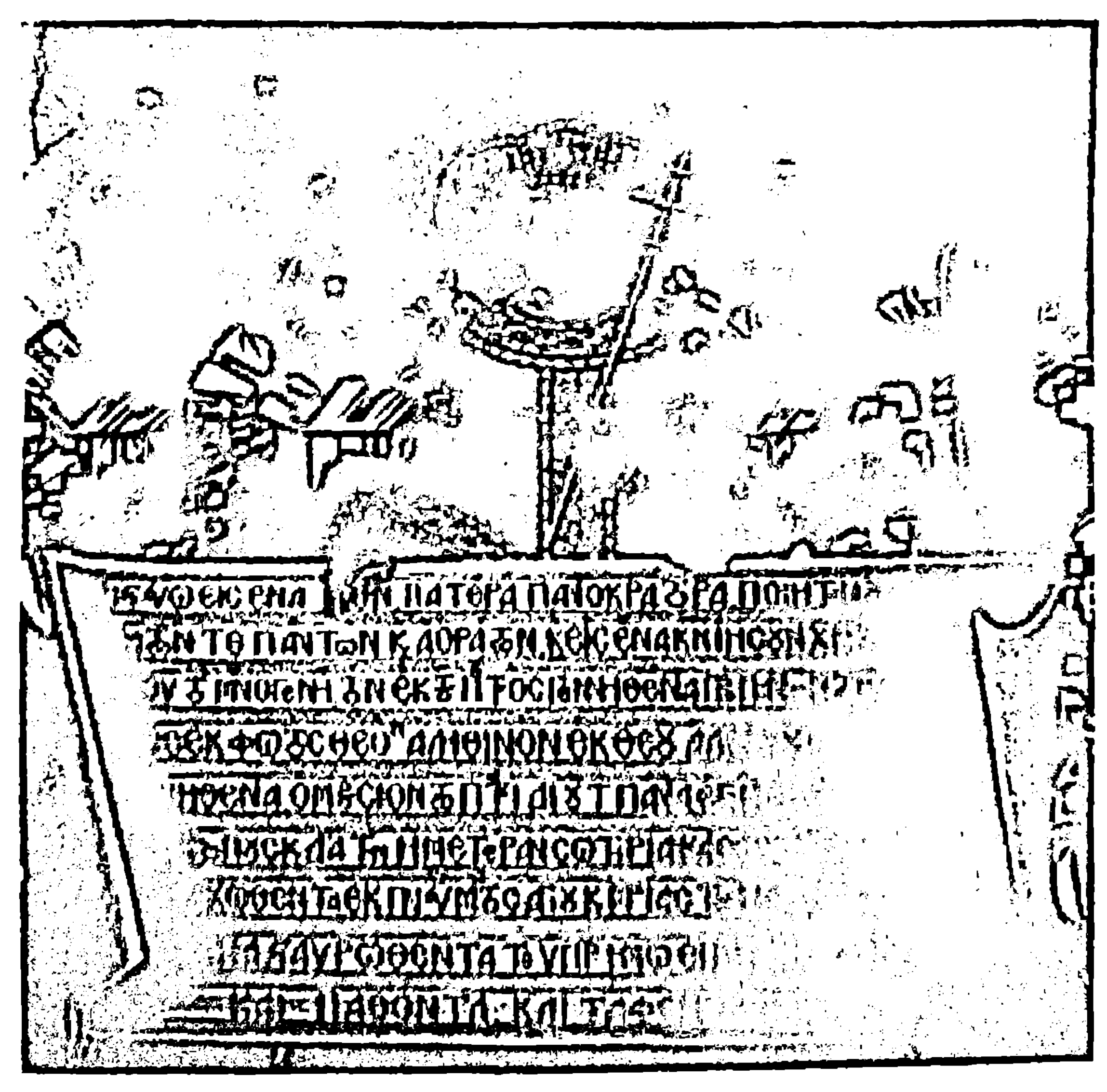
ولكن لماذا أرادوا إخفاء حقيقة كون أن الإمبراطور قسطنطين كان وثنياً وقت انعقاد مجمع نيقية؟! تساءل عبد العزيز من جديد.

- لأن هذا الإمبراطور الوثني بكل بساطة هو الذي أعاد تشكيل الدين المسيحي ليكون على صورته الحالية التي تقوم على



مبدأ ألوهية المسيح، ولو علم عامة المسيحيين هذه الحقيقة التاريخية الثابتة التي تحاول الكنيسة إخفاءها، لفقد رجال الكنيسة سلطتهم على هؤلاء المساكين الذين يتعرضون لأكبر خدعة في تاريخ الإنسانية، لذلك صوروه في صورهم كأحد المؤمنين المسيحيين! أجاب البروفيسور توماس بريستلي.

- انظر يا عبد العزيز إلى هذه الصورة! أشار نضال إلى صورة ظاهرة على شاشة هاتفه المحمول.



- ما هذه الصورة؟ وما هذه الكتابة التي يحملها هؤلاء الأشخاص؟! تساءل عبد العزيز.

- هذه اللوحة التي تصور فيها الكنيسة العقيدة التي تقوم عليها الديانة المسيحية الحالية التي تقر بألوهية المسيح، والتي خرج بها ذلك المجمع، هذه العقيدة معروفة بـ «عقيدة نيقية» «Nicene Creed»، والتي كتبت فيها لأول مرة في التاريخ أن المسيح بن مريم إله معبود، هل ترى هذا الصليب الكبير الذي يحمله قسطنطين بيده؟ تخيل لو أن عامة المسيحيين علموا أن هذا الإمبراطور الذي وضع لهم عقيدتهم لم يكن مسيحيًا في ذلك الوقت؟ هل فهمت الآن يا صديقي لماذا صوروه وهو يحمل مثل هذا الصليب الكبير؟!

-يا إلهي! بدأت أشعر بتعاطف مع عامة المسيحيين البسطاء! لقد تعرضوا فعلًا لخديعة كبرى! قال عبد العزيز.

-هل أدركت الآن لماذا حاول الفاتيكان منع الكاثوليك من قراءة رواية دان براون «شفرة دافينشي»؟ إنهم لا يريدون لهذه الحقيقة أن تظهر. علق البروفيسور بريستلي.



-ولكن ما الذي تم في هذا المجمع؟ وكيف تم إقرار عقيدة نيقية الداعية لتأليه المسيح؟ تساءل عبد العزيز.

تناول البروفيسور بريستلي قليلًا من الشاي، ثم بدأ بالحديث مجددًا:

- جلسات هذا المجمع شهدت نقاشات حادة بين فريقي الموحدين بقيادة الأسقفين الكبيرين آريوس ويوسابيوس، وبين الفريق الذي ينادي بإدخال مبدأ ألوهية المسيح للدين المسيحي، وكان هذا الفريق بقيادة شاب صغير ينحدر من أسرة وثنية في بداية الثلاثينيات من عمره يدعى «أثناسيوس» « Athanasius of Alexandria»، الطريف أن أثناسيوس نفسه كان في بداية حياته وثنيا من أبوين وثنيين قبل أن يتبناه ألكسندروس الأول ويجعله أحد تلامذته، على عكس آريوس ويوسابيوس الذين ولداعلى دين المسيح، وتتلمذا على يدي لوسيان الأنطاكي الذي يسميه المسيحيون حتى يوم الناس هذا القديس لوسيان الشهيد، وبعد أيام من النقاشات الطويلة التي كان آريوس ومن معه من الموحدين يفحمون بها أثناسيوس ومن معه، جاءت لحظة التصويت على وثيقة تنص لأول مرة في تاريخ المسيحية على ألوهية المسيح،

وكانت غالبية الأساقفة مع عدم التصويت عليها، إلا أن التصويت لم يكن حرا!

-ما الذي تقصده يا بروفيسور بأن التصويت لم يكن حرًا؟ سأل عبد العزيز.

Church
Schism
&
Corruption

-كما أخبرتك من قبل، لقد كان الإمبراطور قسطنطين بحكم دينه الوثني ضد فكرة توحيد الله، فدين الرومان الوثني يتعارض مع فكرة التوحيد من الأساس، لذلك وقف الإمبراطور ضد فريق الموحدين بقيادة آريوس، وقرر أن تكون نتيجة التصويت لصالح من ينادون بألوهية المسيح، ووفقًا لكتاب «الكنيسة، الانشقاق والفساد» للمؤرخ «أخيم ماسيكو» « Church Schism &



Corruption»، فقد أصدر الإمبراطور قسطنطين بيانًا مسبقًا يهدد فيه كل من يرفض التصويت لصالح هذا الاعتقاد المنادي بألوهية المسيح.

- وهل أذعن الأساقفة الموحدون لهذا التهديد؟ سأل عبد العزيز.

- الأساقفة الموحدون أخذوا هذا التهديد على محمل الجد، فقد كان على علم بالمجازر المروعة التي قام بها الأباطرة الرومان في حق المؤمنين المسيحيين عبر التاريخ، فقرر غالبيتهم التصويت لعقيدة نيقية مكرهين.

- ولكن هذا استسلام وجبن منهم! فالمؤمن الحقيقي هو الذي يثبت على موقفه رغم كل التهديدات! قال عبد العزيز مقاطعًا.

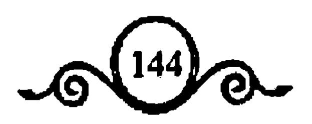


-ربما ما تقوله صحيحًا يا صديقي، ولكن الكلام النظري يختلف عن التطبيق العملي، وهؤلاء الأساقفة كانوا يعلمون أنه لم يبقَ على وجه الأرض وقتها أساقفة موحدون غيرهم بعد أن خدعهم قسطنطين بفكرة الحضور إلى ذلك المؤتمر، وكانوا يعتقدون أنه لو تم قتلهم جميعًا لربما كان ذلك بمثابة انتحار جماعي لكبار رجال الدين الموحدين في العالم، ولضاعت دعوة المسيح التوحيدية التي حارب من أجلها هو وأتباعه على مدار 3 قرون، ربما كان ذلك هو اجتهادهم على أي حال، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك دائمًا من كافة الأديان من يضعف ويغير من قناعاته، وربما هناك أيضًا من اقتنع منهم بالفعل بأن المسيح إله معبود، لا نعلم ما كان داخل قلوبهم عندما قاموا بالتصويت لصالح ألوهية المسيح، ولكن ما ظهر لاحقًا من أحداث تاريخية وثقتها كتب التاريخ أن الموحدين الذين صوتوا لعقيدة نيقية قاموا بذلك مكرهين خوفًا من بطش الإمبراطور قسطنطين بهم، وربما هذا الذي دفع الإمبراطور لترك شؤون الإمبراطورية السياسية والحضور إلى المؤتمر بنفسه، والظاهر أن أغلب الموحدين خططوا للنجاة بأنفسهم من الفخ الذي نُصب لهم، والرجوع إلى مدنهم ليستكملوا

دعوة التوحيد المسيحية التي اعتقدوا أنها لن تتأثر بورقة وُقعت كرهًا تحت حكم ملك وثني مستبد. قال نضال.

-وهل وقع آريوس مثل غيره على عقيدة نيقية الداعية لتأليه المسيح؟ تساءل عبد العزيز.

-بالرغم من كل التهديدات، رفض هذا القسيس الأمازيغي التوقيع على هذه الوثيقة، ووفقا لكتاب « The Search for the Christian Doctrine of God: The Arian Controversy, 318-381» للأسقف الإيرلندي الكاثوليكي ريتشارد باتريك كروسلان هانسون «R.P.C. Hanson»، رفض ثلاث قساوسة التوقيع على هذه الوثيقة، آريوس ومعه « ثيونوس» أسقف «مرمريكا» «Theonus of Marmafica» و«سكاندوس» أسقف «بتوليماس» «Secundus of Ptolemais». قال البروفيسور.



-وماذا عن زميل آريوس الموحد يوسابيوس النيقوميدي؟

سأل عبد العزيز.

-يبدو أن يوسابيوس كان من بين الذين وقعوا مكرهين في ذلك المجمع، وقد تبين ذلك لاحقًا من خلال ما قام به هذا الأسقف الموحد، ويوسابيوس هو الذي أكد على صحة تحليل صديقك نضال فيما يخص من وقعوا على عقيدة نيقية.

- ماذا تقصد يا بروفيسور؟ سأل عبد العزيز.

- بعد المؤتمر، حصلت أحداث كثيرة لا يتسع الوقت الآن لشرحها، أصبح فيها يوسابيوس النيقوميدي أحد المقربين من الإمبراطور قسطنطين العظيم، ووفقًا للمؤرخ الألماني «ماتياس هوفمان» «Matthias Hofmann» في كتابه « Vergiss das Leben nicht! Ein blick auf den gott Abrahams» «لا تنسى الحياة، رأي برب ابراهيم»، بعث يوسابيوس النيقوميدي لاحقًا رسالة إلى الإمبراطور قسطنطين يقول له فيها: «لقد ارتكبنا خطيئة أيها الأمير عندما دفعنا خوفنا منكم للموافقة على كفر!».

-ولكن ماذا عن بقية الأساقفة الموحدين؟ هل نجحوا بالنجاة



بأنفسهم بعد تصويتهم على عقيدة نيقية؟ سأل عبد العزيز.

-كل ما حصل في نيقية كان مجرد البداية للمعركة الكبيرة التي اندلعت بعد نيقية يا عبد العزيز، لقد بدأ الصراع الحقيقي بين الموحدين وأعدائهم منذ تلك اللحظة، ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن نستكمل بقية الحكاية في المكتب.

ما بعد نيقية



جلس البروفيسور توماس بريستلي على مقعده الخاص في المكتب، ثم شرع بالحديث من جديد:

-بعد نهاية جلسات المجمع، اكتسب مؤلّهو المسيح قوة كبيرة بعد وقوف السلطات الرومانية الوثنية في صفهم ضد المسيحيين الموحدين، وصار أساقفة الكنيسة الذين يؤمنون

بألوهية المسيح بمثابة رجال الدين التابعين للسلطة، وصار هناك تفاهم غير مكتوب بينهم وبين الإمبراطور بأن يمنحهم هو الدعم والسلطة الدينية، مقابل أن يكونوا هم خدمًا له لتطويع الشعوب المسيحية في أراضي الإمبراطورية الرومانية، وذلك بإقناع المسيحيين بوجوب طاعة الإمبراطور وتنفيذ أوامره وعدم التدخل في شؤون الدولة السياسية. قال البروفيسور.

- «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، على فكرة يا بروفيسور، لدينا نحن المسلمون أيضًا من يؤمنون بهذا المبدأ الكهنوتي. قال نضال وهو يبتسم.

- ولكن ما الذي فعله رجال الكنيسة هؤلاء بالمسيحيين الموحدين؟ سأل عبد العزيز.

-كان رجال الكنيسة من مؤلهي المسيح يدركون تمام الادراك بأن الأساقفة الموحدين وقعوا على وثيقة نيقية مكرهين، لذلك قاموا مباشرة بعد اختتام جلسات المجمع بعزلهم جميعًا من كنائسهم ونفيهم الى قرى وجزر نائية، وعينوا بدلًا منهم أساقفة من الداعين لتأليه المسيح، ودمروا كثيرًا من الكنائس التوحيدية، وفرضوا على عامة المسيحيين الإيمان بألوهية المسيح، ومنذ ذلك

التـاريخ أطلقــت الكنيســة علــى المســيحيين الموحــدين لقــب «الأريسـيين» «Arians» وذلـك لصـرف النـاس عـن حقيقـة تريـد الكنيسـة إخفاءهـا عـن عامـة المسـيحين البسـطاء، وهـي أن هـؤلاء الموحدين الذين أطلق عليهم اسم الأريسيين ما هم في حقيقة الامر سوى المسيحيين الحقيقيين الذين اتبعـوا دعـوة المسيح التوحيدية دون تحريف، وبعد انتهاء مجمع نيقية، حثت الكنيسة الإمبراطـور قسطنطين على حرق كل كتـب آريـوس، ويوسابيوس النيقوميدي، ومن معهم من الموحدين. قال البروفيسور.

-انظر يا عبدالعزيز، هذه مثلًا نسخة من صـورة أصـلية وردت في كتـاب القـانون الكنسـي لعـام 825م، وفيهـا يظهـر الإمبراطـور البيزنطي قسطنطين وهو يحرق كتب أريوس، إن دققت النظر جيدًا على الشخص الموجود أسفل اللوحة، ستجد أن الكلمة المكتوبة باللغة الإغريقية هي أريوس، لذلك فإن الكنيسة شوهت تاريخ هـذا الرجل مع إحراق كتبه، ونسبت إليه أشياء غير صحيحة فيما يخص عقيدته.

- قـال نضـال وهـو يشـير لعبـد العزيز علـى صـورة مـن جوالـه المحمول.





- بالمناسبة يا عبد العزيز، هل تعلم أن بابا نويل كان من بين رجال الكنيسة الذين اضطهدوا المسيحيين الموحدين؟ سأل نضال مبتسمًا.

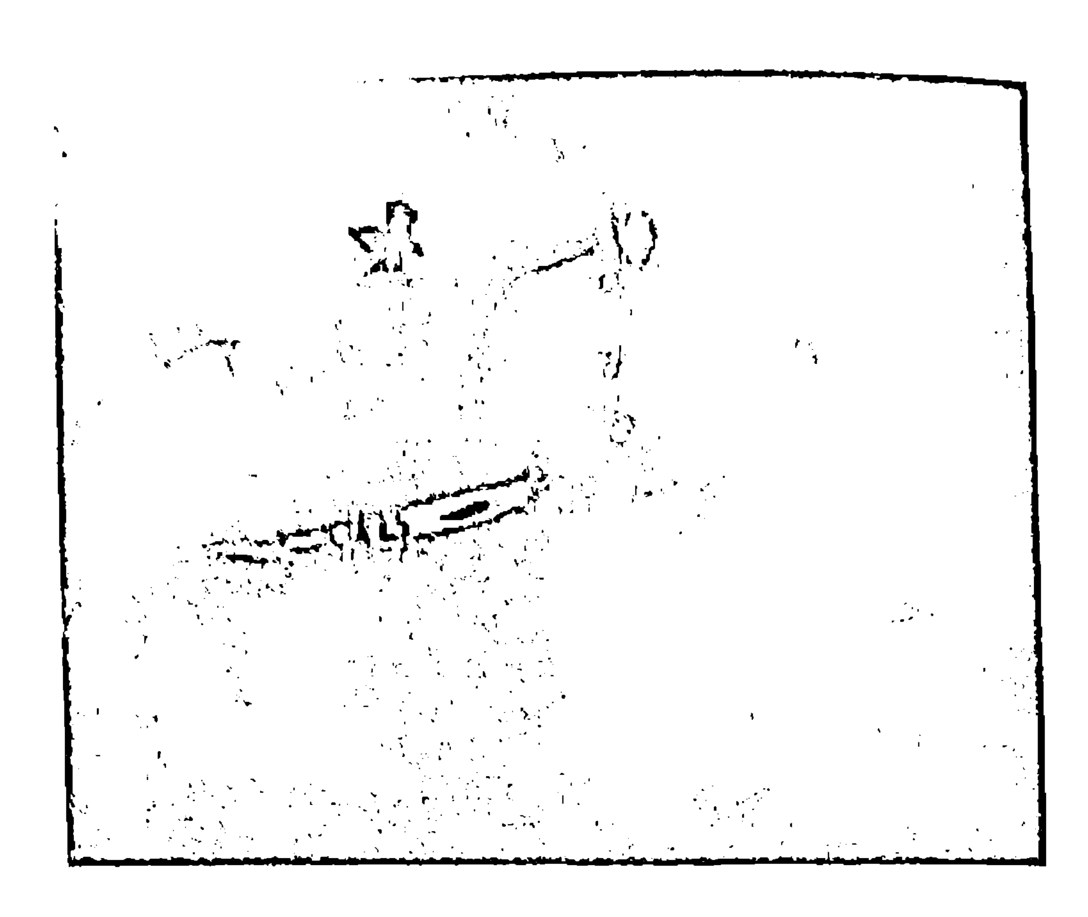
- ماذا تقول؟ هل بابا نويل شخصية حقيقية بالفعل؟ تساءل عبد العزيز بتعجب.

- بابا نويل، ومعناه بالفرنسية أبو الأعياد، هو اللقب الذي أطلق على نيكولاس أسقف ميرا الواقعة في جنوب تركيا حاليًا، والذي خلعت عليه الكنيسة بعد ذلك لقب «قديس» ليصبح اسمه سانت نيكولاس «Saint Nicolas» ليعرف بعدها اختصارًا بـ «سانتا كلوز»، وقد كان هذا الأسقف من قادة الأساقفة الداعين إلى تأليه المسيح، وشارك في مجمع نيقية.



- وهل كان هذا الأسقف رجلًا ودودًا وضحوكًا كما يظهر في الصورة المعروفة عنه؟ سأل عبد العزيز.

- على الإطلاق، فقد كان على عكس الصورة التي تنشرها الكنيسة عنه، فأثناء مجمع نيقية قام نيكولاوس بالاعتداء بالضرب على القسيس آريوس أثناء عرض آريوس لأدلته حول وحدانية الله، الأمر الذي دفع بالحاضرين إلى طرده من جلسات المجمع وسجنه لتجاوزه للقانون، قبل أن يخرج من السجن بعد نيقية، ليقوم باضطهاد المسيحيين الموحدين في المقاطعة التي كان أسقفًا فيها، ولسبب ما قررت الكنيسة في السنوات الأخيرة خلق صورة مزورة عن نيكولاوس، فقامت الكنيسة بانتحال شخصية أسطورية موجودة في التراث الإسكندنافي لإله وثني يتمثل برجل أبيض اللحية اسمه أودين«Odin»، والذي كان يطير حسب الأسطورة بمركبته في الشتاء ليوزع الهدايا يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، فانتحلت الكنيسة من أودين كل شيء، ابتداءً من عربته الطائرة، وهداياه، والتاريخ، وحتى لحيته البيضاء، وألصقوها بالأسقف نيكولاس، الذي كان في حقيقة الأمر على غير تلك الصورة المحببة للأطفال.



- هذا يعني أن المسيحية التوحيدية قد انتهت بعد مجمع نيقية! قال عبد العزيز.

-ليس تمامًا يا صديقي. قال نضال.

-ولكن كيف؟ ألم يكن ما حصل بعد مجمع نيقية نهاية لآريوس ومن معه من الموحدين؟

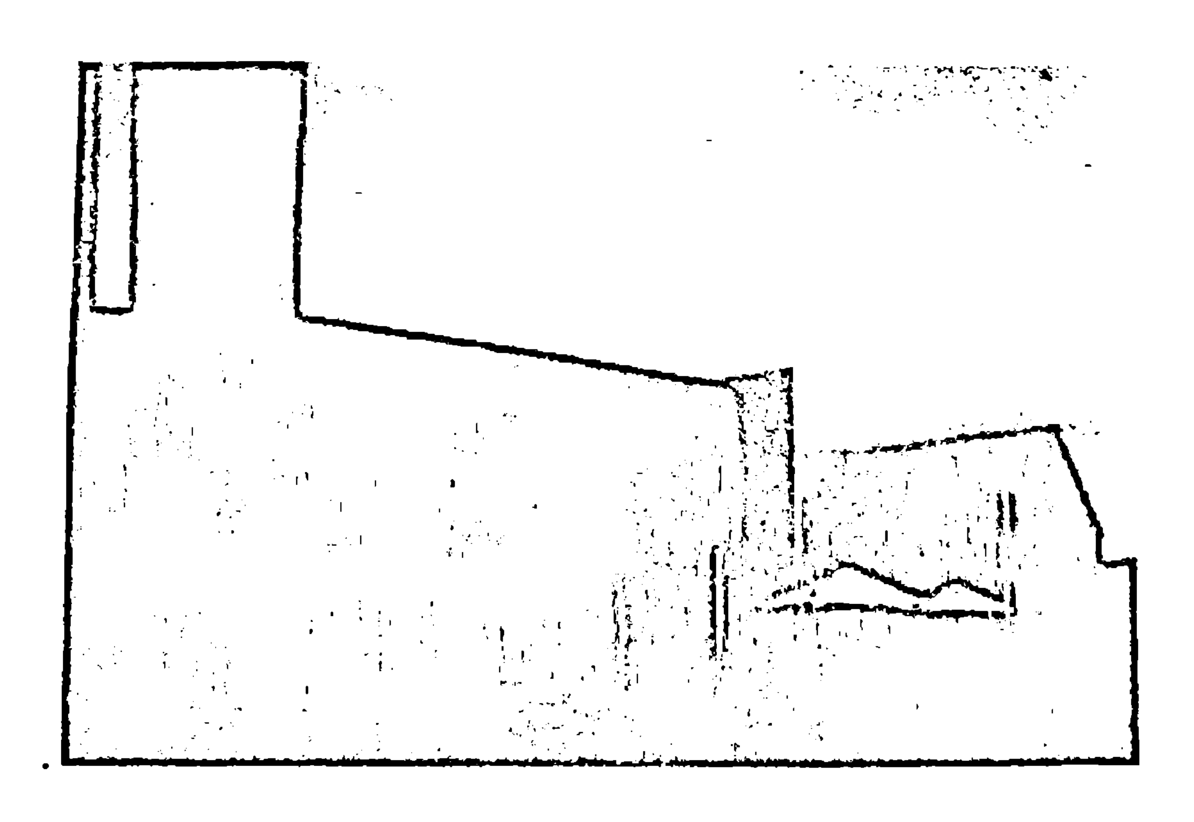
-كان مجمع نيقية مجرد البداية للصراع الحقيقي الذي اندلع بعد ذلك بين الموحدين الذين باتوا يعرفون بالأريسيين، وبين مؤلهي المسيح الذين باتوا يعرفون بالنيقيين، فبعد أن ظن النيقيين أن الأمر استتب لهم وأنهم انتصروا على الموحدين الأريسيين،

استطاعت امرأة واحدة أن تغير من موازين القوى لصالح الأريسيين، ليعود الأريسيون بسببها أقوى من ذي قبل!

-ومن تكون هذه الامرأة؟ تساءل عبد العزيز.

-إنها أم الإمبراطور قسطنطين العظيم الإمبراطورة الموحدة هيلانا «Helana»، أو كما يطلق عليها المسيحيون الآن القديسة هيلانا «سانت هيلانا» «Saint Helana». قال نضال.

-أسمع كثيرًا عن اسم هذه السيدة، فكثير من المستشفيات والمدارس والجمعيات المسيحية تحمل اسم «سانت هيلانا»، ولكن كيف يعظمها المسيحيون الآن ويعتبرونها قديسة وهي حسب ما تقول كانت موحدة؟ تساءل عبد العزيز.



تدخل البروفيسور بريستلي قائلًا:

-هذه أيضًا من خدع الكنيسة، فالكنيسة تخفي عن عامة المسيحيين أن هذه السيدة التي بنت كنيسة القيامة هي في حقيقة الأمر سيدة موحدة، وكانت متأثرة بتعاليم الأسقف الموحد لوسيان الأنطاكي أستاذ أريوس، وهم يعلمون ذلك جيدًا ولا ينكرونه، ووفقًا لعدة مصادر تاريخيه كتبها مؤرخون غربيون كبار من أمثال: هاغيث سيفان Hagith sivan، وجوردون ميلتون J.Gordon melton، وكينيث جي هولوم Kenneth G Hulom ، وفقًا لهذه المصادر وغيرها قامت هذه الإمبراطورة الأريسية باستخدام نفوذها في الإمبراطورية لإرجاع كثير من الأساقفة الأريسيين وتقريبهم إلى ابنها الإمبراطور، وكان ممن قربتهم الأسقف يوسابيوس النيقوميدي زميل أريوس وذلك عام 328، أي بعد 3 سنوات من مجمع نيقية، ليتسلم يوسابيوس النيقوميدي قيادة الموحدين الأريسيين بعد نفي زميله آريوس.

- وما الذي قام به هذا الأسقف الأريسي بعد ذلك؟ تساءل عبد العزيز.

- استطاع يوسابيوس النيقوميدي التقرب أكثر من الإمبراطور قسطنطين العظيم واقناعه بعقيدة المسيح الصحيحة التي جاء بها،



فأدرك قسطنطين حجم الكارثة التي قام بها بإجباره القساوسة على التوقيع على مجمع نيقية، فأراد أن يكفر عن خطيئته بإرجاع الأمور إلى نصابها، ولكن ميزان القوى في ذلك الوقت كان قد تغير بشكل كبير، فقد سيطر القساوسة الداعين الى تأليه المسيح على كنائس الإمبراطورية الرومانية بشكل شبه كامل، فصار أي تهديد لسلطتهم الدينية يمكن أن يمثل تهديدًا لسلطة الإمبراطور السياسية، إلا أن قسطنطين العظيم كان مصممًا على تدمير ذلك الوحش الذي تسبب هو في صنعه، فقام بمعونة من مستشاره ويده اليمنى يوسابيوس النيقوميدي بسحب البساط بشكل تدريجي من تحت أرجل الأساقفة النيقيين.

- وكيف تم ذلك؟ سأل عبد العزيز.

- قام الإمبراطور قسطنطين العظيم بعزل أسقف مدينة «أنطاكيا» ثالث أكبر مدن الإمبراطورية، ثم عز أسقف مدينة «أنقرة»، ثم عزل في عام 335 زعيم النيقيين وعدو الأريسيين الأول «أثناسيوس» الذي صار أسقفًا للإسكندرية بعد مجمع نيقية.

- وكيف عُزل أثناسيوس يا بروفيسور؟ سأل عبد العزيز.

- عزل أثناسيوس ونفي إلى مدينة «ترير» الألمانية بعد أن



أدين في «مجمع صور الأول» الذي عقد في مدينة صور اللبنانية، وقد بحث الأساقفة في ذلك المجمع تهمًا وُجهت إلى أثناسيوس بخصوص قضايا أخلاقية وقضايا مالية، إضافة لاتهامه في جريمة قتل لأحد الأساقفة واحتفاظ أثناسيوس بيد الجثة لاستخدامها في أمور السحر.

- ولكن ماذا عن آريوس؟ ماذا حصل معه في ذلك الوقت؟

- يبدو أن الإمبراطور قسطنطين العظيم لم يرد إرجاع آريوس مباشرة في بداية الأمر خوفًا من ثورة النيقيين عليه، فأخر استدعاءه إلى ما بعد عزل أثناسيوس، وهذا ما تم بالفعل، فقد استدعى الإمبراطور الروماني قسطنطين العظيم آريوس من منفاه لكي يحضر إلى عاصمة الإمبراطورية الرومانية «القسطنطينية»، ليدخل آريوس الى القسطنطينية عام 336، واستقبله عامة المسيحيين في القسطنطينية استقبال الفاتحين، وليستضيفه الإمبراطور الروماني قسطنطين العظيم شخصيًا في قصره، وبعد لقاء قصير، أمر الإمبراطور قسطنطين أسقف القسطنطينية «أليكسندر الأول» «Alexander of Constantinople» بإعادة آريوس رسميًا إلى شراكة الكنيسة، ولكن هذا الأمر كان يتطلب القيام بمراسيم كنسية خاصة، يقوم فيها

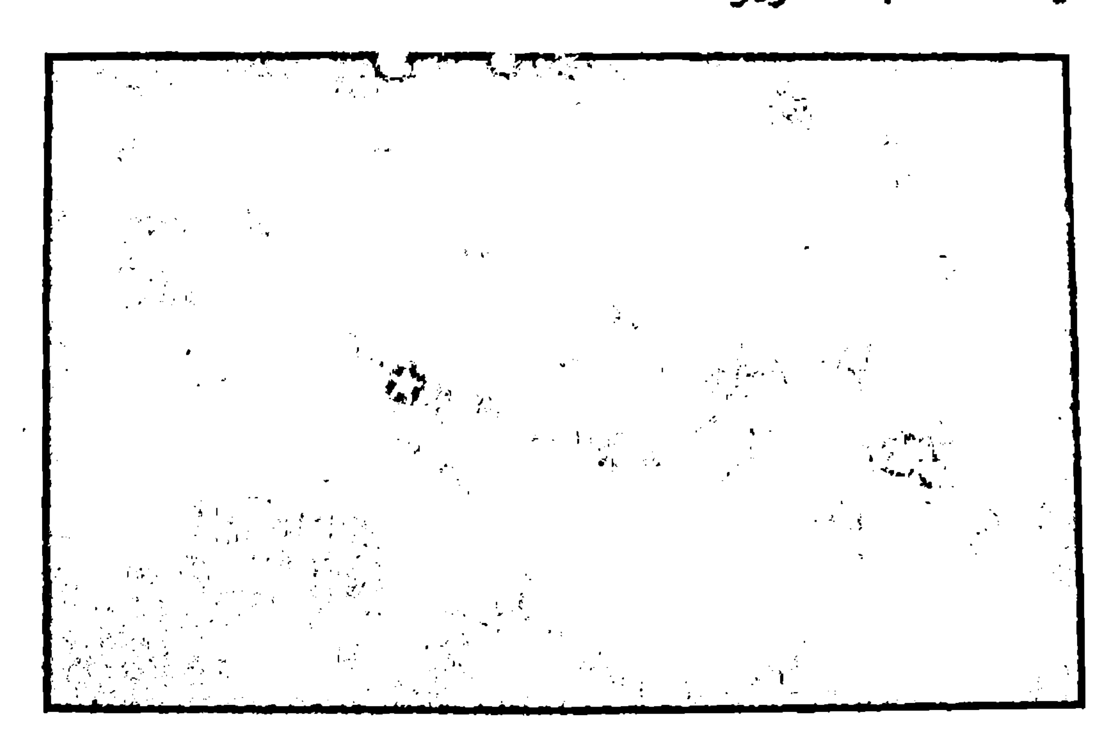


أليكسندر بتقديم طعام وشراب خاص لآريوس.

- وهل كان أليكسندر من الموحدين أو النيقيين؟ سأل عبد العزيز.

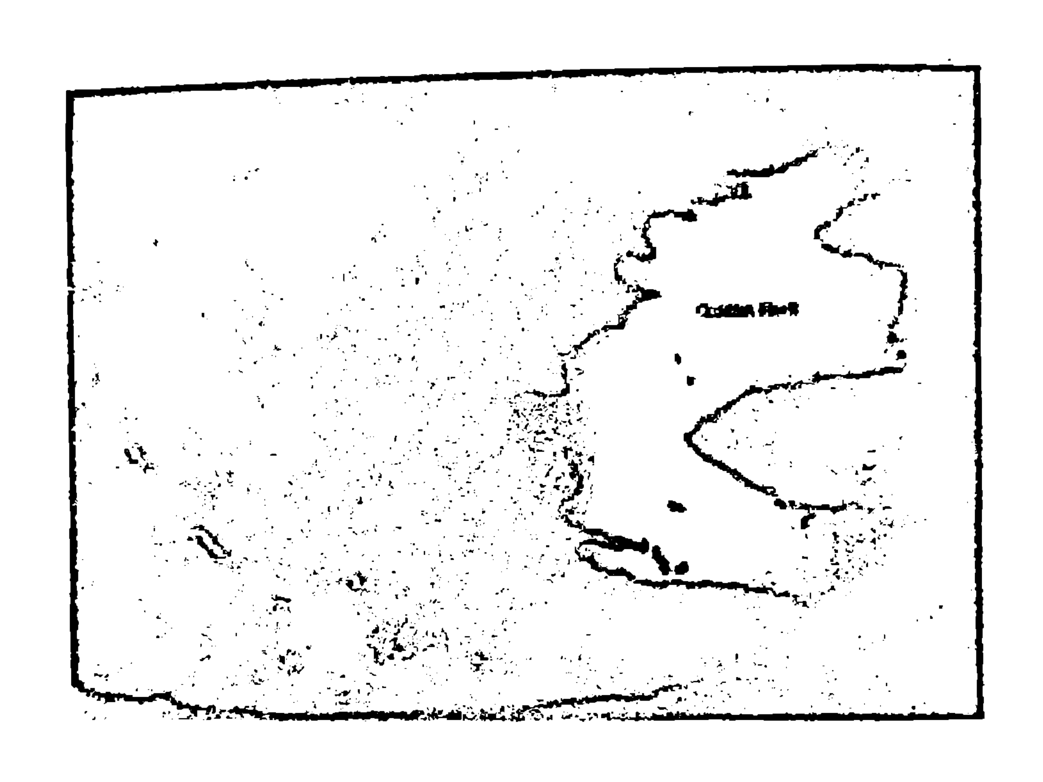
- على العكس من ذلك، كان أليكسندر عدوًا للموحدين، وكان من قادة النيقيين الداعين لتأليه المسيح، وقد شارك بنفسه في مجمع نيقية كممثل عن مدينة بيزنطيوم «Byzantium» التي بنيت على أنقاضها «القسطنطينية». أجاب نضال.

- كنت أتساءل دائمًا عن سر تسمية هذه الإمبراطورية الرومانية بالإمبراطورية البيزنطة، الآن فقط فهمت سر هذه التسمية. قال عبدُ العزيز.



-صحيح، فقد سميت هذه الإمبراطورية الرومانية الجديدة

التي أنشأها الإمبراطور قسطنطين العظيم بالإمبراطورية الرومانية البيزنطية بعد نقل أن حول قسطنطين العاصمة من «روما» إلى هذه المدينة الحصينة بعد أن أعاد بناءها بشكل أوسع وأعظم وسماها على اسمه «القسطنطينية».



-وماذا حصل بعد ذلك؟ سأل عبد العزيز.

-في نفس يوم وصول آريوس، وبينما كان آريوس يتجول في شوارع القسطنطينية لتحية المسيحيين الذين أصبح يمثل لهم بطلًا مناضلًا، أحس أريوس فجأة بآلام شديده تسري في أمعائه، أصيب بعدها بإسهال قوي، تبعه نزيف حاد سقط على إثره مغشيًا عليه. أجاب نضال.

-ولكن كيف أصيب بهذا النزيف المعوي المفاجئ؟ سأل عبد العزيز.

-رجال الكنيسة النيقيون يعتقدون أن ما أصاب آريوس في ذلك اليوم كان غضبًا من الرب، وقد فرحوا لما أصابه من نزيف مفاجئ، وشمتوا به بطريقة صبيانية دفعتهم لتصويره في لوحاتهم الكنسية بصورة مخجلة لا تليق برجال يدعون أنهم يمثلون الرب.



كل من لديه أدنى معرفة بالأمور الطبية يدرك تمام الإدراك أن الأعراض التي أصابت آريوس في ذلك اليوم هي أعراض إصابة بتسمم حاد لجهازه الهضمي، وهذا ما أكده عدد من المؤرخين



الغربيين المعاصرين، من أمثال إدوارد جيبون، وتشارلز فيرمن، وجوناثان كيرش، هؤلاء المؤرخون وغيرهم ليس لديهم شك أن آريوس تم اغتياله بالسم من قبل أعدائه، والمرجح أن الفاعل هو أسقف القسطنطينية ألكسندر الأول، الذي ربما خشي أن الإمبراطور قسطنطين العظيم أراد عزله كباقي النيقيين، وتعيين آريوس مكانه ليكون أسقفًا لعاصمة الإمبراطورية الرومانية بأسرها، وبالمناسبة الكنيسة خلعت على ألكسندر لقب قديس بعد موته! قال البروفيسور بريستلي.

-ولكن ماذا حدث للمسيحيين الموحدين بعد رحيل زعيمهم آريوس؟ تساءل عبد العزيز.

قام البروفيسور توماس بريستلي من مقعده، وصمت قليلًا وتوجه إلى خريطة للعالم معلقة أمامه، ثم نظر إلى عبد العزيز وقال:

-اسمع أيها الشاب، يبدو أن من قاموا بجريمة اغتيال آريوس غاب عنهم أمران اثنان: الأمر الأوّل هو أن الشخص الذي يعتقد أنه يستطيع الانتصار على الفكرة بمجرد قتل من يدعو إلى تلك الفكرة، هذا الشخص يكون مخطئًا في حساباته، أما الأمر الثاني فهو أن من قام بتسميم آريوس نسي أن يشتري جرعة أخرى من السُم

لكي يقتل بها رجلًا آخرًا، سيكون وبالًا عليهم بعد ذلك!

-ومن هو هذا الرجل يا بروفيسور؟ سأل عبد العزيز بفضول.

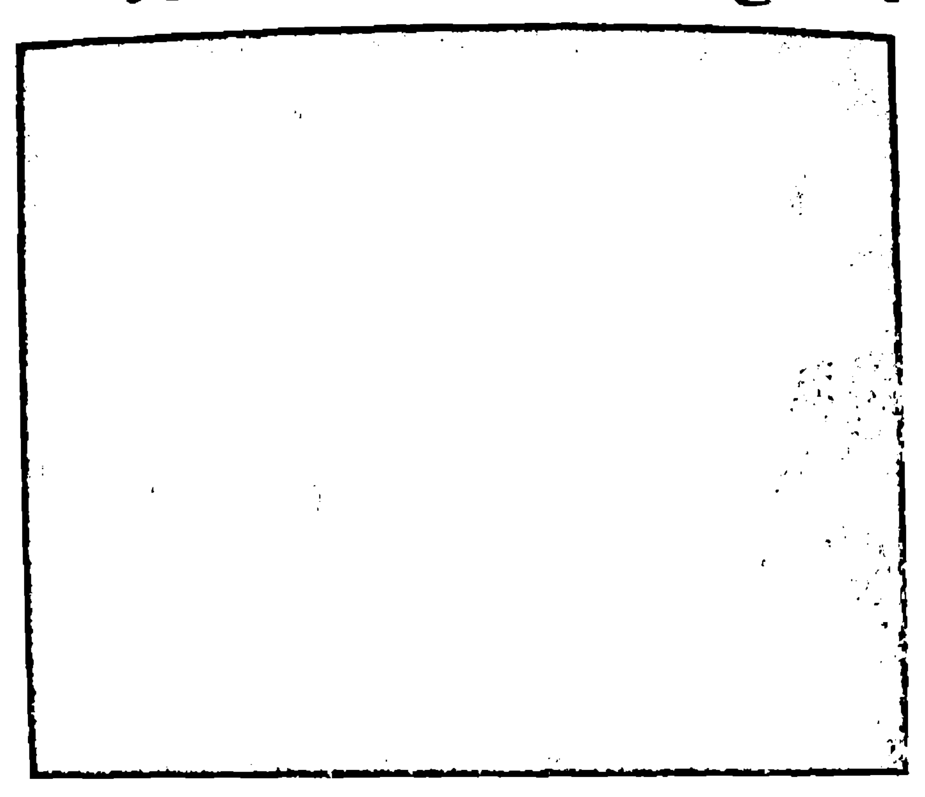
-هذا الرجل اسمه: يوسابيوس النيقوميدي!

-ولكن ما الذي فعله يوسابيوس بالضبط في ذلك الزمان؟ تساءل عبد العزيز.

-بعد مقتل زميله آريوس، تسلم يوسابيوس النيقوميدي قيادة الموحدين في العالم، وعمل على نشر دين المسيح الحقيقي التوحيدي بين عامة البشر، وما هو إلا عام واحد من مقتل آريوس، أي في عام 337م، حتى ظهرت ثمار البذور التي زرعها آريوس قبل موته، وسقاها يوسابيوس بجهده وكفاحه، لقد جاء النصر الكبير للموحدين، فقد أعلن الإمبراطور قسطنطين العظيم اتباعه للمسيحية التوحيدية التي صارت تعرف بالآريسية، ليصبح إمبراطور الإمبراطورية الرومانية البيزنطية قسطنطين الأول، المعروف بقسطنطين العظيم، أول إمبراطور روماني موحد في تاريخ الأرض، بعد أن اتبع دين المسيح على يد يوسابيوس النيقوميدي.

- رأيت برنامجًا وثائقيًا أجنبيًا يتحدث أن الإمبراطور قسطنطين العظيم أصبح مسيحيًا في نهاية حياته، ولكن الوثائقي لك

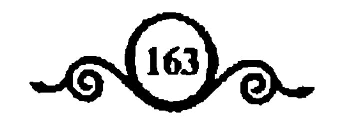
يتطرق لكون أصبح أريسيًا موحدًا! علق عبد العزيز.



- هذه أيضًا خدعة من رجال الكنيسية، فهم يقولون للمسيحيين أن الإمبراطور قسطنطين العظيم اعتنق المسيحية، ولكنهم لا يقولون كامل الحقيقة، وهي أن قسطنطين اختار المسيحية الآريسية التوحيدية دينًا له، وليس المسيحية الجديدة التي جاءت بها قرارات نيقية، أي أن الإمبراطور قسطنطين العظيم لم يكن يؤمن بألوهية المسيح. قال البروفيسور بريستلي.

- ولكن هل ثبت هذا الأمر تاريخيًا يا بروفيسور؟ تساءل عبد العزيز من جديد.

- هذه حقيقة تاريخية موثقة حتى من مؤرخي الكنيسة



أنفسهم، ليس ذلك فحسب، بل إن هناك شبه إجماع أن الإمبراطور قسطنطين العظيم اختار أن يعتنق المسيحية على يد يوسابيوس النيقوميدي الذي تُجمع كل الكنائس المعاصرة أنه كان قائد الأريسيين الموحدين، فلماذا اختار الإمبراطور أن يتم تعميده من قبل يوسابيوس النيقوميدي بالذات؟ سؤال ينبغي للمسيحيين أن يطرحوه على رجال الكنيسة! يكفيك أن تقرأ ما كتبه المؤرخ مارك إلينغستون «Mark Ellingson» في موسوعته التاريخية الكبيرة «Reclaiming our roots»، «الرجوع إلى جذورنا»، التي قال فيها: بأن قسطنطين وخلفاؤه جعلوا الحياة بائسة جدا لزعماء الكنيسة النيقيين ودعوتهم التثليثية.

-ومتى بالضبط أعلن قسطنطين العظيم اتباعه للأريسية التوحيدية؟

-في نهاية أيامه قبل وفاته في تاريخ 22 من شهر مايو من عام 337 ، حيث مات هذا الإمبراطور الروماني الموحد في مدينة نيقوميديا عند صديقه ووزيره يوسابيوس النيقوميدي أسقف تلك المدينة، ولكن أنا شخصيًا يا عبد العزيز أعتقد أنه آمن قبل ذلك بفترة طويلة، وهذا ما يفسر تصرفاته في سنواته الأخيرة، فالمتابع

لتصرفات الإمبراطور قسطنطين العظيم في آخر سنواته، يرى تعاطف الإمبراطور مع الأريسيين الذين تسبب هو بظلمهم في بداية الأمر، وربما كان قسطنطين قد آمن بالمسيح ودعوته التوحيدية قبل سنوات من إعلانه ذلك في آخر أيامه، ولكنه لم يشأ أن يعلن ذلك حرصًا على نجاح حركته التصحيحية في إعادة الأمور إلى نصابها بعد ما جرى في نيقية، فقد كان هناك احتمال كبير بأن يتسبب خبر إظهاره للأريسية التوحيدية إلى ظهور حركات تمرد عنيفة من قبل الأساقفة النيقيين الذين قويت شوكتهم بعد مجمع نيقية كما رأينا، قبل أن يقوم قسطنطين بمعونة من يوسابيوس بسحب البساط من أرجلهم بشكل متدرج بعد ذلك. قال البروفيسور بريستلي:



- ولكن ماذا حصل للأريسيين بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العظيم؟ تساءل عبد العزيز.

- حدث أمر غير من موازين القوى على الأرض في ذلك الزمن، فقد قوية شوكة الأريسيين بعد أن جلس إمبراطور آريسي عظيم على كرسي الإمبراطورية الرومانية، هذا الإمبراطور ناضل من أجل التوحيد المسيحي، وجعل التوحيد الذي جاء به عيسى لأول مرة في التاريخ الدين الرسمي لإمبراطورية الروم، وفي زمنه تم إلغاء نتائج مجمع نيقية التي نصت على ألوهية المسيح! قال نضال.

-ولكن من يكون ذلك الإمبراطور الأريسي الذي حول الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورية موحدة؟ تساءل عبد العزيز بفضول.



ما بعد قسطنطين العظيم

وضع البروفيسور توماس بريستلي بعض الكتب على مكتبه وجلس مجددًا على مقعده، ثم شرع بالحديث:

-بعد رحيل الإمبراطور قسطنطين العظيم عام 337، قسمت الإمبراطورية الرومانية البيزنطية إلى أربعة أقسام، تقاسمها ثلاثة أبناء لقسطنطين وشخص رابع هو ابن أخت له:

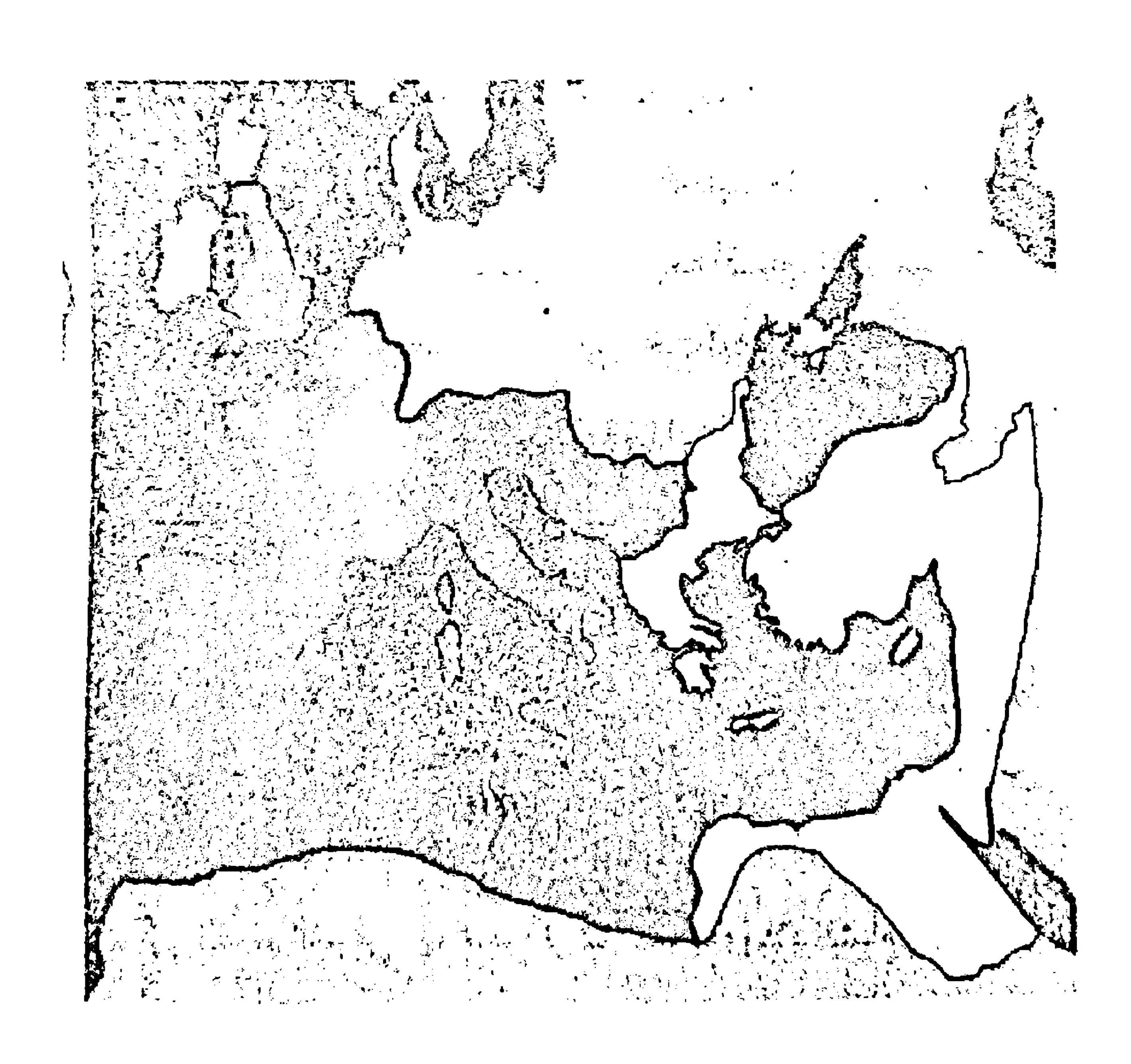
القسم الغربي: ويمتد من إنجلترا إلى المغرب وكان تحت سيطرة الإمبراطور قسطنطين الثاني «Constantine II» بن قسطنطين العظيم.

القسم الأوسط: من وسط أوروبا وإيطاليا إلى شمال أفريقيا من ليبيا حتى شرق المغرب تحت سيطرة الإمبراطور قوسطانس الأول «Constans I» بن قسطنطين العظيم.

القسم الشرقي: يمتد من تركيا الحالية وبلاد الشام إلى مصر وشرقي ليبيا الحالية ويضم العاصمة القسطنطينية وكان من نصيب

الإمبراطـور الرومـاني قسـطنطيوس الثـاني «Constantius II» بـن قسطنطين العظيم.

اليونـان والبلقـان: تحـت سـيطرة الإمبراطـور دالمـاتيوس «Dalmatius» ابن أخت قسطنطين العظيم.



وهل كان أبناء الإمبراطور قسطنطين العظيم على دين أبيهم التوحيدي يا بروفيسور؟ سأل عبد العزيز.

- الظاهر أن الوحيد من أبناء الإمبراطور قسطنطين العظيم الذي كان مثله آريسيًا هو الإمبراطور قسطنطيوس الثاني، بينما كان الابنان الآخران يميلان إلى النيقيين، وحاولا فعلًا إرجاع أثناسيوس من المنفى في الذي فرضه عليه أبوهم الإمبراطور قسطنطين العظيم بعد مجمع صور الذي أدانه، إلا أن تهديد الإمبراطور قسطنطيوس الثاني لأخويه منعهما من ذلك، وبعد استيلاء الجنرال مغنيتوس «Magnentius» على أغلب أراضي الإمبراطورية الرومانية بعد مقتل قسطنطين الثاني وقسطانس الأول، أصبح الإمبراطور الآريسي قسطنطيوس الثاني آخر من تبقى على قيد الحياة من أبناء الإمبراطور قسطنطين العظيم، فوحد هذا الإمبراطور كامل أراضي الإمبراطورية الرومانية تحت حكمه عام 350.



وما الذي قام به هذا الإمبراطور الأريسي بعد توحيده للإمبراطورية؟ سأل عبد العزيز.

- بعد ذلك أصدر الإمبراطور قسطنطيوس قرارًا بتعيين زعيم المسيحيين الموحدين على الأرض في ذلك الوقت الأسقف يوسيبياس النيقوميدي كأسقف عام لعاصمة الإمبراطورية «القسطنطينية»، وبعد أن توحدت جميع أجزاء الإمبراطورية

الرومانيـة البيزنطيـة تحـت حكمـه أمـر الإمبراطـور الموحـد قسطنطيوس الثاني بعقد عدة مؤتمرات عامة لعلماء المسيحية، أو كما تسمى مجامع مسكونية، اتفق خلالها الأساقفة المسيحيون على إلغاء جميع قرارات مجمع نيقية الداعية إلى تأليه المسيح، وكان من أبرز تلك المجامع مجمع ميلانو عام 355، حيث كانت مدينة ميلانو الإيطالية في ذلك الوقت أحد أهم معاقل التوحيد في أوروبا، وبعد تلك المجامع المسكونية تم اعتماد عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح بشكل رسمي كعقيدة الإمبراطورية، فأصبحت المسيحية التوحيدية أو الآريسية كما باتت تعرف هي الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية البيزنطية الممتدة من إنجلترا وهسبانيا والمغرب إلى العراق وتركيا مرورًا بكامل شمال أفريقيا ومصر وأوروبا الوسطى، وبرز في ذلك الوقت دور زوجة الإمبراطور الموحدة الإمبراطورة يوسيبيا التي قامت بمجهودات جبارة لنشر التوحيد، في حين اهتم زميل آريوس الأسقف يوسابيوس النيقوميدي بتعليم الناس معنى التوحيد، فتتلمذ على يديه كثير من الأشخاص الذين تحولوا إلى دعاة ينشرون التوحيد في مناطق واسعة في العالم، فوصلت الأريسية إلى الحبشة وجزيرة

العرب بسبب جهود هذا الإمبراطور الأريسي.



-هل قلت جزيرة العرب؟! تساءل عبد العزيز.

-أجل يا عبد العزيز، فقد كان من بين الدعاة الذين أرسلهم قسطنطيوس قسيس اسمه ثيفوليوس الهندي « Theophilos the Indian» ، المتوفى سنة 364، وهو قسيس يرجع أصله إلى إحدى الجزر في المحيط الهندي، قيل في بعض المراجع أنها جزيرة سوقطرة التابعة لليمن حاليًا، وقيل أيضًا أنها إحدى جزر المالديف، فأسرته البحرية الرومانية عندما كان صغيرًا ليجعلوه عبدًا عند الرومان، فاتبع المسيحية الأريسية التي كانت تنتشر بقوة في جميع

أنحاء الإمبراطورية الرومانية، قبل أن يقرر الإمبراطور الروماني الأريسي قسطنطيوس الثاني إرساله في رحلة دعوية إلى القارة الآسيوية لنشر دين المسيح التوحيدي، وخلال تلك البعثة الدعوية مر هذا القسيس الموحد بمملكة الحبشة، فنشر التوحيد هناك، ثم عبر البحر المتوسط إلى اليمن، لينشر الآريسية التوحيدية في اليمن، وهذا ما يفسر اتباع كثير من أهل الحبشة واليمن قديمًا للمسيحية التوحيدية الآريسية، هذا كله تم بجهود الإمبراطور الأريسي الموحد قسطنطيوس الثاني الذي توفي سنة 361.

-وماذا حصل بعد وفاته يا بروفيسور؟ سأل عبد العزيز.

-الإمبراطور قسطنطيوس الثاني لم يكن له ولد، فقد تسلم حكم الإمبراطورية الرومانية من بعده ابن عمه جوليان، الذي لقب بالمرتد جوليان المرتد «Julian the Apostate»، وذلك لأنه اعتنق الوثنية، وحارب دين المسيح، وللمفارقة فإن عدو المسيحية الأول جوليان المرتد هو الذي قام بإرجاع أثناسيوس من منفاه وتعيينه أسقفًا على الإسكندرية خلفًا لأسقفها الأريسي الموحد الذي عزله هذا الإمبراطور من منصبه!

-ولكن حسب ما فهمت من كلامك يا بروفيسور فإن جوليان



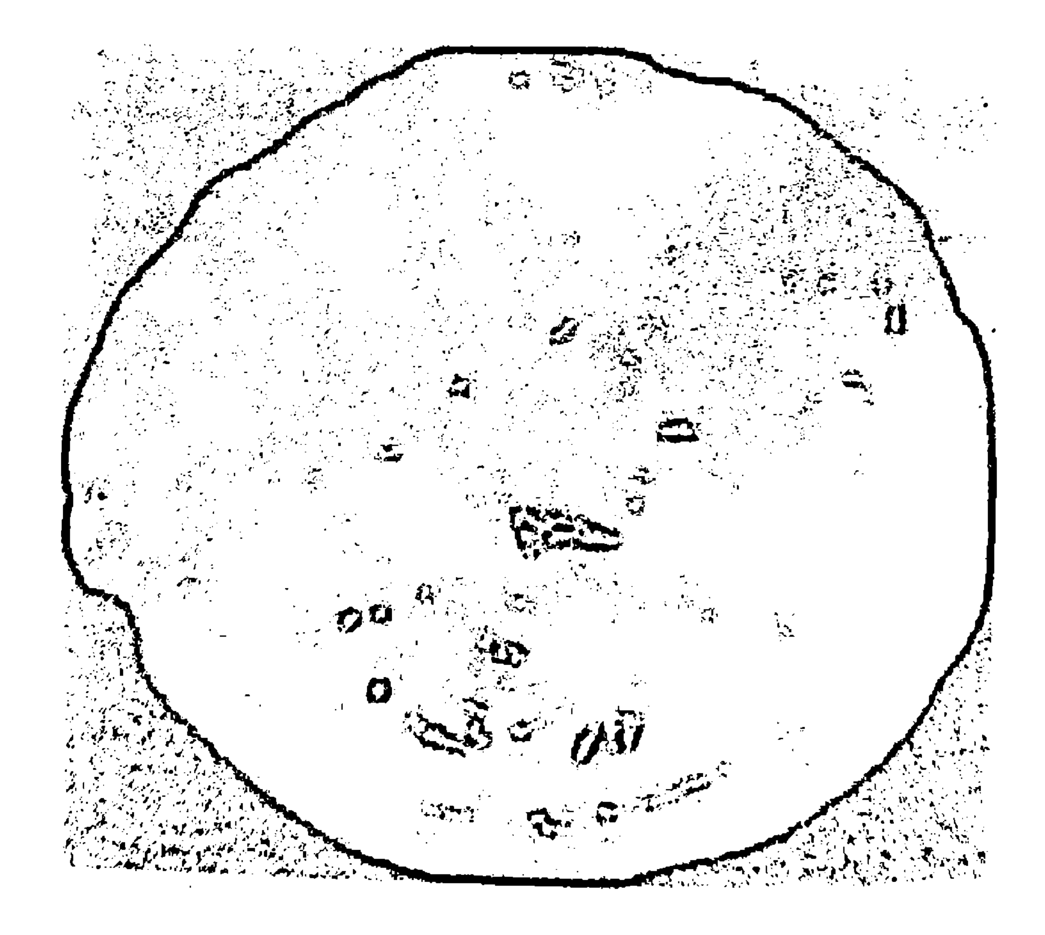
المرتد كان عدوًا للمسيحية، فلماذا حرص هذا الإمبراطور المرتد الذي كان يحارب المسيحية على تكريم زعيم النيقيين أثناسيوس؟ ولماذا سلمه هو بالذات قيادة السلطة الدينية للإسكندرية؟! تساءل عبد العزيز.

-سؤال وجيه يا عبد العزيز، ولكن ينبغي أن تطرحه على بابا الفاتيكان وليس علي أنا، العجيب أن جوليان المرتد كان في نفس الوقت يمارس أبشع صور التعذيب والقتل بحق المسيحيين الموحدين، ومن بين الذين عذبهم الأسقف الأريسي الموحد ماريس الخلقادوني «Maris of Chalcedon»، وهو زميل لآريوس في مدرسة لوسيان الشهيد، ووفقًا لما ذكره المؤرخ هنري واس «Henry Wace»، وديفيد روورباخر «David Rohrbacher» فإن ماريس كان قد فقد نظره، فسخر منه جوليان المرتد، عندها وقف هذا الأسقف المسيحي الموحد ماريس الخلقادوني وقال للإمبراطور جوليان المرتد: «الحمد لله الذي حرمني من النظر لكي لا أرى وجهك!».

-وهل انتهت الأريسية بعد وصول هذا الإمبراطور للسلطة؟ سأل عبد العزيز من جديد.

-بعد فترة حكم جوليان المرتد، تعاقب على حكم الدولة البيزنطية أباطرة بعضهم موحد، من الأسماء الموحدة: الإمبراطور فالنس «Valens» والإمبراطور فالنتينيان الثاني «Valentinian II» وأمه الإمبراطورة جوستينا أو يوستينا «Empress Justina» التي عملت على دعم الأريسية في عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية ميلانو بدعمها للأسقف الآريسي الموحد في تلك المدينة، إلى أن آلت الأمور في نهاية الأمر إلى إمبراطور كان وصوله للحكم نقطة فاصلة في تاريخ المسيحية الحالية.

-ومن يكونِ هذا الإمبراطور يا بروفيسور؟





-إنه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول «Theodosius I»، هذا الإمبراطور لم يكن فقط نيقيًا يؤمن بألوهية المسيح، بل كان مجرم حرب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فلم يكتفِ بدعم الأساقفة النيقيين الداعين ببدعة تأليه المسيح، بل أعلن هذا الإمبراطور تجريمه لكل من يؤمن بعقيدة التوحيد، فقام بمجازر مرعبة في حق عامة المسيحيين الموحدين الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة ممن ينسبون أنفسهم للمسيحية، وفقًا لما قاله المؤرخ الروماني الشهير جيروم «Jerome» وهو أول من ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية، حيث قال جيروم يصف كثيرة عدد الأريسيين في ذلك الزمان: «معظم العالم صرخ وتعجب ليجد نفسه آريسيًا!»، أما القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية فكانت مدينة آريسية بامتياز، يقول المؤرخ موريس وايلز «Maurice Wiles» في كتابه: الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية: Archetypal Heresy Arianism through the Centuries

«ليس فقط أن قيادة الكنيسة في القسطنطينية كانت آريسية لمدة 40 عامًا، بل إن معظم السكان المسيحيين في المدينة كانوا يميلون للآريسية عن عقيدة نيقية!»، وأثناء فترة حكمه، قام

الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ومن معه من قادة الكنيسة النيقيين بإلغاء جميع قرارات المجامع المسكونية التي ثبتت عقيدة التوحيد.

أخرج نضال جهازه المحمول من جديد، وأشار إلى صورة على شاشة جهازه، وقال:

-انظر هنا يا عبد العزيز، هذه صورة عن جميع المجامع المسكونية التي قامت بها الكنيسة، ستجد فجوة تقترب من 60 عاماً بين المجمع الأول في نيقية عام 325 والمجمع الثاني في القسطنطينية عام 381، على الرغم من عقد علماء المسيحية للكثير من المجامع المسكونية في تلك الفترة، فقد حرصت الكنيسة على إخفاء هذه الحقيقة عن المسيحيين لكي لا يبحثوا عن ما جرى في تلك المجامع المسكونية التي بينت أن المسيح مجرد بشر وليس إله.

-وماذا حصل بعد ذلك يا بروفيسور؟ سأل عبد العزيز.

- أمر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول عام 381 بعقد مجمع في مدينة القسطنطينية سمي بمجمع القسطنطينية الأول، وفي هذا المجمع تم إضافة رب جديد للنيقيين، فقد تم لأول مرة اعتماد الروح القدس كإله معبود، لتكتمل لأول مرة في التاريخ أضلاع أهم مبدأ من مبادئ المسيحية المعاصرة.

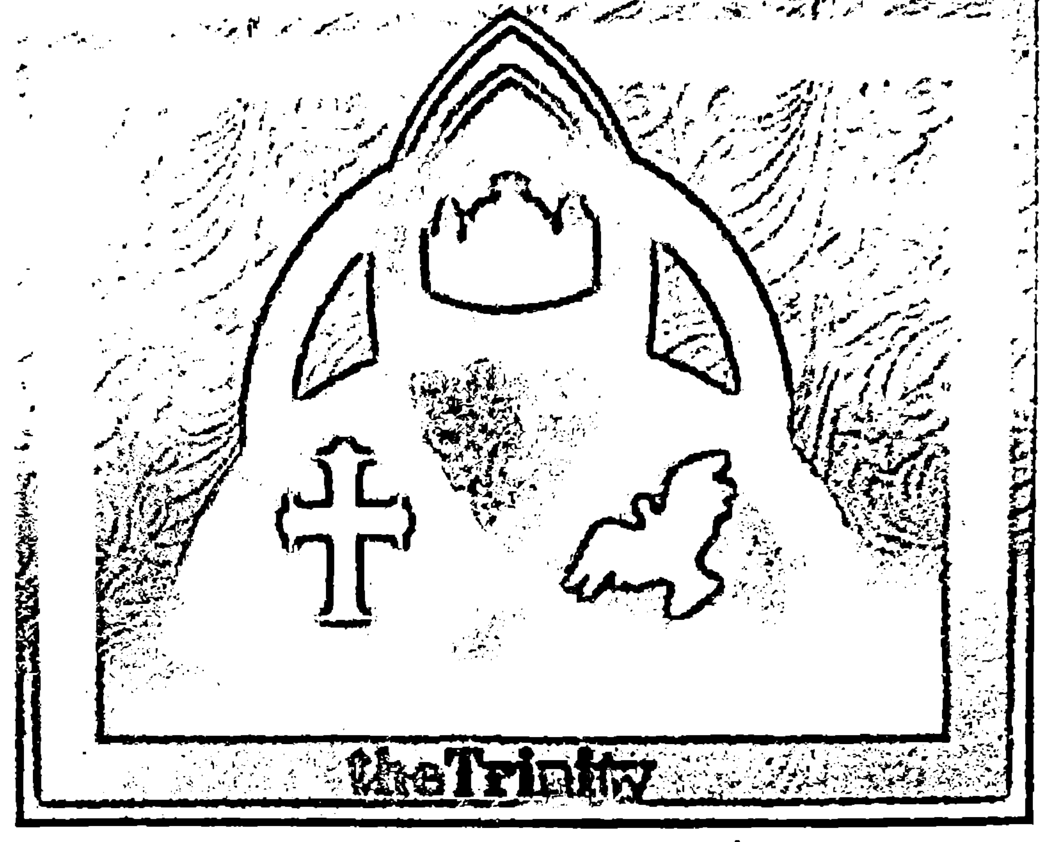


-اعذرني يا بروفيسور، فلست مطلعًا على المسيحية بشكل كبير، ما هو هذا المبدأ المهم في المسيحية المعاصرة الذي ظهر بعد ما يقرب من 4 قرون من ميلاد المسيح؟! سأل عبد العزيز.

-إنه مبدأ الثالوث المقدس، ترينيتي «Trinity»!



ترينيتي



أخرج البروفيسور توماس بريستلي بعض الصور من أحد أدراج مكتبه، وأشار إليها وهو يشرح لعبد العزيز:

- ملخص مبدأ الثالوث المقدس حسب اعتقاد المثلثين أن الآب وصوروه كرجل مسن، والابن، ويقصدون به المسيح، وصوروه غالبًا كرجل أشقر، والروح القدس وصوروه كحمامة، كل

واحد من هؤلاء يساوي الرب، ولكن أيًا منهم لا يساوي الآخر.

- حسنًا، أنا لست خبيرًا في الرياضيات كصديقي نضال، ولكن حسب معلوماتي البسيطة في قوانين الرياضيات وقواعد المنطق أن الأشياء المتساوية مع شيء ثابت تكون بالضرورة متساوية مع بعضها البعض! قال عبد العزيز.

-المشكلة ليست في المبدأ نفسه يا عبد العزيز، ففي أي دين



هناك أمور يصعب للعقل فهمها، الكارثة أن هذا المبدأ ظهر لأول مرة بعد 380 من ميلاد المسيح! قال البروفيسور.

- ولكن ألا يوجد في الإنجيل كلام ينص على هذا المبدأ؟

- عن أي إنجيل تتحدث يا عبد العزيز؟ سأل نضال.

- الإنجيل! الكتاب المقدس للمسيحيين!

- بروفيسور، أرجو المعذرة، فكثير من المسلمين من أمثال صديقي لا يعلمون الكثير عن المسيحية، ويعتقدون أن الكتاب الذي يستخدمه المسيحيون الآن اسمه الإنجيل، هلا أعطيته نبذة مختصرة عن الكتاب المقدس؟

-حسنًا يا عبد العزيز، لا أعرف بالضبط ما تقصده بالإنجيل، ولكن إذا كنت تقصد بالإنجيل كتاب جاء به المسيح، فهذا الكتاب بصورته الكاملة مفقود حاليًا، حتى الكنيسة نفسها لا تدعي أن الكتاب الموجود لديهم حاليًا هو كتاب كان موجودًا في عهد المسيح، فالكتاب المقدس لدى المسيحيين حاليًا اسمه البابيل أو الكتاب المقدس، والبايبل «Bible» كلمة إغريقية تعني «الكتب»، ولذلك تسمى المكتبة في كثير من لغات العالم ببيبوتيك أو بيبليوتيكا، وكتب هذا الكتاب عدة أشخاص في أزمنة مختلفة،

بعض هؤلاء الأشخاص معروف، وبعضهم مجهول تاريخيًا، صحيح أن البايبل أو الكتاب المقدس يحتوي على بعض ما جاء به المسيح، ولكنه يحتوي أيضًا على قصص تاريخية كتبت بعد المسيح، ويحتوي على أمور أضيفت له عبر التاريخ، وهذا الكتاب يتم تغييره بشكل مستمر، لذلك توجد منه نسخ عديدة تختلف كثيرًا عن بعضها البعض، وحتى مع كل التغييرات التي طرأت على الكتاب المقدس عبر الأزمان، فإنه لا توجد جملة واحدة تشير إلى مبدأ الثالوث المقدس، على الرغم من أن الثالوث المقدس هو أهم مبدأ من مبادئ المسيحية المعاصرة!

- ولكنني أتذكر يا بروفيسور أن أحد زملائي ممن ينتمون إلى إحدى الكنائس أراد أن يقنعني بمعتقده، وعندما أخبرته أننا نؤمن أن المسيح نبي وليس إله، أخرج لي من كتابه جملة يقول بها المسيح أنه هو والرب متساويان. قال عبد العزيز.

- هذه أيضًا خدعة كبيرة اختلقها رجال الكنيسة خلال القرون القليلة الماضية فقط بعد أن أحسوا بتزايد السؤال عن حقيقة المسيح، ولا يوجد لها دليل واحد حتى في الكتاب المقدس، فهذه الجملة التي تحدثت عنها هي الجملة الوحيدة الموجودة في الكتاب المقدس حاليًا

التي يمكن أن تفسر منها عقيدة التثليث، وقد وردت بالتحديد في رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس 5 : 7، ونصها الآتي «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد». وبغض النظر أن هذه الجملة لا يفهم منها أساسًا أنه ينبغي عبادة هؤلاء الثلاثة، فإن هذه الجملة ليس لها وجود من الأساس، فالشيء الذي لا يعلمه أغلب المسيحيين بأن هذه الجملة ليست من الكتاب المقدس أصلًا، بل هي إضافة أضيفت مؤخرا مكان « الروح، والماء، والدم ». بعض النسخ من الكتاب المقدس قامت بتوضيح ذلك في الهامش، ولكن أكثر النسخ أخفت ذلك عن عمد، وقامت بوضع نجمة أو قوس أو أي شيء لخداع القارىء دون أن تشير عن معنى ذلك في الهامش، إلا أن بعض النسخ الإنجليزية في الكتاب المقدس مثل نسخة: النسخة العالمية الجديد « New international version» حذفت هذه الجملة بالكلية، وكتبت في الهامش:

« Not found in any Greek manuscript before the sixteenth century» أي أن هذه الجملة «لم توجد في أي من المخطوطات الإغريقية قبل القرن السادس عشر!» نحن نتكلم عن خمسمائة عام من الآن لم تكن قبلها هذه الإضافة التي يستشهد بها



لإثبات عقيدة التثليث موجودة في الكتاب المقدس أصلًا!

دائرة المعارف الكتابية حرف (خ) مخطوطات العهد الجديد

Web www.arabic-christian.org

وقد حدثت أحيانًا بعض الإضافات لتدعيم فكر لاهوتي، كما حدث في إضافة عبارة "والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة" (1 يو 5: 7) حيث أن هذه العبارة لا توجد في أي مخطوطة يونانية ترجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر، ولعل هذه العبارة جاءت أصلاً في تعليق هامشي في مخطوطة لاتينية، وليس كإضافة مقصودة إلى نص الكتاب المقدس، ثم أدخلها أحد النساخ في صلب النص.

-ولكن هل يتطلب من المسيحيين الإيمان بهذا المبدأ؟

تساءل عبد العزيز.

-أغلب الكنائس الكبرى تعتبر الثالوث المقدس أهم ركن في أركان الإيمان المسيحي، فقد أصبح الإيمان بعقيدة الثالوث المقدس شرطًا للإيمان المسيحي للنيقيين، الذين أصبحوا يسمون بالمثلثين بعد مجمع القسطنطينية الأول، أي بعد 380 عامًا من ولادة المسيح، لاحظ يا عبد العزيز أن كل الصراع قبل ذلك التاريخ كان حول تأليه المسيح وليس حول الإيمان بعقيدة التثليث، لأن الروح القدس لم يذكر أبدًا بأنه رب قبل ذلك التاريخ، حتى في مجمع نيقية لم يذكر بأنه رب، فالحقيقة التي تحاول الكنيسة

إخفاءها عن عامة المسيحيين البسطاء أن عقيدة التثليث التي يعتقد بها أغلب المسيحيين في هذا الزمان لم تظهر إلى الوجود إلا بعد 380 عامًا من ميلاد المسيح!

- وماذا حصل للأريسيين بعد هذا التاريخ وفرض الإمبراطور عقيدة التثليث على كل المسيحيين؟ تساءل عبد العزيز.

- لقد تعرض الأريسيون في تلك الفترة إلى مجازر بشعة وأساليب قمع وحشية لإجبارهم بقوة السيف إلى اعتناق المسيحية التثليثية. أجاب البروفيسور.

- هذا يعني أنه قد تمت إبادتهم على يد هذا الإمبراطور المثلث؟

- على العكس، لقد زادت قوتهم أضعافًا مضاعفة بعد هذا القمع! أجاب نضال.

- ولكن كيف؟! كيف تزيد قوتهم وهم مهددون بالإبادة البشرية؟!

- عندما تم التضييق على الأريسيين بتلك الطريقة القمعية البشعة، بدأ الأريسيون برسم خريطة جديدة لأوروبا وشمال أفريقيا، ما زالت آثارها باقية إلى يوم الناس هذا!



- ما الذي حصل بالضبط؟

- بعد العذابات التي تعرض لها الموحدون المسيحيون على أيدي جيوش المثلثين الرومان، اختارت كثير من القبائل الأوروبية الأريسية لا سيما الجرمانية منها خيار المقاومة، فنظمت تلك القبائل الموحدة نفسها لتتصدى لجيوش الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وعلى مدار ما يقرب من قرنين من الزمان، وبالتحديد منذ نهاية القرن الرابع وحتى نهاية السادس، جرت حروب طاحنة بين الرومان وتلك القبائل الأوروبية الموحدة، وكان العامل الديني هو العامل الأهم في تلك الحروب، أي أنها كانت حروبًا بين المثلثين والموحدين، واستطاع الأريسيون في تلك الفترة انتزاع أراض واسعة من قبضة الإمبراطورية البيزنطية، وكونوا فيها ممالك أريسية مستقلة، كانت هذه الممالك أول ممالك في تاريخ أوروبا تستقل عن الإمبراطورية الرومانية، فكونت قبيلة القوط الغربيين الأريسية مملكة القوط الغربيين في إسبانيا وأجزاء من فرنسا، وكونت قبيلة سويبي الموحدة مملكة سويبي الأريسية فيما تعرف اليوم بالبرتغال، وكونت قبيلة القوط الشرقيين مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا والعديد من البلدان الأوروبية المجاورة، وكونت قبيلتا

الفانـدال والآلان مملكـة عظيمـة في شـمال أفريقيـا تسـمى مملكـة الفانـدال، ضـمت أراضـي واسـعة مـن المغـرب والجزائـر وتـونس وليبيـا وجـزر البحـر المتوسـط، وكونـت قبائـل اللومبـارد وقبائـل البروجنديين الموحدين ممالكهم الأريسية أيضًا في مناطق مختلفة في فرنسا وإيطاليا. قال نضال.

- وما الذي حدث لتلك الممالك الأوروبية الموحدة؟ تساءل عبد العزيز بفضول.

-لا تقلق يا صديقي، سأقص عليك بقية قصة الأريسيين بالتفصيل خلال الأيام القادمة، فنحن على موعد مع مغامرة تتعلق بتاريخهم المخفي، أما الآن فهناك شيء مهم أريد أن أطلع البروفيسور عليه.

-بالمناسبة يا نضال، أخبرتني في اتصالك أنك تريد مقابلتي للاستفسار عن شيء مهم، لم تخبرني وقتها أنك تريدن مني أن أشرح لصديقك تاريخ القرون المبكرة للمسيحية. قال البروفيسور ضاحكًا.

-أشكر تكرمك علينا بوقتك يا بروفيسور، هذه المقدمة التاريخية ستفيدنا أنا وصديقي في رحلتنا التي أخبرتك عنها في الهاتف.

-هل أنت متأكد يا نضال أنك تريد أن تستمر في مواجهة تلك العصابات الخطيرة؟ أتفهّم حزنك على أمك وبقية أفراد عائلتك وغضبك الداخلي لذلك، ولكن التفكير بالانتقام من هذه المنظمات السرية الخطيرة قد يودي بك إلى نفس المصير! قال البروفيسور.

-شكرًا لك على نصيحتك يا بروفيسور، والأمر بالنسبة لي يفوق مسألة الانتقام من هؤلاء القتلة، لدي شعور أن حياتي كلها

كانت تهيئة لهذه المهمة، وبعد خسارتي لجميع أفراد عائلتي ليس لدي شيء لأخسره، والآن يا بروفيسور بإمكاني أن أطلعك على هذه الورقة التي تركتها لي أمي قبل مقتلها.

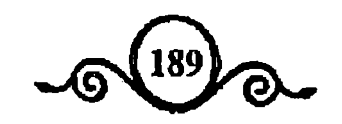
أخرج نضال من حقيبته الورقة التي كانت تحتوي على رموز لأرقام وحروف غير مفهومة المعنى، وفوق هذه الرموز صورة لتفاحة عليها حرف X موجودة في صحن مقعر، وبعض لحظات من الصمت سادت المكان، قال البروفيسور:

-أعتقد يا نضال أن الأمر يتعلق بنيوتن!

-توقعت هذا الأمر من أول لحظة رأيت فيها صورة هذه التفاحة، وهذا ما زاد من حرصي على القدوم إلى لندن، ولكن ما علاقة نيوتن بالأريسيين يا بروفيسور؟

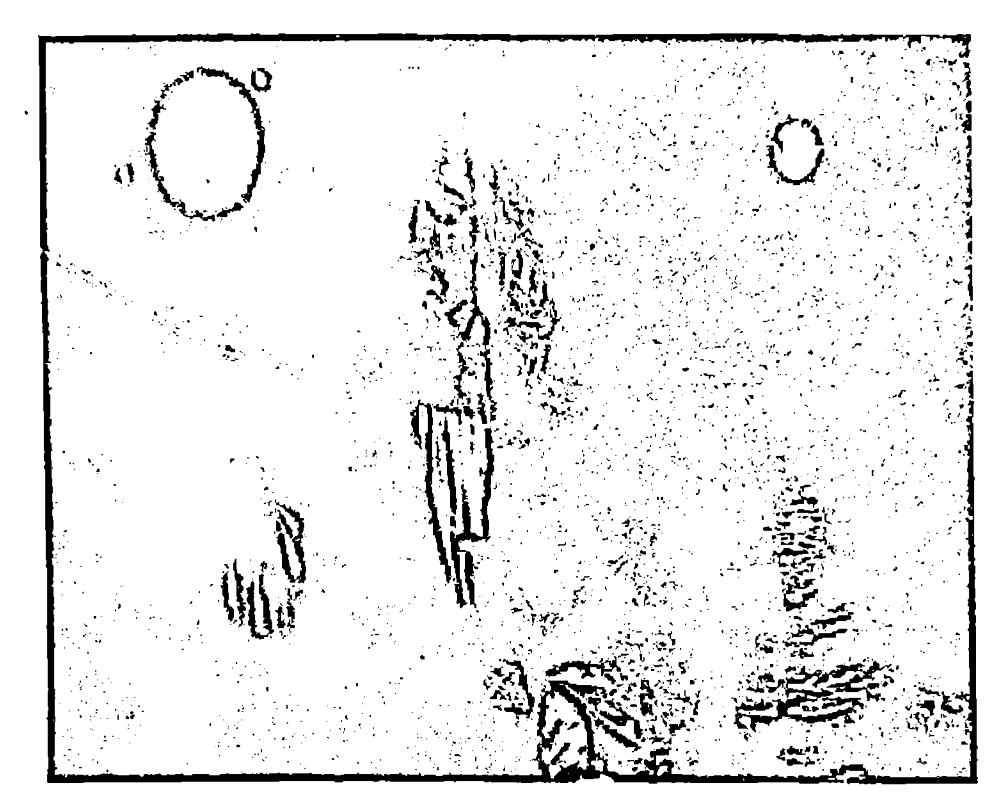
ابتسم البروفيسور ثم قال:

-يبدو أنك لا تعلم يا نضال أن السير إسحق نيوتن كان من أشد المؤيدين لصاحبك آريوس!





نيوتن الموحد



-لم أكن أعلم أن نيوتن يؤمن بوجود الله أصلًا! قال نضال.

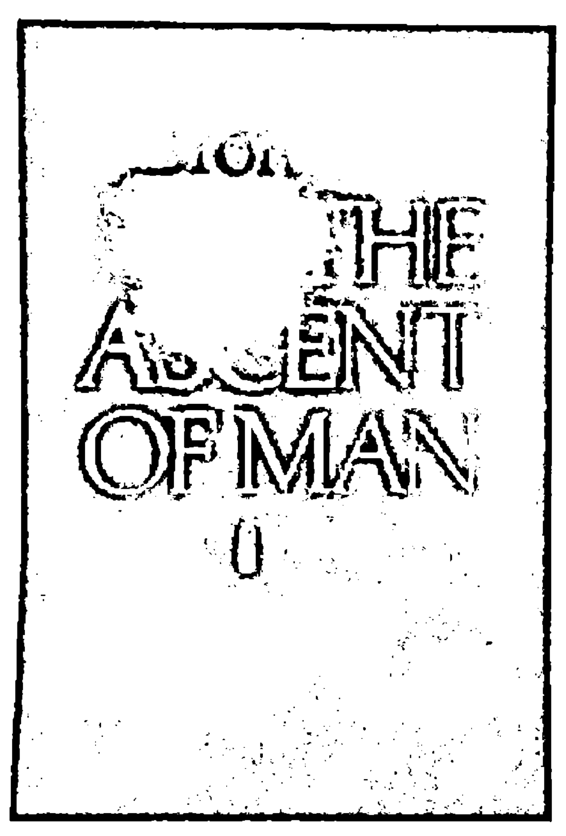
-وما الذين دفعك لهذا الاعتقاد؟ تساءل البروفيسور.

-لا أعلم، لدينا نحن العرب انطباع أن العلماء الغربيين الكبار ملحدون. قال نضال.

ولكن الحقيقة مخالفة لهذا الاعتقاد، فكثير من أبرز علماء الغرب في التاريخ كانوا مؤمنين بوجود الخالق، ولكن هذا لا يعني

إيمانهم بالدين المسيحي على صورته الحالية، وربما هذا ما صور للناس أن العلماء يميلون إلى الإلحاد، والحقيقة أن أغلب العلماء الذين ظهروا في القرون الماضية لم يكونوا كافرين بالله، بل على العكس، كان العلم يدفعهم للإيمان بشكل أعمق بالله، وهذا ما صرح به نيوتن بقوله: «هذا النظام الأجمل المكون من الشمس والكواكب والمذنبات، يمكن له فقط أن يعمل من قبل تدبير وسلطان كائن جبار وذكي». لذلك فإن الحقيقة التي لا تريد الكنيسة أن يعلمها الناس هي أن هؤلاء العلماء لم يكونوا كافرين بالله، بل كانوا كافرين بالتفسير الكنسي لله الذي صور الله بأشكال متعددة، وبمعنى أوضح كانوا كافرين بالثالوث المقدس، وهذا ما دفع الكنيسة لمحاربتهم بأبشع الطرق مع بداية عصر النهضة الأوروبي، الأمر الذي عرض كثير منهم إلى محاكمات كنسية أدت بهم للقتل أو السجن أو التعذيب أو حتى الحرق أحياء بقرارات من الفاتيكان نفسه، وفي الحقيقة فإن التطور العلمي الذي شهدته أوروبا في القرون القليلة الماضية جعل من الصعب على عقلية الأوروبيين تقبل فكرة مبدأ الثالوث المقدس، والذي يخالف كل القوانين العلمية للطبيعة والمنطق.

-هذه الحقيقة عبر عنها المؤرخ وعالم الرياضيات البريطاني الشهير جاكوب برونوفسكي «Jacob Bronowski» في كتابه الشهير «ارتقاء الإنسان» «The ascent of man» حينما قال: (كان العلماء في القرن السابع عشر يشعرون بالحرج من مبدأ التثليث).



-وهل هذا يعني أن الأمر تحول إلى ظاهرة لدى العلماء في ذلك الوقت؟ تساءل نضال.

-ليس فقط العلماء، بل كثير من المشاهير ورجال السياسة الذين ظهروا في ذلك الوقت كانوا يكفرون بالتفسير الكنسي لله



القائم على فكرة الثلاثة، ولا يتسع الوقت هنا لذكر أسمائهم جميعًا، ولكن يكفيك أن تعلم أن أحد أجدادي وهو مؤسس علم الكيمياء الحديثة ومكتشف الأكسجين جوزيف بريستلي « Joseph Priestley» كان من ضمن قائمة الموحدين الانجليز الذين كفروا بالثالوث المقدس وأنكروا ألوهية المسيح.

-ولكن كيف وصل التوحيد إلى إنجلترا يا بروفيسور؟ تساءل عبد العزيز.

-البداية كانت في إسبانيا في القرن السادس عشر، في ذلك الوقت ظهرت في غرب اسبانيا بالتحديد حركة مسيحية جديدة للتوحيد ترفض مبدأ الثالوث المقدس بأن الله يتشكل من ثلاثة أقانيم، وأطلق على هذه الحركة الجديدة بالحركة التوحيدية «Uniitarian»، قاد هذه الحركة أحد العلماء الذين برزوا في أكثر من علم ويدعى ميغيل سيرفتو «Michael Servetus»، هذا العالم ألف كتابين مهمين كتاب «أخطاء الثالوث» وكتاب «استعادة المسيحية»، وفي هذين الكتابين فند سيرفتوس عقيدة التثليث، فحاربته الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا، فهرب منها الى أنحاء مختلفة في أوروبا، حتى قبضت عليه سويسرا، فتنافست



السلطات الأوروبية المثلثة أيهم يحصل على شرف اعدام هذا المفكر، إلا أن قادة الكنيسة في جنيف السويسرية أصروا على محاكمته على أرضهم، فأصدروا عليه حكمًا مرعبًا بأن تربط كتبه فيه ويحرق حيًا، لكن ميغيل سيرفتوس وبكل جرئة وأمام العشرات من رجال الكنيسة، قال أثناء محاكمته: «إن الثالوث وحش كاسر يفترس المسيحية، وهو اختراع فلسفي ليس له أساس في الكتاب المقدس!» وفي 27 من شهر أكتوبر من عام 1553 م تم احراق ميغيل سيرفتوس حيًا في مدينة جنيف السويسرية.



-وبعد احراقه انتشرت حكاية ميغيل سيرفتوس في جميع أنحاء أوروبا، وخلال مائة عام فقط كان هناك في أوروبا ما يزيد عن

500 فرقة موحدة، بل وصل الأمر في فترة من الفترات الى أن الملك جون سغموند زابوليا-John Sigismund Zapolya» «King of Hungry وهو ملك مملكة هنغاريا، أعلن اعتناقه للتوحيد، وقام بمعاونة من وزيره الموحد فرانسيس دافيد «Ferenc David» بإصدار عام 1568م المرسوم الشهير المعروف بمرسوم توردو(Edict of Torda)، وهذا بالمناسبة أول قانون في تاريخ أوروبا الحديثة يمنح البشر حرية اختيار المعتقد، قبل أن يقوم رجال الكنيسة وحلفاؤهم من الأمراء بعزل هذا الملك الموحد، ومحاكمة وزيره، الذي أدين بالهرطقة، وحكم على هذا الوزير الموحد حكم مرعب، وهو أن يلقى في سرداب مظلم لإحدى القلاع بدون أكل أو شرب حتى يموت ببطء. ثم بعد ذلك تكونت في بولندا وليتوانيا جماعة دينية كبيرة تسمى الأخوية البولندية (Bracia Polscy) وتم اطلاق اسم «الأريسيين» عليهم وذلك لرفضهم عقيدة التثليث، كانت مدينة راكوف (Rakow) البولندية معقلًا لهم قبل أن تضغط الكنيسة على البرلمان البولندي عام 1638 لإصدار قرارات بتمدير هذه المجموعة الموحدة، وهذا ما تم بالفعل، أما إنجلترا فقد انتشر فيها التوحيد على يد رجل اسمه جون بيدل «John Boddle »، هذا

المفكر الموح ألقي في السجون عدة مرات حتى ساءت صحته ومات، ولكن أفكاره التوحيدية انتشرت في إنجلترا بشكل كبير، فاعتنق كثير من الإنجليز عقيدة التوحيد، وكان من بينهم العالم الفيزيائي الشهير إسحق نيوتن، الذي كان موحدًا ولا يؤمن بالثالوث المقدس، وربما يصدم البعض عند معرفته بأن مكتشف الجاذبية الشهير كتب صراحة بأنه يؤيد زعيم الموحدين المسيحيين آريوس ضد أثناسيوس، هذا ما ظهر مؤخرًا في وثيقة تاريخية عُثرت ضمن ملاحظات كتبها إسحق نيوتن بخط يده، وتم اختبار صحتها والكشف عنها في السنوات الأخيرة فقط من قبل خبراء في جامعة كامبريدج البريطانية، وفي إحدى البرامج الوثائقية قال المؤرخ الإنجليزي الشهير البروفيسور سيمون شيفر من جامعة كامبردج: (لأن نيوتن كان مقتنعا بأن الله لا مثيل له، وأن الله يمتلك قوة عظيمة للغاية، يمكن القول أن نيوتن جعل نفسه في موضع الهرطقة، أي بعبارة أخرى بدأ نيوتن بالتقليل من معنى أن المسيح إله معبود، حتى وصل الى إنكار الوهية المسيح)، أما جالي كريستيانسون كاتب سيرة حياة نيوتن فقد قال: (لقد توصل نيوتن مبكرًا إلى النتيجة بأن مبدأ الثالوث المقدس عبارة عن كفر بالوصية الأولى في

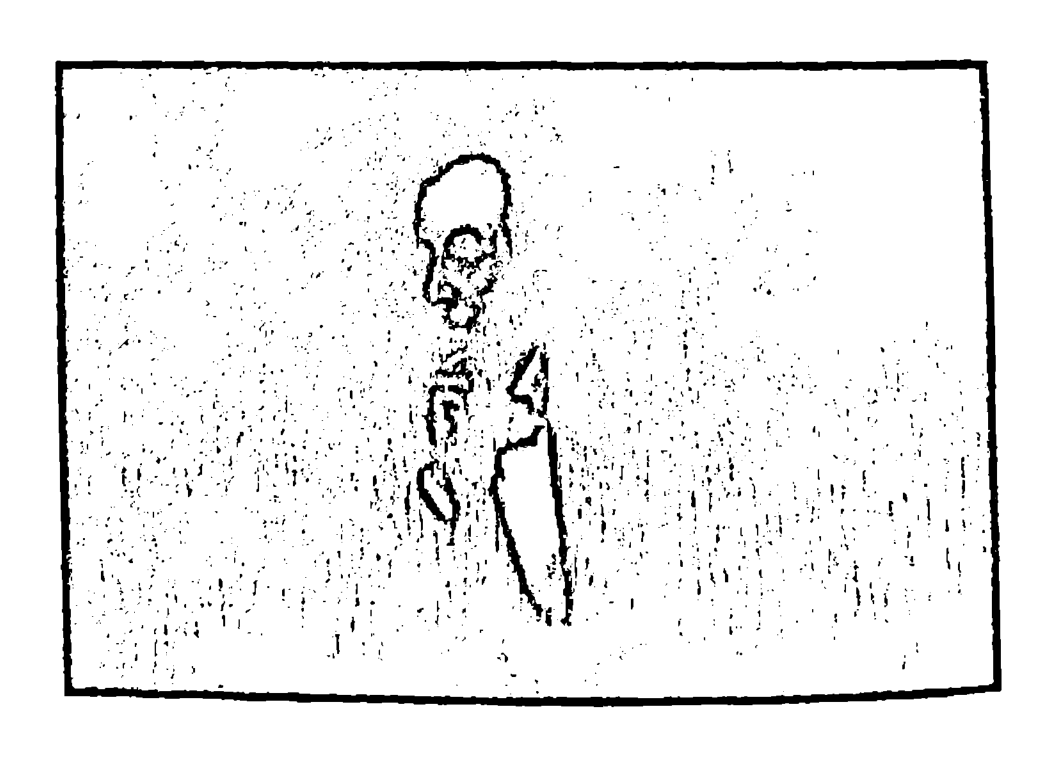
الكتاب المقدس، لأن الوصية الأولى للرب هي: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي». لذلك فإن عبادة الآب والابن والروح القدس حسب اعتقاد نيوتن عبارة عن كفر!).

- وأين اختفى المسيحيون الموحدون في هذا الزمان يا بروفيسور؟ سأل نضال.

- نتيجة لقمع الكنائس الأوروبية للموحدين الأوروبيين الذين أنكروا عقيدة التثليث، هاجر كثير منهم في القرون الماضية الى أمريكا، لأنهم وجدوا في أمريكا المنفتحة دينيًا ملجأ يحميهم من بطش كنائس المثلثين في أوروبا، هؤلاء الموحدون انتشروا في ربوع أمريكا وساهموا في نهضتها، بل ووصلوا الى سُدّةِ الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تصيبك الدهشة عند معرفتك أن أربعة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية كانوا على المذهب التوحيدي «Unitarian» الذي لا يعترف بالثالوث المقدس. هؤلاء الرؤساء هم: جون آدمس (John Adams) وجون كوينسي آدمس (John Quincy Adams) وميلارد فيلمور (Millard Fillmore) ووليام هوارد تافت (William Taft)، هذا الأخير كان رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية قبل مئة عام من الآن تقريبًا، ناهيك عن الرئيس الأمريكي الأشهر

أبراهـام لينكـولن (Abraham Lincoln)، فوفقًـا لصـديقه المقـرب وحارسـه الشخصـي وارد هيـل لامـون (Ward Hill Lamon)، وهـو الشخص الذي دوّن سيرة هذا الرئيس الأمريكي، فإن لينكـولن لـم يكـن يعـترف بألوهيـة المسـيح ولا حتـى بأنـه ابـن الله، ويقـول لامـون عـن لينكولن في كتابه حياة لينكـولن «The Life of Lincoln»: «لـم يرد من شفتي (فم) أو قلم لينكولن أبدًا في كل تلك الأوقات أن المسيح هـو ابن الله أو مخلص البشرية»، إضافة لذلك فإن معظـم من أحاطوا بلينكـولن عـن قـرب صـرحوا بأنـه كـان يؤمن بـالله كإلـه واحـد، ويكفـر بالثـالوث المقـدس، وأشـار المحيطـون بـه أيضًـا بأنـه كـان يـؤمن بـأن الكتـاب المقدس قـد تـم تحَريفـه، وأنـه لـم يعـترف أبـدًا بربوبيـة المسـيح، لـذلك فإنك إذا بحثت في المراجع الموثقة، أو صفحات الإنترنت الرسمية عـن الخلفيـات الدينيـة لرؤسـاء الولايـات المتحـدة، وكتبـت مثلاً في محـرك البحـث «جوجـل»: Religious affiliations of Presidents of the United States، فإنـك سـتجد أن كـل رؤسـاء الولايـات المتحـدة تـم تعـريفهم كمسـيحيين «Christian» بمـذاهب مختلفـة، إلا أبراهـام لينكولن الوحيد الذي ستجد على الغالب بجانب اسمه في خانة الديانـة: «None specified» وتعني غير معـروف، الأمـر الـذي دفـع البعض

لاعتباره يهوديًا أو ماسونيًا، وذهب البعض إلى بأنه كان مسلمًا، خاصة أن بعض خطب لينكولن تضمنت بالفعل آيات من القرآن الكريم، وأن أمه نانسي هانكس Nancy Hanks قد تكون لها جذور مسلمة لعرقية الملونجينس «Melungeons»، وهي التسمية التي كانت تطلق في أمريكا بشكل أساسي على من ترجع جذورهم إلى مسلمي الأندلس الذين هاجروا إلى أمريكا، وهذا وفقًا للباحث الأمريكي برينت كينيدي Brent Kennedy، ولكن هذه الأمور يا نضال تبقى مجرد تحليلات واجتهادات قد تكون حقيقية وقد تكون غير ذلك، ولكن الثابت تاريخيًا أن لينكولن كان يؤمن بالله، ولكنه كان يكفر بألوهية المسيح، ويكفر بمبدأ الثالوث المقدس.



- وماذا عن أوروبا؟ هل بقي فيها موحدون؟ سأل نضال.

- في أوروبا ومع بداية القرن الماضي، ووجود حرية دينية نسبية، ظهرت من جديد بعض الأسماء الأوروبية الشهيرة التي لم تخفِ كفرها بالثالوث المقدس واعتناقها لمبدأ التوحيد، فظهرت الكنائس التوحيدية في ألمانيا والدنمارك والنرويج والسويد وغيرها من دول أوروبا، ومنهم على سبيل المثال السياسي السويدي وداعية السلام العالمي الحائز على جائزة نوبل للسلام عام 1908، كلاس بونتوس أرنولدسون (Arnoldson Klas Pontus) الذي أسس كنيسة توحيدية في السويد أسماها: «الباحثون عن الحقيقة». ولكن للأمانة العلمية فإنه ينبغي التنويه هنا أن الموحدين في العصور الحديثة ليسوا جميعًا على ما كان يعتقده آريوس، فمع مرور الزمن دخل الانحراف والتحريف أيضًا لكثير من المذاهب التوحيدية، فصار كثير منهم يبتدعون أمورًا جديدة لم تكن موجودة في السابق، ومع مرور الزمن ازدادت هذه الانحرافات، ونتجت عنها مذاهب جديدة تسمى توحيدية، ولكنها في حقيقة الأمر أبعد ما يكون عن التوحيد الذي جاء به المسيح، وعلى فكرة حركة «شهود

يهوه» «Jehovah's Witnesses» المسيحية الواسعة الانتشار في هذا الزمن تعتبر نفسها حركة توحيدية، أي أن أتباعها يكفرون بفكرة الثالوث المقدس، ولكنهم يؤمنون بأفكار أخرى لا تقل عنها خطورة.

- بروفيسور، من فضلك ألقِ نظرة على هذه الورقة!

أشار نضال إلى الورقة التي تركتها له أمه، ووضعها أمام البروفيسور الذي أخذ يتأمل فيها.

لغز التفاحة



- باعتقادك يا بروفيسور لماذا رسمت أمي تفاحة في أعلى هذه الورقة التي تحتوي على حروف وأرقام غير مفهومة؟

-لا أعلم بالتحديد، ولكن كما هو واضح من البحث الذي قرأت بعض ما جاء في صفحاته أن أمك توصلت إلى معلومات خطيرة تؤدي إلى مكان كنز الفاندال الأسطوري، ولكنها لم تحدده مباشرة في البحث لسبب من الأسباب، وعلى ما يبدو فإن هذه الورقة بها حل هذا اللغز المؤدي إلى مكان الكنز، لذلك سعت تلك العصابات إلى الوصول إلى هذه المعلومات بأي شكل من الأشكال، ولكنها وكما أخبرتني خدعتهم بترك هذه الورقة لك، وعلى ما أعتقد فإن حل لغز أمك يكمن في تفسير معنى هذه الأرقام والأحرف من خلال ترتيبها وفقًا لبعض قوانين نيوتن الفيزيائية ومعادلاته الرياضية، لذلك رسمت أمك حرف X على التفاحة، وجعلت التفاحة في وعاء مقعر، وكتبت هذه الرموز أسفل منها، والظاهر أن التفاحة ترمز إلى نيوتن، ووفقًا للقصة الشهيرة لاكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية، فإن أمك أرادت برسمها للتفاحة في هذه اللغز الإشارة إلى نيوتن، خاصة مع معرفتنا بعلاقته بالتوحيد

وتأييده لآريوس، والوعاء المقعر يرمز إلى الاحتواء على ما يبدو، أي أن التفاحة تحتوي على سر اللغز، والذي تمت الإشارة إليه بالحرف X الذي يرمز إلى المجهول.

- شكرًا لك يا بروفيسور على منحك إيانا هذا الوقت الثمين.

قال نضال.

- لا داعي للشكر يا نضال، فأنت أحد أنجب الطلبة الذين مروا علي أثناء تدريسي في الجامعة، وأنا الذي أشكرك لأنك وثقت بي وأطلعتني على هذا السر الذي أعادني إلى حماسي القديم الذي كنت أملكه قبل تقاعدي من الجامعة.

- بروفيسور لقد أحضرت لك نسخة من الورقة التي تحتوي على لغز التفاحة، سأتركها لك لكي تتطلع عليها بهدوء وتخبرني بما تجده.

- حسنًا يا نضال، سأحتاج إلى بعض الوقت لتحليل هذه الأرقام والحروف الموجودة أسفل التفاحة، وسأقوم بالاتصال بك فور الانتهاء من تحليلها.

ودع نضال وعبد العزيز البروفيسور توماس بريستلي، وقبل أن يغادرا من بوابة القصر نادى البروفيسور قائلًا:



-نضال، نسيت أن أقول شيئًا مهمًا، آسف على كل ما مضى!

قال البروفيسور.

رسم نضال على وجه ابتسامة حاول من خلالها إخفاء مشاعره، ثم قال بصوت هادئ:

-لا عليك يا بروفيسور، ما جرى في الماضي أصبح في حكم النسيان، تصبح على خير، وسلامي الخاص إلى كاثرين! قال نضال بابتسامة حاول من خلالها إخفاء مشاعره.

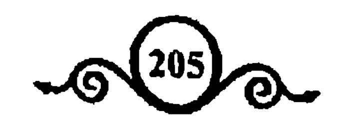
وما أن تجاوز الصديقان بوابة القصر، حتى وجه عبد العزيز سؤالًا إلى نضال:،

- نضال، هناك سؤال تبادر إلى ذهني بينما كنت أستمع إلى شرح البروفيسور؟

- وما هو ذلك السؤال؟

- ما هو دين البروفيسور توماس بريستلي؟ أنا أعلم أن كاثرين كانت مسيحية بروتستانية قبل إسلامها، ولكن لم ألحظ على أبيها أي مظهر من مظاهر التدين! قال عبد العزيز.

- البروفيسور ينتمي إلى «اللاأدرية» أو «الأغنوستية»



«Agnosticism». أجاب نضال.

- هذا يعني أنه ملحد؟

- لا يا عبد العزيز، الملحد هو الذي ينكر وجود الله، اللاأدريون يقفون في موقف متوسط بين المؤمنين والملحدين، أي أنهم لا يؤمنون ولا يلحدون بالله تعالى، ويعتقدون أن هذه الأمور الغيبية لا يمكن معرفتها، وذلك لأنهم لا يؤمنون بالأديان أصلًا، وإن كانوا في الغالب يعتقدون من داخلهم أن هناك قوة ما تتحكم في الكون.

-ولكنه متخصص في تاريخ الأديان، وكلامه عن آريوس والأريسية يبين أنّه متعاطف مع فكرة التوحيد، فما هذا التناقض؟ تساءل عبد العزيز.

- لقد دارت بيني وبين البروفيسور في الماضي كثير من المناقشات الحادة في مسألة الإيمان في هذا القصر، وبإمكاني أن أؤكد لك يا صديقي أن دفاعه عن أريوس ليس من منطلق إيماني على الإطلاق، فالبروفيسور أصلًا لا يؤمن بنبوة المسيح عليه السلام، ويعتقد أنه كان مجرد مصلح اجتماعي ظهر في بني إسرائيل، ولكن كثيرًا من العلماء الغربيين من أمثال البروفيسور

توماس بريستلي لديهم تجرد علمي وحرفية عالية وإنصاف ربما لا يتوفر عند كثير من الملتزمين بأديانهم، وهم يعرفون كيف يفصلون بين الحقائق العلمية والتاريخية وبين عواطفهم ومعتقداتهم.

- حسنًا، ما الذي تخطط له الآن؟ هل علينا أن ننتظر نتائج تحليل البروفيسور لرموز لغز التفاحة التي أعطيته نسخة منها؟

- ليس لدينا الكثير من الوقت لنضيعه يا عبد العزيز، لا تنسَ أن قتلة أمي يمتلكون نسخة من البحث، ولن يمضي وقت طويل حتى يكتشفوا أن هناك نقصًا في المعلومات التي بين أيديهم، لذلك يجب أن نسرع في تحركاتنا.

- ما الذي علينا فعله الآن بالضبط يا نضال؟

- هناك شيء أريد أن أتأكد منه لكي أفهم سبب حرص الحشاشين الجدد على الوصول إلى سر آريوس، جهز نفسك غدًا لكي نصلي العصر في مسجد لندن المركزي، فسنقابل هناك شيخًا اعتاد على الصلاة في ذلك المسجد اسمه الشيخ صالح داود، أتذكر أنني سمعت في إحدى المناسبات محاضرة لهذا الشيخ الأزهري يتحدث فيها عن معلومات عجيبة متعلقة بآريوس والأريسيين، للأسف لم يلقِ لها أحد من الحاضرين وأنا من بينهم بالًا في ذلك

الوقت، ولكني الآن أرى أن كلامه قد يفسر كثيرًا من الأمور التاريخية الغامضة فيما يتعلق بآريوس والأريسيين.

- ولكن ألم نستمع للتو من البروفيسور إلى قصتهم؟!

- ما استمعنا إليه للتو يا صديقي كانت الرواية التاريخية والمسيحية عن آريوس والموحدين، غدًا إن شاء الله سنستمع من ذلك الشيخ إلى رواية إسلامية عجيبة عنهم!

- ولكن ما علاقة آريوس والأريسيين بالإسلام؟

- عبد العزيز هل تتذكر قصة رسالة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل إمبراطور الإمبراطورية الرومانية البيزنطية؟ في تلك الرسالة قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهرقل كلمات تدعو للتأمل، وأريد الآن أن أتأكد من معناها: «فإن توليت فعليك إثم الأريسيين»!.

فإن توليت فعليك إثم الأريسيين

بعد أن انتهى نضال وعبد العزيز من صلاة العصر في مسجد لندن المركزي، أخذ نضال يتفقد المصلين بحثًا عن الشيخ صالح داود، ولكنه لم يجده بينهم، فسأل بعض المصلين عنه، فأخبروه أنه انتقل للعيش في منطقة أخرى بعيدة عن المسجد، وتمكن نضال أن

يحصل من أحد المصلين على رقم هاتف الشيخ صالح، فاتصل عليه وهو خارج من المسجد، وأخبره بشكل مختصر بما جاء من أجله، وأنه يرغب هو وصديقه في زيارته، فطلب الشيخ من نضال أن يحضرا إلى منزله الواقع في إحدى ضواحي لندن لمقابلته مساء ذلك اليوم، فذهب نضال وعبد العزيز في الوقت المحدد إلى العنوان الذي أرسله الشيخ صالح، وبعد لحظات تعارف قصيرة، أخذ نضال يقص على الشيخ صالح قصته، وأخبره عن المأساة التي حلت بعائلته نتيجة لأبحاث أمه في موضوع الأريسيين.

-أي معلومة يا فضيلة الشيخ مهما كانت صغيرة يمكن أن تساعدني في إتمام ما بدأته أمي، وقد سمعتك في إحدى المحاضرات تتكلم في أمر الأريسيين كلامًا عجيبًا لم أنتبه له وقتها، كل ما أريده من فضيلتكم الآن هو الحصول على إجابة محددة لهذا السؤال: هل هناك بالفعل علاقة لآريوس والأريسيين بالإسلام؟ سأل نضال.

- الأريسيون الموحدون كانوا مسلمين يا ولدي! قال الشيخ صالح.

- ولكن كيف؟ آريوس عاش ومات قبل بعثة الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بما يزيد عن قرنين ونصف من الزمان، فكيف يكون مسلمًا؟! تساءل نضال.

- ينبغي علينا بداية أن نفهم ما هو الإسلام، فإن كنت تقصد بالإسلام رسالة آخر الأنبياء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقط، فأنا بالتأكيد لا أقصد ذلك، ولكن الإسلام كعقيدة ودين ليس دينًا جديدًا جاء به فقط الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بل هو امتداد لدين الله الذي شرعه للبشر من قديم الزمان، فالإسلام يعني الاستسلام لأمر الله تعالى وعبادته وحده، وهو قائم على عقيدة ثابتة هي عبادة الله وتوحيده بالعبادة، وليس هناك شيء اسمه «الأديان السماوية» كما يردد البعض، ولكن هناك شرائع سماوية مختلفة لدين واحد، فالدين عند الله هو الإسلام، أما غير ذلك من مسميات لأديان فهي من تسمية البشر أنفسهم، فسمى البوذيون أنفسهم بهذا الاسم نسبة لفيلسوفهم (غوتاما بوذا)، وأطلق اليهود هذا الاسم على دينهم نسبة إلى (يهوذا بن يعقوب) أحد أسباط بني إسرائيل، والمسيحيون نسبوا أنفسهم إلى المسيح (المسيح بن مريم) عليه السلام، وسموا بالنصارى إما نسبة لمدينة «الناصرة» مهد المسيح عليه السلام، أو لنصرة حوارييه له، أما الإسلام فهو اسم اختاره الله للدين الذي بعث به كل الأنبياء: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78]، وقد كان إبراهيم عليه السلام مسلمًا: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ

﴿ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران:67]، وسحرة فرعون كانوا مسلمين: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف:126]، وكان نوح عليه السلام مسلمًا: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس:72]، وموسى عليه السلام قال في خطابه لبني إسرائيل: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس:84]، وأخبر الله تعالى أن الحواريين أتباع المسيح الحقيقيين كانوا مسلمين، وقد أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم، فقال: ﴿ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[آل عمران: 52]. لذلك فإن الإسلام هو الدين الوحيد لجميع الأنبياء وأتباعهم الحقيقيين، مع اختلاف في بعض التشريعات من زمان إلى آخر، فقد يحل لقوم ما يحرم على آخرين والعكس، ويباح في زمان ما يمنع في آخر، لما يعلمه الله تعالى من مصالح العباد واختلاف الظروف الاجتماعية لهم والتطور الحضاري لبني الإنسان عبر مراحل التاريخ المختلفة، لذلك فنحن

عندما نصف أحدًا من أتباع عيسى عليه السلام بالإسلام فإننا لا نعني أنهم اتبعوا شريعة الإسلام الخاتمة التي جاء بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما نقصد بذلك المفهوم الأوسع للإسلام كدين لكل الأنبياء.

-كلام منطقي، ولكن كيف عرفت أن فرقة الأريسيين هي الفرقة المسلمة التي اتبعت المسيح عليه السلام؟ سأل نضال.

-وهل تعرف أنت اسمًا لفرقة أخرى من النصارى يظن فيهم ولو مجرد ظن أنهم هم الأتباع الحقيقيون للمسيح عليه السلام؟ سأل الشيخ صالح وهو يبتسم.

-ما تقصد يا فضيلة الشيخ؟ تساءل نضال.

-أقصد أن أغلب الذين ينكرون أن الأريسيين كانوا هم المسلمين من أتباع المسيح عليه السلام الذين وجدوا قبل بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بما يزيد عن قرنين من الزمان، لا يستطيعون الإتيان باسم آخر لفرقة من فرق النصارى الذين كانوا على المنهج الصحيح للمسيح عليه السلام، أي أنهم ينكرون إسلام الأريسيين، ولكنهم لا يأتون ببديل عنهم بإمكانه سد الفراغ التاريخي بين المسيح والرسول عليهما الصلاة والسلام.



-عذرًا يا فضيلة الشيخ عن المقاطعة، ولكن ما الذي تقصده بالفراغ التاريخي؟ تساءل عبد العزيز.

-أقصد أن هناك ما يقرب من 6 قرون بين المسيح عيسى عليه السلام والرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي أكبر فترة زمنية معروفة بين نبيين متعاقبين من أنبياء الله تعالى، فالأنبياء في السابق وجدوا في فترات زمنية متتالية، وفي بعض الأحيان كان هناك أكثر من نبي في نفس الزمن، وبنو إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كما أخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أي أن قادتهم كانوا أنبياء، ناهيك عن الأنبياء الآخرين الكثر الذين لم يتم ذكرهم في الكتاب والسنة، والعجيب أن الفترة الزمنية الوحيدة التي امتدت لمئات السنين بين نبيين اثنين حسب ما وصل لنا هي الفترة التي كانت بين المسيح عيسى عليه السلام والرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وبالتأكيد فإنها لم تكن خالية من المسلمين، فالله لا يترك الأرض دون إسلام، إلا قبل يوم القيامة بوقت قصير عندما تأتي الريح ولا يبقَ في الأرض أي مسلم، وفهمنا لتاريخ الأريسيين وتاريخ الموحدين من قبلهم مثل بولس الشمشاطي ولوسيان الأنطاكي وغيرهم، يمكن أن يسد الفراغ التاريخي الذي كان بين آخر نبيين مرسلين.

-يبدو أنك على اطلاع جيد بتاريخ المسيحية يا فضيلة الشيخ! قال نضال مبتسمًا.

-لقد قرأتُ أغلب ما كتبه المؤرخون القدماء والمعاصرون عن أتباع المسيح، ليس فقط من كتب المسلمين، بل أيضًا من كتب غير المسلمين، فالمشكلة التي يقع بها كثير من المسلمين أنهم يعتقدون أنه لا ينبغي قراءة ما كتبه أتباع الديانات الأخرى، وهذا مخالف للسنة وللمنطق وللمنهاج العلمي الصحيح، فالعلم ذو طبيعة تراكمية، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يمنع أصحابه من الاطلاع على ما كتبه أهل الكتاب، ولكنه حذر من التسليم بصحة كل ما يقرؤونه دون التثبت من المصادر والتحقق من صحتها، فآريوس على سبيل المثال تم تشويه صورته بشكل كبير من أعدائه، ونسبت إليه أمور تتناقض مع سيرته وأفكاره التي ورثها عنه أتباعه، ولكن في نفس الوقت هناك أمور كتبت عنه تحمل قدرًا كبيرًا من المصداقية، خاصة من المؤرخين الغربيين المعاصرين الذين فندوا الكثير مما نقل عنه من أعدائه.

-ولكن هل ورد في كتب المسلمين أمور تتعلق بآريوس والأريسيين؟ تساءل نضال.



-رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل تم ذكر اسم الأريسيين فيها باللفظ. قال الشيخ صالح.

- أتقصد قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهرقل: «فعليك إثم الأريسيين»؟ ولكن يا فضيلة الشيخ أذكر جيدًا أنني قرأت هذا الحديث خلال مرحلة الدراسة الثانوية، وأن الكتاب فسر كلمة الأريسيين بأنها تعني الفلاحين! قال نضال.

- وأنا أيضًا في المغرب قرأت نفس التفسير. قال عبد العزيز.

- هذا صحيح، فقد ذهب نفر من أهل العلم بأن كلمة الأريسيين تعني الفلاحين، أو الأكّارين، أو المزارعين، ورأوا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر المزارعين دون غيرهم لأنهم حسب ذلك التفسير أكبر فئة في الروم، والحقيقة أن هذا الاجتهاد من أولئك الأفاضل يخالف الحقائق التاريخية، فالإمبراطورية الرومانية كانت تحكم مئات الآلاف من العسكر، وكان لديها بحارة كثر يجوبون البحار، والعديد من التجار والحدادين والنجارين والصناع، فلماذا يختص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر الفلاحين دون غيرهم من تلك الفئات الكبيرة في المجتمع؟ ولماذا لم يذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لفظة «الأريسيين» في كل أحاديثه سوى في

هذه الرسالة الموجهة إلى إمبراطور الرومان هرقل؟ ثم إن الرومان أنفسهم يعرفون كلمة الأريسيين The Arians بأنهم الذين يتبعون فكر آريوس، وعلى أية حال فإن هذا التفسير يظل اجتهادًا من هؤلاء المفسرين رحمهم الله، ولكن كلامهم ليس قرآنًا منزلًا ينبغي التسليم به، خاصة أن هناك من العلماء من كان له اجتهاد آخر في موضوع آريوس والأريسيين.

- أتقصد ما قاله ابن حزم الأندلسي؟ سأل نضال.

- ليس فقط ابن حزم، فهناك غيره من العلماء من تكلم عن الأريسيين، ولكن ابن حزم تميز بأنه كان من أهل الأندلس التي عاش بها كثير من النصارى، والأندلس كانت مسرحًا مهمًا في تاريخ الأريسيين قبل ذلك.

- أتقصد دولة القوط الغربيين الأريسية؟ سأل نضال من جديد.

- صحيح يا نضال، فقد كانت الأندلس أرضًا آريسية موحدة لما يقرب من قرن ونصف من الزمان، وذلك بعد أن هاجرت إليها قبائل القوط الغربيين الذين كونوا في إسبانيا الحالية وقسم من البرتغال وفرنسا مملكة موحدة منفصلة عن الإمبراطورية الرومانية



المثلثة، ولا شك أن ابن حزم اطلع على قصة الأريسيين بشكل أفضل من بعض العلماء الآخرين الذين لم يحتكوا كثيرًا بالنصارى، وقد ذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه «الفصل في الممل والأهواء والنحل» قولًا عن الأريسيين جاء فيه:

«والنصارى فرق منهم أصحاب أريوس، وكان قسيسًا بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وكان زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب آريوس!».

-هذا يعني أن ابن حزم الأندلسي يؤكد أن آريوس كان على التوحيد المجرد، وأنه كان يؤمن بأن المسيح عليه السلام عبد مخلوق، ويؤكد ما قاله البروفيسور بريستلي البارحة بأن الإمبراطور قسطنطين العظيم كان أريسيًا موحدًا! قال عبد العزيز.

-وهل هناك من العلماء المشهورين من ذكر شيئًا آخرًا فيما يخص توحيد الأريسيين يا فضيلة الشيخ؟ تساءل نضال.

-ابن تيمية أورد في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» رسالة لرجل مسلم كان نصرانيًا اسمه الحسن بن أيوب،

في هذه الرسالة أورد الحسن بعضًا من أسباب إسلامه، جاء في تلك الرسالة عن عقيدة الأريسيين: «ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفًا منهم يعرفون بالأريوسية، يجردون توحيد الله، ويعترفون بعبودية المسيح عليه السلام، ولا يقولون فيه شيئًا مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه». والإمام أبو الفتح الشهرستاني، ذكر شيئًا عن آريوس في كتابه «الملل والنحل»: «ولما قال أريوس: القديم هو الله، والمسيح مخلوق، اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم».

-يقصد مجمع نيقية الذي حضره الإمبراطور قسطنطين العظيم. قال عبد العزيز.

- أحسنت يا ولدي، مجمع نيقية، يبدو أنك كصديقك تعرف الكثير عن الأريسية. قال الشيخ صالح موجهًا كلامه إلى عبد العزيز.

- ليس كثيرًا يا فضيلة الشيخ، ولكني أخذت البارحة دورة مكثفة عن تاريخهم من صديقي نضال وأستاذه المؤرخ الإنجليزي الشهير توماس بريستلي. قال عبد العزيز مبتسمًا.



- ومَن مِن العلماء أيضًا ذكر شيئًا مشابهًا عن توحيد آريوس؟ سأل نضال من جديد.

توقف الشيخ صالح عن الكلام للحظة، وأخذ ينظر في عيني نضال، ثم قال له:

- لاحظت اهتمامك بآراء العلماء المسلمين فيما يخص القسيس آريوس يا ولدي، وقد أوردت لك بعض ما ذكر عنه، وبالمناسبة ذكر آخرون خلاف ذلك، ولكن هَب أنه لم يذكر أحد من علماء المسلمين السابقين شيئًا عنه، فهذا لا يعني أنك لا تستطيع أن تجتهد وتأتي بشيء جديد لم يذكره السابقون!

- ولكن كيف يمكن لشخص مثلي أن يأتي بعلم لم يأتِ به علماء الأمة الكبار؟! وهل يجوز أصلًا أن نأتي في هذا الزمان بعلم لم يذكره السابقون؟! تساءل نضال.

- استمع إلي جيدًا يا ولدي، منح الله عز وجل نبيه سليمان عليه السلام إضافة للنبوة والملك علمًا واسعًا وسلطانًا عظيمًا لم يؤته أحد من بعده، فكان يعرف لغة الطير والنمل وسائر الحيوانات، وكانت الريح تجري بأمره وتنقله إلى أي مكان يشاء، وسخر الله له الجن والإنس والحيوان ليكونوا جندًا له، وأنعم الله

عليه بذكاء كبير وبمقدرة فائقة على الفصل في الأمور المستعجلة والقضايا الشائكة، ولكنه وبالرغم من كل ما يمتلكه من علم وذكاء واطلاع وإمكانيات جبارة، لم يستطع الوصول إلى علم وصل إليه جندي من جنوده البسطاء، هذا الجندي لم يكن عالمًا من العلماء، أو فقيهًا من الفقهاء، بل كان مجرد حيوان صغير، استطاع الوصول إلى علم لم يصل إليه نبي من أنبياء الله العظام، ليس لأن الهدهد كان أذكى أو أقوى من نبي الله سليمان عليه السلام، وليس لأن إمكانياته كانت أكبر أو حتى يمكن مقارنتها بالإمكانيات الجبارة التي كان يمتلكها سليمان عليه السلام، والذي يعتبر أحد أعظم ملوك الأرض في التاريخ إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق، بل لأن الهدهد كان يمتلك جناحين صغيرين اختار أن يحلق بهما عاليًا في السماء، ليصل إلى مكان لم يصله سليمان عليه السلام، وهذا ليس عيبًا في نبي الله، ولكنها سنة الحياة، وطبيعة الخلق، وتمايز الأشياء، فما يعلمه الهدهد قد لا يعلمه سليمان عليه السلام، وما يعلمه سليمان عليه السلام قد لا يعلمه أبوه داود عليه السلام، وما تعلمه أنت بحكم ظروفك وخبراتك في الحياة قد لا أعلمه أنا، وما أعلمه أنا بحكم دراستي وتجاربي الخاصة قد لا يعلمه أستاذي الذي



علمني الكتابة، وهذا الأمر لا ينقص من قدر أحد، أو يعني بالضرورة أفضلية أحد على غيره، فسليمان عليه السلام هو قطعًا أفضل من الهدهد، ولكن هذا لا يمنع أن الهدهد توصل إلى علم يجهله سليمان عليه السلام، وذلك بفضل قدراته الخاصة، ومجهوده الذاتي، وربما فضوله وذكائه وشغفه لاكتشاف ما هو جديد، وقبل كل شيء لا ينبغي على المرء أن ينسى أن كل مخلوق مُيَسَّر لما قُدِّرَ له، لذلك لم يغضب سليمان عليه السلام عندما أخبره الهدهد أنه أحاط بما لم يحط به هو، بل على العكس من ذلك، جعله مبعوثه الخاص إلى مملكة سبأ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على حكمته وثقته بنفسه، على عكس كثير من الذين يحسدون غيرهم على فضل آتاهم الله إياه، أو على علم لم يتوصلوا إليه هم، فلولا هذا الاختلاف في معارف الناس وقدراتهم لما تطورت مسيرة العلم عبر التاريخ، ولا تقدمت الحضارة الإنسانية من جيل إلى آخر، ولأصبح الناس جميعًا أمة واحدة، وبالرغم من أن الحسد يعتبر من أهم العوامل التي يحارب من أجلها كل من يأتي بعلم جديد، إلا أنه لا ينبغي تجاهل ظاهرة بشرية تكررت عبر التاريخ في كل زمان ومكان، وهي وجود أشخاص يكرهون

التجديد، ويخشون التغيير، فلا يضيفون شيئًا جديدًا طيلة سنوات عمرهم الضائعة، ولا يتركون أثرًا في هذه الحياة قبل رحيلهم منها، لذلك فإذا ما وجدت أنك تستطيع أن تقدم علمًا جديدًا لم يأتِ به أي أحد من قبلك، فلا تتردد بالقيام بذلك، ولا تقلل من قيمة نفسك، ولا تأبه بكلام المثبطين من حولك، وحاول أن تعذر الناس كثيرًا، فالإنسان عدو ما يجهل، ولا تشغل بالك كثيرًا بهجوم شنه أحد عليك، لسوء ظنه في نيتك، أو قصور في فهمه لقولك، أو حسد في قلبه لفضل آتاك الله إياه، فقد هوجم قبلك كثيرٌ من العلماء الذين يعتبرون الآن مرجعًا لطلبة العلم، واتُّهِموا أيضًا بأنهم جاءوا بشيء لم يأت به السابقون، ولو أنهم ضعفوا أو استسلموا أو انشغلوا بالرد على خصومهم لضاعت جهودهم سدى، ولما وصلنا منهم العلم الذي يستفيد منه ملايين البشر على مر العصور، فقط أخلص النية في عملك، واستعن بالله، ولا تكن طالبًا لشهرة أو مصلحة، وتعلم العلم النافع من الجميع دون استثناء، ولكن تذكر هذه المقولة جيدًا يا ولدي: حاول ألا تغادر هذه الحياة دون أن تترك بصمتك فيها!

- شكرًا لك يا فضيلة الشيخ على نصيحتك الغالية. قال نضال.



-العفو يا ولدي، أما بالنسبة لآريوس فإن فهم تاريخه وتاريخ أتباعه الموحدين يفسر لنا كثيرًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية.

-كيف ذلك يا فضيلة الشيخ. تساءل عبد العزيز.

-هناك آيات قرآنية تتحدث عن نوعين من النصارى، فيقول الله سبحانه وتعالى في حق المثلثين ومألهي المسيح: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وقال أيضًا: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾، بينما يقول في آية أخرى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾، يقول قتادة في تفسير هذه الآية كما جاء في تفسير البغوي: «نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام ، فلما بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صدقوه وآمنوا به فأثنى الله عز وجل بذلك عليهم». وأيضًا في سورة البروج التي ذكر الله فيها قصة أصحاب الأخدود والغلام المؤمن، والتي فصلها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

في أحد أحاديثه، يصف الله الضحايا الأبرياء الذين أُلقي بهم في نار الأخدود بأنهم مؤمنين: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾، الشيء اللافت للانتباه أن هؤلاء الضحايا، الذين خلد القران قصتهم، كانوا في حقيقة الامر مجموعة من النصارى اليمنيين، وبالتحديد من مملكة حِمْيَر اليمنية، ورد في كثير من كتب التفسير الاسلامية، مثل تفسير القرطبي مثلًا، بأنهم قوم من النصارى كانوا باليمن.

- ولكن ما علاقة هؤلاء النصارى المؤمنين الذين خلد الله قصتهم في بداية سورة من سور القرآن بالأريسيين؟ تساءل نضال.

- نضال، هل تتذكر ما قاله البروفيسور مساء أمس عن ذلك الداعية الأريسي الهندي؟ سأل عبد العزيز.

- أحسنت يا صديقي، تذكرت الآن، لقد قام داعية أريسي اسمه ثيوفيلس الهندي أو ثيوفيلس الأثيوبي بنشر الأريسية في الحبشة واليمن.

- وهذا دليل من القرآن أن الأريسيين كانوا مؤمنين. قال الشيخ صالح.

- ولكن يا فضيلة الشيخ حتى مع التسليم بأنه كان هناك وجود للأريسيين في اليمن، ما الذي يثبت أنهم هم الطائفة المؤمنة المقصودة بقصة أصحاب الأخدود؟ تساءل نضال.

- ليس هناك شيء مؤكد مائة بالمائة فيما يخص هذا الموضوع، ولكن هذا هو اجتهادي على أية حال الذي يفسر وجود نصارى مؤمنين في اليمن، ومن يرون غير ذلك عليهم أن يجيبوا على ثلاث أسئلة: ما اسم الطائفة النصرانية المؤمنة التي كانت موجودة في اليمن؟ وكيف انتشرت هذه الفئة النصرانية المؤمنة إلى اليمن؟ وأين اختفى الأريسيون اليمنيون الذين صح تاريخيًا وجودهم في وقت من الأوقات في مملكة حمير اليمنية؟! إضافة إلى هذا كله فإن هذا التفسير يشرح سر إسلام النجاشي بدعوة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

- وما علاقة النجاشي بهذا الأمر؟ هل تقصد أنه كان أريسيًا أيضًا؟! تساءل نضال.

- هذا الذي يظهر من كلام النجاشي نفسه، ففهم قصة



الأريسيين يفسر لنا سبب إيمان النجاشي أصحمة بن أبجر رحمه الله بدعوة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة بعد سماعه من الصحابة بأن عيسى مجرد نبي وليس إله معبود، حتى أن النجاشي لم يناقش الصحابة في هذا الأمر، مما يدل على إيمان مسبق به، فبعد سماعه من الصحابة بأن الإسلام لا يعتبر المسيح ربًا، قال النجاشي لهم مقولة عجيبة تدل على أنه كان موحدًا يؤمن بنبوة المسيح ويكفر بالثالوث المقدس: «والله ما زاد المسيح على ما تقولون نقيرًا»، وورد عنه أيضًا أنه قال بعد أن استمع الى القرآن من أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»، الواضح أن النجاشي كان على المسيحية الآريسية التي انتشرت في الحبشة نتيجة لجهود ثيوفيلوس الهندي أو ثيوفيلوس الأثيوبي كما ذكرت.

- ولكن لو سلمنا بصحة تحليلك يا فضيلة الشيخ، ما الدليل أن الطائفة التي كان النجاشي ينتمي إليها هي الطائفة الأريسية؟

- إذا كنت ترى غير ذلك يا نضال فعليك أنت أن تذكر لي اسم الطائفة التوحيدية التي كان ينتمي إليها النجاشي، وأن تجد تفسيرًا لكيفية وصول التوحيد إلى الحبشة بعيدًا عن قصة ثيوفيلوس الهندي أو ثيوفيلوس الأثيوبي! قال الشيخ صالح مبتسمًا.

- وماذا عن الأحاديث النبوية؟ هل هناك ما يشير إلى الأريسيين غير رسالة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل؟ سأل نضال.

-هناك حديث عجيب يصف حال الأرض قبل البعثة النبوية مباشرة، وقد ورد هذا الحديث في صحيح الإمام مسلم: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلى أَهلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُم عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُم إلا بقايا من اهل الكتاب**». أي أن طائفة متبقية من أهل الكتاب لم تكن كغيرها، أنا أرى باجتهادي بأنهم الأريسيون الموحدون، ومن يرى غير ذلك فعليه أن يذكر اسمًا لهذه الطائفة التي يرى أنها هي المقصودة في هذا الحديث، نفس الشيء ينطبقُ على قصة الصحابي سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

-وهل كان لسلمان الفارسي رضي الله عنه علاقة بالأريسية؟! سأل نضال.

سلمان الفارسي

رحلة سلمان الفارسي

أصفهان - الشام - الموصل

نصيبين - عمورية - وادي القرى

يثرب (المدينة المنورة)

تناول الشيخ صالح كتابًا من أحد رفوف مكتبته، وأخذ يقلب في صفحاته وهو يقول:

- من المؤكد أنكما قد قرأتما أو سمعتما عن قصة الصحابي



سلمان الفارسي رضي الله عنه، هذا الصحابي خرج من بلاد فارس في مغامرة طويلة للبحث عن الحقيقة، وقد وردت في أحداث قصته كلمات تدل على أنه كان على اتصال مع بعض رجال الدين الأريسيين الذين كانوا يرون أن دين المسيح عليه السلام قد حرف، والآن سأقرأ لكما بعض ما رواه سلمان رضي الله عنه بنفسه عن قصته العجيبة، يروي فيها كيفية التحاقه ببعض رجال الدين النصارى: «فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، فأحببته حبًا لم أحبه مَن قبله، وأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان! إني كنت معك، وأحببتك حبًا لم أحبه أحداً من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى مَنْ توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني! والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصِل وهو فلان، فهو على ما كنت عليه فالْحَقْ به. فلما مات وغُيب، لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم

يلبث أن مات، فما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان! إن فلانًا أوصي بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟، قال: أي بني! والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين، وهو فلان فالحق به.

فلما مات وغُيب، لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبثت أن نزل به الموت، فلما حُضِر قلت له: يا فلان! إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني! والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب، لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم. واكتسبت حتى كان لي بُقَيْرَاتٌ وَغُنَيمَةٌ، ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان! إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان بي إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟، قال: أي بني! ما أعلمه أصبح

على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل».

أغلق الشيخ صالح الكتاب وتوقف عن القراءة ثم قال:

-بقية القصة معروفة بهجرة سلمان رضي الله عنه إلى المدينة ثم لقائه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإيمانه به بعد أن رأى فيه العلامات التي أخبره بها رجل الدين النصراني، ولكن اللافت في هذه القصة أن سلمان رضي الله عنه ذكر أن رجال الدين هؤلاء تواجدوا في أماكن متفرقة، وأنهم كانوا ينتمون لطائفة عددها قليل، وأن هذه الطائفة التي كان هؤلاء الرجال ينتمون إليها طائفة لم تبدل دين المسيح، لذلك وردت ألفاظ في القصة من قبيل: «لقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، فأته، فإنه على أمرنا، فإنه بمثل ما نحن عليه، ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتينه»، ويبدو من سياق الكلام أن هذه الطائفة كانت موحدة، في ذلك الزمن وتلك الأرض التي كانت واقعة تحت

سيطرة الإمبراطورية الرومانية المثلثة، وهذا ما تأكد في حديث آخر على لسان سلمان الفارسي رضي الله عنه، نقله الحاكم النيسابوري في المستدرك، وقال أنه حديث صحيح، فقد جاء في الحديث أن سلمان الفارسي رضي الله عنه سأل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في شأن الرجل النصراني الذي كان عنده، وشأن بقية رجال الدين النصارى الذين كان يقيم عندهم ويرى فيهم أنهم صالحون، فأخبره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأنهم ليسوا على الحق، ولكن سلمان كان يعلم أن هؤلاء النصارى الذي كان في جوارهم كانوا ينتمون إلى طائفة نصرانية حقة، الأمر الذي تسبب ببعض الإشكال لديه، ولنستمع إلى ما قاله سلمان رضي الله عنه في هذا الحديث الذي بدأه بخبر زيارته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

تناول الشيخ صالح كتابًا من رفوف مكتبه وأخذ يقرأ منه:

- «فسلَّمتُ عليهِ وقعدتُ بينَ يديهِ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ ما تقولُ في دينِ النَّصارى، قالَ: لا خيرَ فيهم ولا في دينِهِم. فدخَلَني أمرٌ عظيمٌ فقلتُ في نفسي: هذا الَّذي كنتُ معَهُ ورأيتُ ما رأيتُهُ، ثمَّ رأيتُهُ أخذَ بيدِ المقعدِ فأقامَهُ اللهُ على يديهِ وقالَ: لا خيرَ في هؤلاءِ، ولا في دينِهِم، فانصَرفتُ وفي نَفسي ما شاءَ اللهُ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على

النَّبيِّ ﷺ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ إلى آخرِ الآيةِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: عليَّ بسلمانَ، فأتيتُ الرَّسولَ وأنا خائفٌ، فَجِئْتُ حتَّى قعدتُ بينَ يديهِ، فقرأَ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ إلى آخرِ الآيةِ، يا سلمانُ إنَّ أولئِكَ الَّذينَ كنتَ معَهُم وصاحبُكَ لم يَكونوا نصارَى، إنَّما كانوا مُسْلِمَينِ. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، والَّذي بعثَكَ بالحقِّ، لَهوَ الَّذي أمرَني باتِّباعِكَ، فقلتُ لَهُ: وإن أمرَني بتَركِ دينِكَ وما أنتَ عليهِ، قالَ فاترُكْهُ، فإنَّ الحقَّ وما يجبُ فيما يأمرُكَ بِهِ».

- ولكن يا شيخ صالح ورد عن آريوس وغيره من الأريسيين استخدامهم لكلمة الآب والابن، فكيف يستقيم هذا الأمر مع الإيمان الحق؟ تساءل نضال.

- حسنًا، أولًا لا يجب التسليم بكل ما ورد عن آريوس والموحدين من قول أو فعل، فأغلب ما نقل عنهم جاء عن طريق كتابات أعدائهم، وهؤلاء زيفوا عقيدة المسيح، فكيف يستأمنوا على ما دون ذلك؟! ولكن ما فرضية صحة هذا القول، فإن أسلوب

البحث العلمي السليم يتطلب أن يتم فهم الكلام بلغة أهل عصره، وبتعريفهم هم وليس بتعريفنا نحن للكلمة، والمعروف أن إطلاق لفظ الابن والأب عند النصارى قديمًا لم يكن يقصد بها دائمًا علاقة النسب، ولكن الكتاب المقدس «البايبل» كتب لأول مرة باللغة الإغريقية القديمة، وهي لغة أجنبية لم تكن لغة المسيح الأم، لذلك تمت ترجمة كلمات معينة من الإنجيل الحقيقي بكلمات مختلفة لا توافقها في المعنى الأصلي الذي اشتق من العبرية أوالآرامية التي تحدث بها المسيح، فالمعروف في هذه اللغات السامية أنها تنسب الأبوة والبنوة لأشخاص أو أشياء ليس بدافع النسب دائمًا، بل أيضًا بسبب المبالغة في الوصف أو التكريم أو الذم، فنحن العرب على سبيل المثال نقول للشيء أو للشخص ابن كذا أو أبو كذا إذا أردنا وصفه أو مدحه أو حتى سبه، فمثلًا نسمي الأب رب الأسرة، وعندما نقول على سبيل المثال أن هذا الولد ابن شارع، فهذا لا يعني أن للشارع ولد، وإنما قصد به معنى آخر، نفس الأمر ينطبق عن وصف أحد الأشخاص بأنه ابن ملوك، فعندما ننسب الشخص للأبوة أو البنوة فهذا لا يعني بالضرورة المعنى الحرفي للنسب، وإنما قصد به مدح أو ذم أو مبالغة في وصف، ونحن العرب يمكننا

فهم مثل هذه الأمور أكثر من الآخرين لتشابه بين لغتنا السامية مع اللغتين العبرية والأرامية اللتين تنتميان لنفس العائلة اللغوية السامية، فعلى الرغم من أن إطلاق مثل هذه الألفاظ لوصف علاقة البشر بالله كان جهلًا من قبل من أطلقوها، إلا أنه من الإنصاف القول بأن نسب المسيح لله بلغة الآراميين والعبريين لم يكن يُعنى به المعنى الحرفي للكلمة، فقد كانوا يقصدون تكريم المسيح بذلك وإظهار مدى التزامه بأوامر الله، أي أنهم القول أن المسيح كان إنسانًا بارًا ولم يقصدوا المعنى الحرفي للكلمة، ولكن المشكلة بدأت عندما ترجم الإغريق مثل هذا الكلام، فقط ظنوا أنه نسب والد وولده، لا سيما أن الثقافة الإغريقية القديمة كانت تحتوي على قصص آلهة وابن آلهة، في حين أن المعنى الحقيقي المقصود كان مجازيًا ولا يعني بأي حال من الأحوال المعنى الذي فهمه الإغريق ونقلوه للعالم بأنه نسب أب لابنه، والدليل من الكتاب المقدس نفسه في قصة واحدة ترجمت على شكلين اثنين في إنجيلي مرقص ولوقا، ففي إنجيل مرقص 39 15 ورد: كان هذا الإنسان ابن الله، وفي إنجيل لوقا 47 23 وردت نفس القصة بهذه الترجمة: كان هذا الإنسان بارًا، وبالمناسبة هم يصفون البشر كلهم بأنهم أبناء الله،

وليس المسيح فقط، والظاهر أنهم أرادوا القول أن البشر مسؤولون من الله، وهناك حديث ينسب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإن كان ضعيفًا في السند إلا أنه قد يشرح نفس المعنى، هذا الحديث هو: «الخلق عيال الله»، فالمراد بكلمة «عيال» ليس علاقة نسب والد بأولاده بطبيعة الحال، وإنما المقصود أن الله هو الذي يعيل الخلق، وقد تحدث ابن تيمية في هذا الأمر، وفصله الشيخ رحمة الله خليل الهندي وغيره من العلماء بشكل أكبر.

- وماذا قال ابن تيمية بالتحديد؟ تساءل نضال.

- يوضح ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» أن لفظ الابن في أسفار أهل الكتاب هو اسم لمن رباه الله، أو اصطفاه وكرمه من عبيده، كإسرائيل وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء، لأن لفظ الأب في لغتهم تعني الرب الذي يربي عبده أعظم مما يربي الأب ابنه، وفي هذا المعنى ينسبون إلى المسيح قولًا وجهه إلى تلاميذه: (أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا الى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

- ولكن كيف تفسر أن الأريسيين كانوا يؤمنون بعقيدة



الصلب ويعتقدون أن المسيح قد قتل عليه؟ فالإمبراطورة هيلانا مثلًا هي التي وجدت ما يسمى بالصليب المقدس، فكيف تكون مسلمة وهي تؤمن بصلب المسيح؟ تساءل نضال.

- لاحظ يا نضال أننا نتحدث عن أناس كانوا ظهروا قبل نزول آية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، ومن المؤكد أنهم كغيرهم من النصارى لا يعلمون أساسًا أن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء ولم يُصلب، وكانوا يعتقدون فعلًا أن الرومان قتلوه صلبًا، فكان تعظيمهم للصليب مجرد تعظيم لشيء سالت عليه دماء نبيهم الشهيد حسب اعتقادهم، ولم يكن تعظيم عبادة، فهم لم يعبدوا المسيح أصلًا، وكل ما لاقوه من ويلات كان بسبب إنكارهم ألوهية المسيح، فكيف يعبدون الصليب الذي يعتقدون أنه قتل عليه؟! وإن ثبت بأنهم كانوا يتخذون الصليب شعارًا لهم فهذا لا يعني بالضرورة أنهم كانوا يعبدون الصليب، حتى وإن كان هناك انحرافات عقدية ناتجة عن جهل أو تعظيم مبالغ فيه، فكثير من المسلمين في زماننا هذا على سبيل المثال يبالغون في حب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحب الصحابة وآل البيت والأولياء الصالحين لدرجة أنهم يعتقدون فيهم أمورًا تناقض مبدأ التوحيد، ولكن

الغالبية العظمى من هؤلاء معذورون لجهلهم، ولا يمكن اعتبارهم كفارًا حتى مع قيامهم بأمور بها كثير من الانحرافات والخزعبلات، وبدلًا من ذلك ينبغي تعليمهم ونصحهم بالرجوع لما ورد في القرآن والسنة، نفس الأمر ينطبق على آريوس والأريسيين، فحتى مع التسليم أن كثيرًا مما ورد عنهم كان تزييفًا من أعدائهم المنتصرين الذين كتبوا عنهم، فهذا لا يمنع أنه ربما كانت لدى آريوس والأريسيين بعض الانحرافات العقدية في تعظيم المسيح عليه السلام لدرجة مبالغ فيها، فهؤلاء الناس وجدوا بعد ما يزيد عن 3 قرون من ميلاد المسيح، ولم يكن لديهم كتاب صحيح يرجعون إليه مثل القرآن الكريم، ولكن لو افترضنا جدلًا أنهم اعتقدوا في عيسى عليه السلام أمورًا خارقة بها كثير من المبالغة، فعلينا ألا ننسى الحقيقة الثابتة، وهي أنهم لم يكونوا يعبدون المسيح عليه السلام، وأنهم كانوا يعتقدون أنه مخلوق من الله الذي لم يكن هناك أحد قبله، وأنهم قُتلوا وعُذبوا بطرق وحشية وشُردوا من ديارهم ومورس عليهم القمع من المثلثين لمئات السنين بسبب إيمانهم بوحدانية الله، وكفرهم بالثالوث، ويقينهم بأن الله هو الإله الخالق، وأن المسيح عليه السلام مخلوق وليس إلهًا. قال الشيخ صالح.

-ولكن أين اختفى الأريسيون بعد بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ تساءل عبد العزيز.

-الأريسيون في ذلك الزمان كانوا ما يزالون يتعرضون لقمع ديني رهيب من الرومان المثلثين، ولعل هذا الأمر ما يفسر قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للإمبراطور هرقل: «فإن توليت عليك إثم الأريسيين»، ربما كان الرسول يقصد بذلك القول أنه لن يترك الموحدين الأريسيين يتعرضون للقتل والاضطهاد من قبل الرومان المثلثين، وقد أسلم كثير من النصارى الأريسيين عند وصول الدعوة إليهم مباشرة، كما فعل النجاشي رحمه الله، وذلك لأن دعوة التوحيد التي جاء بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تتوافق مع عقيدتهم بتوحيد الله، وهذا ما يفسر إسلام أعداد كبيرة من أقباط مصر مباشرة بعد وصول الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه.

-هل كان في مصر أعداد من الأريسيين الموحدين؟ تساءل عبد العزيز من جديد.

-هذا ما أكده شخصيًا مؤرخ الكنيسة القبطية يوحنا النقيوسي، الذي كان من المثلثين، هذا المؤرخ الأرثوذكسي أكد أن من أسماهم المصريين «الهراطقة» و«المسيحيين كذبة» انضموا إلى



جيش المسلمين في محاربة الرومان، فيقول يوحنا النقيوسي في كتابه «تاريخ مصر»: (والآن، كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة وأنكروا العقيدة المقدسة الأرثوذكسية والمعمودية الحية، وساروا في عقيدة الإسلام). أجاب الشيخ صالح.

-وماذا عن بقية الأريسيين في العالم؟ تساءل نضال.

-غالبية من نجا من حرب الإبادة البشرية التي شنها عليهم المثلثون اتبعوا دعوة الإسلام، وهذا ما يفسر شبه اختفاء المذهب الأريسي بعد ظهور الإسلام، ويفسر أيضًا سرعة إسلام الأمازيغ سكان شمال أفريقيا، والظاهر أن غالبية الأمازيغ كانوا على الأريسية التوحيدية، ولا تنسَ أن أريوس كان أمازيغيًا من شمال أفريقيا، وكانوا في الغالب على مذهبه، لذلك رحب الأمازيغ بهجرة قبائل الفاندال والآلان الموحدة إلى بلادهم، وشاركوهم في محاربة الرومان المثلثين، وكونوا معهم لما يزيد عن مائة عام دولة قوية في شمال أفريقيا هي مملكة الفاندال الأريسية، وهذا ما يفسر أقوال بعض المفسرين المسلمين بأن الأمازيغ كانوا على اليهودية قبل قدوم الإسلام، فالرومان كانوا يتهمون النصارى الموحدين الناكرين لمبدأ التثليث بأنهم من اليهود، لذلك فإن إسلام شعب

قوي وشديد مثل شعب الأمازيغ بأكمله بتلك السرعة كان على الأرجح بسبب أصولهم التوحيدية الأريسية، فغالبية الأمازيغ من سكان شمال أفريقيا كانوا على الإسلام الذي جاء به المسيح عليه السلام منذ قرون، فلما جاء المسلمون العرب برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليحرروهم من قبضة الرومان المثلثين الذين كانوا يحتلون أرضهم ويعذبونهم رحب الأمازيغ بهم، ولم يعتبروهم محتلين، واعتبروهم إخوة لهم في العقيدة، فلم يكتفوا بإعلان إسلامهم وإيمانهم برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بل تحولوا إلى قادة في جيش الإسلام، وقد قاد القائد الأمازيغي طارق بن زياد آلاف الأمازيغ والعرب المسلمين لتحرير الأندلس من الملوك المثلثين، وكان الأمازيغ وما زالوا عبر جميع مراحل التاريخ الإسلامي من أشد الناس نصرة للإسلام والمسلمين، وقدموا الكثير من القادة العظام والعلماء الكبار الذين ساهموا بشكل كبير في تطور الحضارة الإسلامية العظيمة.

- هل قلت تحرير الأندلس يا فضيلة الشيخ؟ تساءل عبد العزيز.

- أجل، بإمكانك أن تعتبر أن فتح طارق بن زياد للأندلس كان

تحريرًا لسكانها من ملوكها المثلثين، فقد كانت الأندلس بأسرها دولة على الأريسية التوحيدية لما يزيد عن قرن ونصف من الزمان، وكان القوط الغربيون سكان الأندلس الأصليين من القبائل الجرمانية الأريسية التي هاجرت بالأساس إلى الأندلس هربًا بدينها التوحيدي من بطش الرومان المثلثين، ليكونوا هناك مملكة القوط الغربيين الأريسية، وكانت النصرانية الأريسية هي الدين الرسمي للدولة، قبل أن يتحول أحد ملوك القوط الغربيين واسمه ريكاردو الأول (Recaredo I) إلى الكاثوليكية عام 586، ويجبر الأهالي الموحدين بقوة السيف على اعتناق الكاثوليكية، تأملا هذا التاريخ جيدًا، فقبل هذا التاريخ بـ 17 عامًا ولد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

- يعني أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ظهر في زمن بدأ فيه التوحيد بالانحسار في العالم! قال نضال.

- بالضبط، وهذا ما يفسر خروج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك الزمان بالتحديد، فقد كان الإسلام على نهج المسيح عليه السلام موجودًا على مدى قرون عديدة قبل بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولما بدأ التوحيد بالانحسار في العالم، كانت الأرض على موعد جديد مع آخر أنبياء التوحيد، والذي سيعيد هو



وأتباعه التوحيد من جديد إلى واجهة التاريخ.

- هل هذا ما يفسر سرعة فتح طارق بن زياد لمدن الأندلس الحصينة؟ تساءل عبد العزيز.

-ليس هناك تفسير منطقي لهذه السرعة العجيبة في فتح المسلمين لمدن الأندلس الجبلية الحصينة سوى في فهم تاريخ الأريسيين، فقد كان فتح الأندلس بمثابة تحرير لسكانها القوط الغربيين الذين كانوا موحدين أريسيين من ظلم وقمع ملوكهم المثلثين، فقد تعرض الأريسيون الموحدون في الأندلس ومعهم اليهود أيضًا قبل دخول طارق بن زياد إلى قمع مخيف من الملوك المثلثين وحلفائهم الرومان، وقد ذكرت كتب التاريخ أن كثيرًا منهم انتقل للعيش إلى المغرب بعد ذلك هربًا بدينه، وهؤلاء كانوا عونًا للمسلمين في فتح الأندلس، فلما دخل طارق بن زياد بعدد صغير للغاية من الجند اعتبروه محررًا لهم من ملوكهم المثلثين، لذلك لم يُذكر أنه قامت ثورات من الشعب القوطي على المسلمين في بداية حكمهم، بل على العكس فتحت المدينة تلو المدينة بسرعة مذهلة، وأسلم غالبية سكان شبه الجزيرة الأيبرية بسرعة، خاصة وأن البرتغال كانت في السابق تحت حكم السويبيين الأريسيين أيضًا،

لذلك فإن ليس من الغريب أن الإسلام ظل لما يقرب من 8 قرون في الأندلس، قبل أن يسيطر المثلثون من جديد عليها ليفرضوا على سكانها اتباع الكاثوليكية بقوة السيف والنار عن طريق محاكم التفتيش المرعبة.

-وهل كان لليهود أيضًا دور في فتح المسلمين للأندلس يا فضيلة الشيخ؟ تساءل عبد العزيز.

- منذ مؤتمر طليطلة الثالث Third Council of Toledo عام 589 أصدر الملوك الكاثوليك للقوط الغربيين قوانين اضطهاد ضد اليهود والأريسيين لإجبارهم على اعتناق الكاثوليكية، ووصلت هذه القوانين في نهاية الأمر حد اعتبار اليهود عبيدًا، ووفقًا لهذه القوانين الكاثوليكية تم انتزاع أطفال اليهود منهم بالقوة لتحويلهم لتنصيرهم على المذهب الكاثوليكي، الأمر الذي دفع اليهود للعيش خارج المدن، وهذا الاضطهاد الذي تعرض له الموحدون الأريسيون واليهود من قبل المثلثين يفسر لنا ما ذكرته مصادر مسيحية أن اليهود ساعدوا المسلمين في فتح الأندلس وحراسة المدن التي كان يفتحها المسلمون، فقد كان اليهود يسمعون عن سماحة الإسلام والحرية التي كان اليهود والنصارى يتمتعون بها في



ظل حكم المسلمين في المدن التي كانوا يحررونها من الرومان، هذا الأمر يفسر لنا ما ورد في مصادر إسلامية أن المسلمين كانوا يُدخلون اليهود إلى المدن التي يفتحونها ويستعينون بهم في حراستها، والمصادر التاريخية الإسلامية والغربية على حد سواء تجمع أنه كان لليهود دور لوجيستي على أقل تقدير في مساعدة المحررين المسلمين في فتح الأندلس وتأمين دفاعات المدن التي يتم فتحها، وقد عاش اليهود والنصارى من كافة الطوائف بحرية دينية لمئات السنين تحت حكم المسلمين في الأندلس، حتى سقوط غرناطة واستيلاء المثلثين على الحكم من جديد في الأندلس، لتبدأ حرب إبادة بشرية شنها الكاثوليك المنتصرين ضد السكان الأصليين من المسلمين واليهود وحتى على النصارى من الطوائف الأخرى غير الكاثوليك، وهو ما عرف في التاريخ بمحاكم التفتيش الإسبانية، وقد قام المسلمون خاصة في عهد الأخوين بربروسا بإنقاذ عشرات الآلاف من اليهود من العذابات التي كانوا يتعرضون لها في الأندلس تحت حكم القشتاليين الكاثوليك، وقامت السفن الإسلامية بنقلهم إلى الشواطئ الإسلامية ليعيشوا بسلام في أراضي المسلمين في شمال أفريقيا وغيرها من مدن المسلمين.

- هـذا صـحيح، فكثيـر مـن اليهـود في المغـرب ينتمـون إلـى أصول أندلسية. قال عبد العزيز.

- أعلم أننا أثقلنا عليك بالأسئلة يا فضيلة الشيخ، ولكن أرجو أن تسمح لي بطرح سؤال أخير تبادر إلى ذهني الآن، هل هناك علاقة لآريوس والأريسيين بقصة أصحاب الكهف؟ تساءل نضال.

- الإمـام البغـوي ذكـر في تفسـير سـورة الكهـف أن أصـحاب الكهف بعد استيقاظهم بعثوا بأحدهم إلى المدينة ليشتروا طعامًا، فلما رأى أهل المدينة ما لديه من نقود قديمة اعتقدوا أنه وجدًا كنزًا قديمًا، فانطلقوا به إلى «رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها»، الإمام البغوي في تفسيره وصف هذين الشخصين بالرجلين الصالحين، وذكر أن أحدهما كان اسمه آريوس والآخر اسمه أسطيوس، وهما الشخصان اللذان كشفا قصة أصحاب الكهف.

- هل هذا الرجل الصالح الذي ذكره الإمام البغوي هو نفس آريوس الذي نتحدث عنه؟! تساءل نضال.

- الله أعلم يا ولدي، لست متأكدًا من ذلك، ولكن بعد تقدير لزمن نومهم المقدر بـ 300 سنة ميلادية والزمن الذي ظهر فيه آريوس لا أعتقد شخصيًا أنه هو نفسه آريوس الذي نعرف،



والأرجح أنه تشابه أسماء، الأمر يحتاج لدراسة أعمق، ولكن اللافت للانتباه هو وصف البغوي له بالرجل الصالح، والظاهر من خلال القصة أنه وأهل المدينة كانوا مؤمنين موحدين، لذلك فكروا ببناء مسجد على قبرهم، والمعروف أن الناس قديمًا وحتى حديثًا يسمون أبناءهم على أسماء الرجال الصالحين تيمنًا بهم، ولو كان آريوس الأمازيغي كافرًا في نظر هؤلاء القوم الموحدين، لما سموا أبناءهم باسمه!

- فضيلة الشيخ صالح، نشكرك جزيل الشكر على كرمك وحسن ضيافتك، فقد فسرت لنا بكلامك وأسلوبك الجميل كثيرًا من الأمور التاريخية المبهمة. قال نضال.

- مرحبًا بكما في أي وقت، وأرجو من الله العلي القدير أن يوفقكما في مهمتكما، في أمان الله ورعايته.



خطة السيطرة على البشر

بعد أن ودع الصديقان الشيخ صالح داود، توجها نحو محطة قطارات الأنفاق القريبة من منزل الشيخ، وفي طريقهما وجه عبد العزيز سؤالًا إلى نضال قائلًا:

- ما الذي كنت تريد معرفته بالضبط من لقائك بذلك الشيخ الطيب يا نضال؟

- كنت أرغب في معرفة السبب الذي يدفع عصابة من المرتزقة مثل عصابة الحشاشين الجدد للبحث عن سر تاريخي دفين مثل سر آريوس، وكنت أظن في السابق أن هدفهم الحصول على أي مكاسب مالية تمكنهم من بناء كيانهم الإجرامي، ولكني الآن وبعد أن اطلعت على هذه المعلومات، أدركت أن هدفهم الحقيقي أخطر من ذلك بكثير!

- وما هو هذا الهدف الخطير؟

- السيطرة، إنهم يسعون إلى السيطرة على البشر، فلطالما كانت السيطرة على البشر هي الهاجس الأول لتنظيم الحشاشين قديمًا، فمن خلالها تمكن زعيمهم حسن الصباح من صناعة فرق اغتيالات مخيفة هددت عروش ممالك قوية في العالم، وغيرت من موازين السياسات الدولية في وقت من الأوقات، والحشاشون الجدد يسعون إلى استرجاع قوتهم القديمة، ويخططون لاتباع نفس الأسلوب القديم في بناء كيانهم الجديد.

- أتقصد أنهم سيقومون أيضًا باستخدام الحشيش للسيطرة على عقول البشر؟

- لا على الإطلاق يا عبد العزيز، الحسن الصباح لم يسيطر على عقول أتباعه عن طريق استخدام الحشيش، فالحشيش كان مجرد وسيلة مساعدة ليس أكثر في عملية السيطرة على العقول، فالحشاشون لم يكونوا تحت تأثير مخدر الحشيش طيلة الوقت كما يعتقد البعض، بل كانوا يقومون بعملياتهم الخطيرة وهم في كامل تركيزهم.

- إذا فكيف استطاع قادة الحشاشين صناعة مثل أولئك القتلة



الذين كانوا مستعدين لقتل أنفسهم بأيديهم في بعض الأحيان؟!

- عن طريق الدين!

- الدين؟! تساءل عبد العزيز.

- استمع إلي جيدًا يا صديقي، ليس هناك شيئًا يمكن للإنسان الانقياد له ولتعاليمه مثل الدين النابع عن إيمان مطلق، هذه الحقيقة أدركها منذ القدم كل من أراد أن يحكم قبضته على البشر، لذلك سعى كثير من قادة وملوك الأرض عبر التاريخ إلى السيطرة الدينية، وذلك لمعرفتهم بأنهم من خلال الدين فقط يمكنهم السيطرة التامة على عقول شعوبهم، فحرصوا على تشييد المعابد في قلب المدن التي كانوا يحكمونها، ليس بالضرورة حبًا بالآلهة التي كانوا يعبدونها، ولكن حبًا بالسلطة التي كانت تلك المعابد توفرها لهم، وفي نفس الوقت عملوا على استمالة علماء الدين وكهنة المعابد إلى جانبهم، وكان هؤلاء بدورهم يضيفون قدسية دينية إلى القادة والملوك ويقنعون الناس بوجوب الطاعة العمياء لهم، ومع مرور الوقت تطور الأمر إلى ادعاء بعض القادة الألوهية لمعرفتهم بأنهم من خلال ذلك يمكنهم ضمان الولاء التام من شعوبهم، فهم سيتحولون في نظر شعوبهم إلى آلهة لا يجوز مخالفة أوامرها أو

حتى مناقشتها، فادعى ملوك الفراعنة الألوهية، وشيدوا لأنفسهم المعابد والتماثيل ونقشوا صورهم في كل مكان لتذكير شعوبهم بوجوب اتباع أوامرهم، نفس الأمر تكرر مع إمبراطور الصين تشين شي هوانج «Qin Shi Huang»، وهو الإمبراطور الذي وحد الصين، وبنى سورها العظيم، فادعى هو الآخر الألوهية، فأحكم بذلك قبضته على الصينيين، شهوة السيطرة أغرت أيضًا الملك اليوناني الإسكندر الأكبر «Alexander the Great» والملك الروماني كاليغولا «Caligula» إلى ادعاء الألوهية في أواخر حياتهما، فالقدسية الدينية توفر لأي قائد في التاريخ وجود أتباع أوفياء مستعدينَ للتضحية بأرواحهم من أجل تنفيذ أوامر قائدهم المقدسة بالنسبة لهم، هذا الأمر أدركه الحسن الصباح وقادة الحشاشين، فاستخدموا دينهم الباطني للسيطرة على عقول الحشاشين، فتكون لهم جيش مرعب من القتلة الذين كانوا ينفذون أخطر العمليات الإجرامية في التاريخ دون أن يتسلل الخوف إلى قلوبهم المفعمة بالإيمان، كان إيمانًا بمبادئ فاسدة بطبيعة الحال، ولكنه يبقى إيمانًا، والقلوب المؤمنة بأي مبادئ أو معتقدات صالحة كانت أم فاسدة، هي قلوب أقوى بكثير من تلك التي لا تؤمن بأي مبدأ أو معتقد.

- هذا يعني أن العامل الديني كان هو المحرك الفعلي للحشاشين وليس الحشيش نفسه!

- بالضبط يا عبد العزيز، الحشيش كان يستخدم فقط لتخدير عقول الأتباع ومنعهم من التفكير المنطقي في لحظة محددة يتم فيها زرع الأوهام في تلك العقول المخدرة، وبالمناسبة فهذا الأمر نتعرض له نحن أيضًا باستمرار في حياتنا اليومية! قال نضال مبتسمًا.

- وكيف ذلك؟ سأل عبد العزيز.

- ألم تتساءل يا صديقي لماذا تحرص شركات المشروبات الغازية وغيرها من شركات المنتجات الاستهلاكية على عمل دعايات تميزها الموسيقى الصاخبة والمؤثرات الصوتية والمرئية التي تضفي جوًا من السرعة والحركة على الدعاية، في وقت لا توجد فيه مثل هذه الأمور في دعايات الأدوية والمنتجات الصحية التي تتميز بالتركيز على المعلومات عن طبيعة المنتج نفسه؟ في الحالة الأولى يريد صانعو المحتوى الدعائي تخدير عقول المستهلكين بتلك المؤثرات والخدع، وذلك للتأثير على المشاعر التي تحول دون تفكير الإنسان بمكونات المنتج نفسه، على عكس الحالة الثانية التي تكون فيها العقول وليست المشاعر هي المقصود

بالمخاطبة، فالإنسان عندما يشتري دواء على سبيل المثال يريد أن يعلم مكوناته وفوائده الصحية، هذا الأمر يستخدمه السحرة أيضًا لتسهيل مهمة خداع الناس، وذلك عن طريق عروضهم السحرية التي غالبًا ما تقام في مسارح مظلمة تحت تأثير موسيقى مخيفة، ولنفس السبب يحرص رجال الدين في بعض الأديان على بناء دور عبادة مظلمة محاطة بتماثيل وصور مرعبة، فالخوف يحد من قدرات العقل على تحليل الأمور بمنطقية، ويجعله قابلًا لتصديق الأوهام بسهولة!

- لم أفهم إلى حد الآن ما الذي سيستفيده الحشاشون من الوصول إلى سر آريوس؟ فالأريسيون موحدون، فهل يريد الحشاشون نشر التوحيد بين أتباعهم؟ تساءل عبد العزيز.

- بالعكس، فكرة التوحيد في حد ذاتها كانت ولا زالت فكرة مرعبة لكل المستبدين في التاريخ، فالتوحيد يعني إفراد الإنسان العبودية لله وحده، وعدم الخضوع لأي مخلوق مهما كان مركزه، لذلك حارب المستبدون الموحدين عبر جميع مراحل التاريخ، لذلك حورب إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من الملوك المستبدين، وأدرك كسرى وهرقل التهديد الذي تمثله دعوة محمد

ﷺ التوحيدية على عروشهم القائمة بالأساس على فكرة الاستبداد بالشعوب، لذلك أعلنوا الحرب ضده، وعلى مدار التاريخ كان القادة المستبدون يحاربون كل من يدعو إلى التوحيد الحقيقي، ويقرِّبون إليهم الكهنة الذين يضفون هالة من القدسية حولهم.

- إذا فما الذي يدعو الحشاشين الجدد إلى البحث عن سر آريوس الموحد؟! تساءل عبد العزيز من جديد.

- هذا التنظيم السري يهدف من خلال ذلك إلى السيطرة على العالم، فتاريخ آريوس مرتبط بأكبر ديانتين على وجه الأرض، المسيحية والإسلام، ولو تمكن الحشاشون الجدد من الوصول إلى سر آريوس قبل غيرهم، وتحريف تاريخ التوحيد الأريسي بالشكل الذي يخدم مصالحهم عن طريق خلق أي خرافة تربطهم مع آريوس والأريسيين، فإنهم وبلا شك سيتمكنون من تجنيد أتباع جدد من المؤمنين بتلك الخرافة، تمامًا كما فعلوا قبل مئات السنين، ولكن أتباعهم في السابق كانوا يعدون بالمئات، أما الآن وبمجرد وصولهم إلى سر آريوس سيتمكنون من تجنيد الملايين من القتلة المحترفين المؤمنين بخرافتهم الجديدة، ولك أن تتخيل



يا عبد العزيز كيف سيكون شكل الأرض إذا ما استطاع هؤلاء القتلة تنفيذ هذه الخطة المرعبة! ولا تنسَ أن كثير من القبائل الجرمانية كانت على الأريسية، تخيل ما الذي يمكن أن يحدث في حالة تشكيل تحالف بين الحشاشين الجدد والنازيين الجدد الذي يسعون إلى تحقيق حلم هتلر بإنشاء «رايخ جرمانيا العظمى» «Greater Germanic Reich»، لا شك أن مستقبل البشرية بأسرها سيكون مهددًا إذا ما تمكن...

وبينما كان نضال يتحدث مع عبد العزيز بعد أن جلسا على مقعديهما في قطار الأنفاق، أخرج نضال هاتفه النقال لكي يبحث من خلال شبكة الإنترنت على بعض الصور لكي يعرضها على عبد العزيز، فلاحظ على شاشته وجود أكثر من 20 محاولة اتصال به من رقم البروفيسور توماس بريستلي، فتوقف مباشرة عن الحديث، وعاود الاتصال بالبروفيسور:

- نضال أين أنت؟ حاولت الاتصال بك منذ أكثر من ساعتين!

- المعذرة يا بروفيسور، كنت في المسجد وجعلت هاتفي على الوضع الصامت، ونسيت بعدها أن أعيده للوضع العادي.

- احضر حالًا، واجلب معك الملف الذي تملكه، فلقد وجدتها! قال البروفيسور وهو يكاد يلهث.



- عفوًا يا بروفيسور، الملف معي الآن، ولكن ما الذي وجدته بالتحديد؟ سأل نضال.

- التفاحة! التفاحة يا نضال، إنها إنجما!

- ماذا تقول يا بروفيسور؟ أعد ما قلته رجاءً فأنا في قطار الأنفاق ولا أسمعك بشكل جيد!

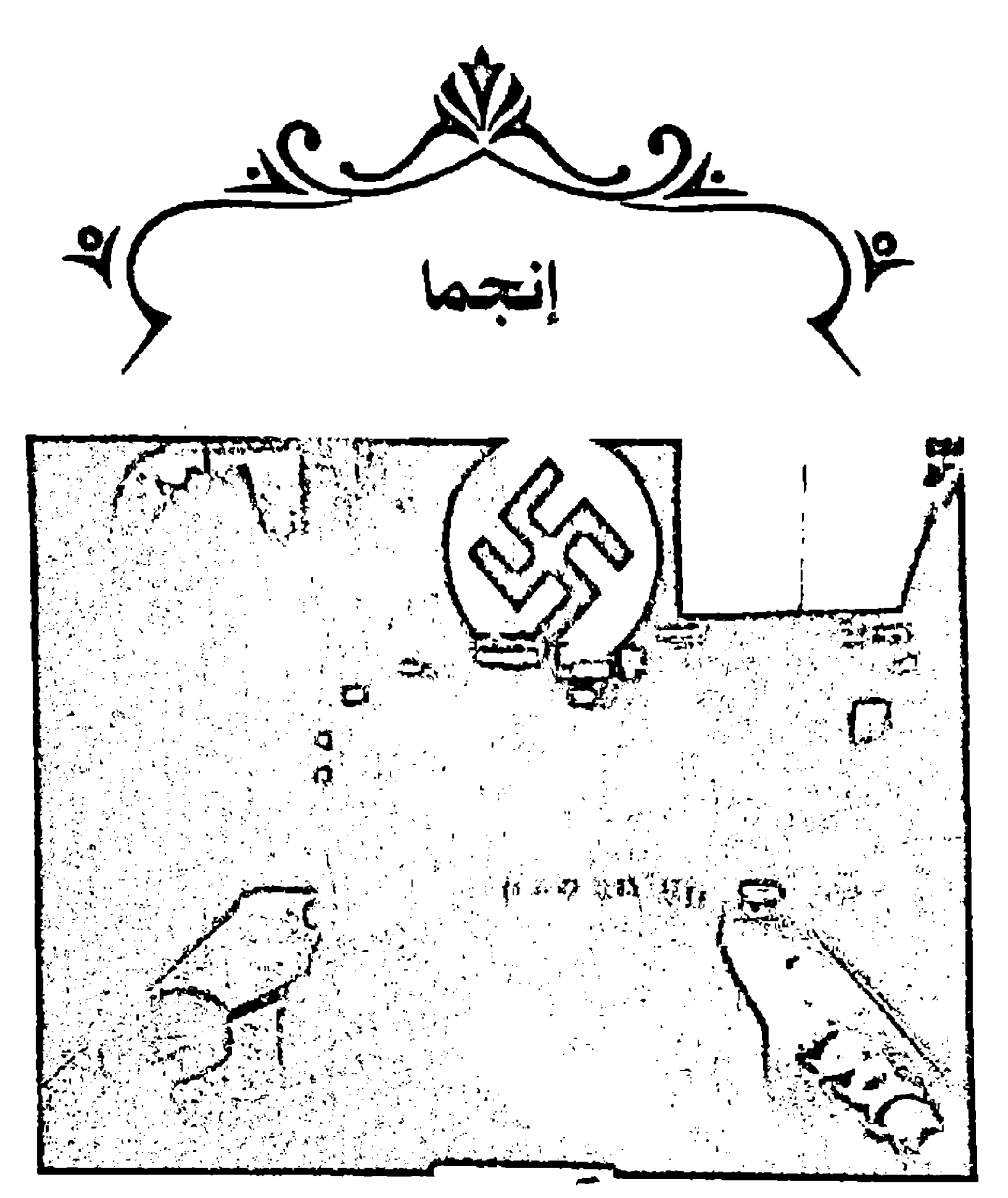
- إنها إنجما! ردد البروفيسور قبل أن ينقطع الاتصال معه فجأة.

بعد ذلك مباشرة أخرج نضال ورقة اللغز التي كان يضعها في جيبه طيلة الوقت، وأخذ يتأملها بصمت، قبل أن يصيح بصوت مرتفع ومظاهر الحماس بادية على وجهه:

- يا إلهي! كيف لم أنتبه إلى ذلك؟! إنها إنجما بالفعل!



إنجما



جلس نضال وعبد العزيز في مكتب البروفيسور توماس بريستلي، وأخذا يستمعان إلى البروفيسور وهو يشير إلى الرموز الموجودة في الورقة التي تحتوي على لغز التفاحة قائلًا:

- منذ الأمس وأنا أحاول تحليل هذه الرموز دون جدوى، واليوم وبينما كنت أجول بعيني في أرجاء المكتب، وقع نظري على

مجلة تاريخية عليها صورة الزعيم النازي أدولف هتلر وشعار النازية من خلفه، فالتفت من جديد إلى الورقة التي تحتوي على لغز التفاحة، فأدركت على الفور أن الأرقام والحروف التي يحتويها هذا اللغز إنما هي شيفرة سرية مبنية على لغة إنجما النازية!

-بروفيسور بريستلي، هلّا تفضلت وشرحت لي حكاية هذه الإنجما التي أفقدت صديقي نضال عقله وجعلته يردد في قطار الأنفاق كالمجنون: إنها إنجما! فمنذ مكالمتك معه وأنا أرجوه أن يشرح لي ما الذي يعنيه بهذه الكلمة، ولكنه كان صامتًا طيلة الوقت، وأدركت من نظراتهِ التي خبرتها في السابق أنه انتقل إلى عالم آخر وهو يقلب الأوراق التي يحملها. قال عبد العزيز.

-إنجما «Enigma» كلمة إنجليزية تعني «اللغز»، وهي اختصار لآلة إنجما «Enigma Machine»، وهو اسم يطلق على أي آلة من عائلة الآلات الكهروميكانيكية الدوارة التي تستخدم لإنتاج الشيفرة السرية، وتستخدم هذه الآلة لتعمية وفك تعمية الرسائل السرية، ومنذ بدايات القرن العشرين تم استخدام هذه الآلات من طرف العديد من أجهزة المخابرات والجهات العسكرية والحكومية

للعديد من الدول، وكانت ألمانيا النازية في فترة قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية من أشهر من استخدمها، وقد طور النازيون الطراز الألماني من هذه الآلة، والذي أطلقوا عليه اسم فيرماخت إنجما «Wehrmacht Enigma» وتعني بالألمانية «إنجما القوات المسلحة»، وهذا الطراز الألماني من آلات إنجما كان الأفضل على الإطلاق، وذلك بسبب سهولة استخدامه، وشبه استحالة فك شيفراته، الأمر الذي دفع القوات العسكرية النازية إلى اعتماده في كتابة رسائلها السرية الموجهة إلى جواسيسها المنتشرين في أرجاء العالم، وإلى غواصاتها الحربية المرابطة تحت مياه المحيطات، واستطاع الألمان بواسطة استخدامهم للغة إنجما المشفرة من تحقيق انتصارات كاسحة مع بداية الحرب العالمية الثانية، فقد كانت غواصتهم تتنقل بحرية في بحار الأرض، وتضرب في كل مكان، دون أن يتمكن أحد من تحديد مواقعها، ويعود السبب في ذلك لاستخدام النازيين لإنجما لإرسال التعليمات والأهداف المراد تدميرها، فتمكنت الغواصات النازية من إغراق العديد من السفن التابعة لدول الحلفاء، وخاصة تلك التابعة لبريطانيا العظمى، والتي عجزت أجهزتها الإستخبارية عن فك تعمية شيفرة إنجما.

-وهل كان فك شيفرة إنجما صعب إلى هذا الحد؟ تساءل عبد العزيز.

-ارى أن كلمة «مستحيل» أكثر دقة من كلمة «صعب» لوصف ذلك الواقع الذي فرضه استخدام النازيين لإنجما، فقد كان الألمان



يغيرون الشيفرة المستخدمة في منتصف كل ليلة، ويرسلون أول رسائلهم في السادسة صباحًا، وهذا يعني أن على تلك الأجهزة أن تجرب خلال 16 ساعة فقط أكثر من 150 مليون مليون احتمال لفك شيفرة يوم واحد فقط!

-هذا يعني يا عبد العزيز 150 وعلى يمينها 18 صفرًا! قال نضال.

-ومع اجتياح هتلر للقارة الأوروبية باستراتيجية «حرب البرق» «Blitzkrieg» التي اتبعها، وتوالي تدمير السفن البريطانية من قبل غواصات النازيين، كثف جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية «إم آي 6» «MI6» من عمله في فترة الحرب لفك تعمية شيفرة إنجما، وتم تشكيل فريق سري مكون من أبرز عباقرة بريطانيا وعلمائها ومختصي اللغات المشفرة، وكان التوجيه الاستراتيجي الذي كُلّف به هذا الفريق هو: كسر شيفرة إنجما!

-وهل تمكن هذا الفريق من تحقيق ذلك يا بروفيسور؟ تساءل عبد العزيز.

-بعد سنوات من العمل السري المكثف، تمكن هذا الفريق السري بالفعل من فك تعمية شفيرة إنجما، الأمر الذي أدى

لانكشـاف مواقـع جميـع الغواصـات الألمانيـة في العـالم، ومـنح بريطانيـا كنـز مـن المعلومـات الاسـتخباراتية السـرية عـن النـازيين وجواسيسهم وخططهم العسكرية، فتحولت لحظة فك تعمية شفرة إنجما إلى نقطة فاصلة في تـاريخ الحـرب الثانية، فقد انقلبت معه المعادلـة لصــالح دول الحلفــاء، بعــد أن ســرب البريطــانيون المعلومـات السـرية التـي كـانوا يحصـلون عليهـا إلـى بقيـة دول الحلفاء، فساهمت هذه المعلومات في تغيير مسار الحرب في العديد من المعارك الحاسمة التي وقعت في أواخر الحرب العالمية الثانية، مثل عمليـة فـك حِصـار «لينـين غـراد»، وعمليـة الإنـزال الحاسـمة لقــوات الحلفــاء في نورمانــدي المعروفــة بــ «العمليــة نبتــون» «Operation Neptune»، ويقـدر المؤرخـون أن فـك البريطـانيين لتعمية شيفرة إنجما ساهم في تقصير زمن الحرب العالمية الثانية في أوروبا لما يزيد عن عامين، وإنقاذ حياة 14 مليون إنسان!

-العجيـب أننـي لـم أقـرأ أبـدًا في كتـب التـاريخ شـيئًا عـن هـذه العملية السرية!

-الأمـر لا يـدعو للعجـب يـا عبـد العزيـز، فقـد تكتمـت أجهـزة المخابرات البريطانية عن هـذه العمليـة لعقـود طويلـة تلـت الحـرب

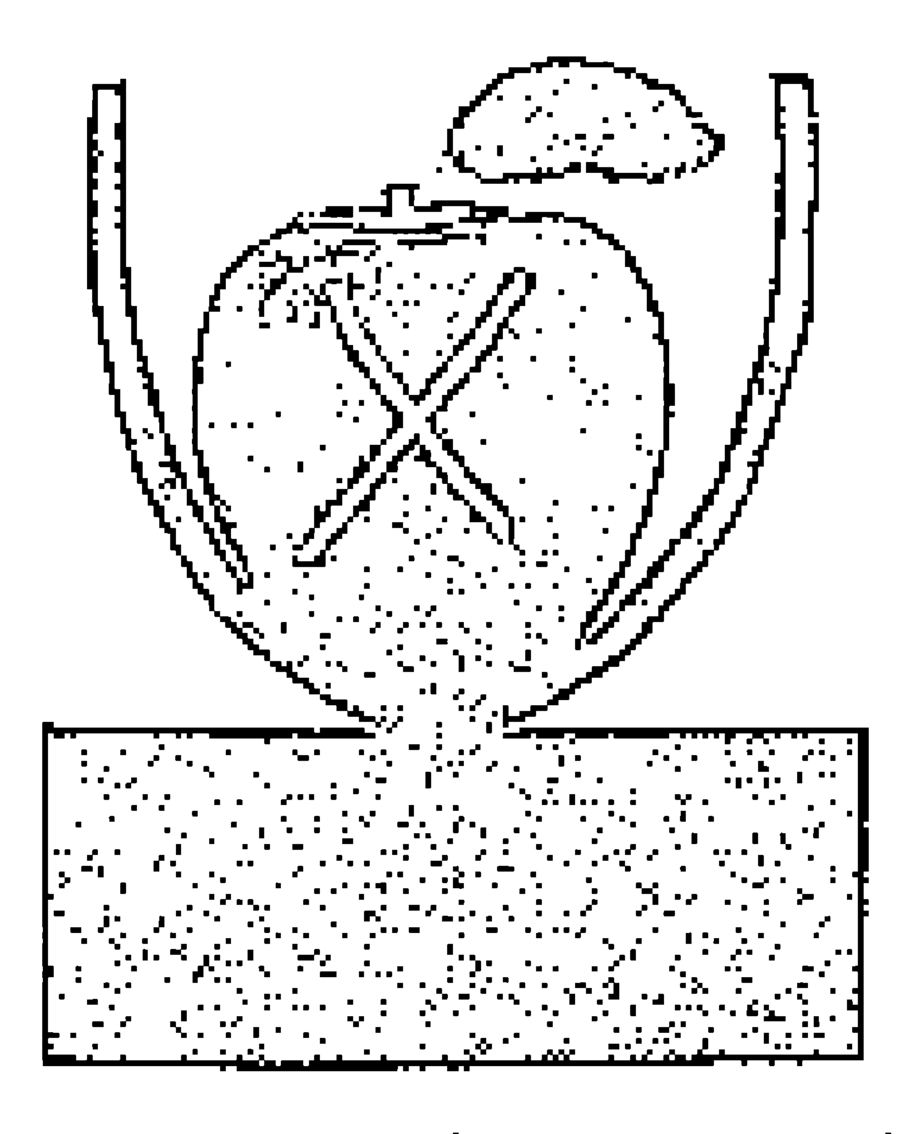


العالمية الثانية، ولم تكشف عن تفاصيلها حتى وقت قريب. قال تفان.

- ولكن لماذا؟! تساءل عبد العزيز.

لكي يعيدوا استخدام نفس العملية في حالة قيام حرب عالمية ثالثة محتملة! أجاب تفان.

- حسنًا، وما علاقة هذه القصة بسر آريوس ولغز المفاتيح؟! تساءل عبد العزيز.



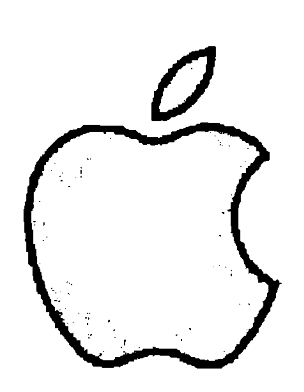
-الرموز التي وضعتها أم نضال في لغز التفاحة رموز في غاية الذكاء، فهي ترمز إلى عدة أشياء في نفس الوقت، فرمز التفاحة يشير إلى السير إسحق نيوتن الذي كان موحدًا، وهي إشارة قوية بأن اللغز متعلق بالتوحيد، وفي نفس الوقت تشير التفاحة إلى آلان تورنج. قال البروفيسور.

-ومن يكون هذا الشخص؟ تساءل عبد العزيز.

-آلان ماثيسون تورنج «Alan Mathison Turing» رائد علم الحاسوب «الكمبيوتر» والذكاء الاصطناعي، هو عالم حاسوب بريطاني، ورياضياتي، وعالم منطق، وعالم تحليل شفرات، وعالم بيولوجيا نظرية، كان له تأثير عظيم في تطور علوم الحاسوب النظرية، واخترع آلة تورنغ، التي يمكن أن تُعتبر أول حاسوب في التاريخ، كان تورنج من أبرز أعضاء الفريق السري الذي شكلته الاستخبارات البريطانية فك تعمية إنجما، وقد مات هذا العالم البريطاني منتحرًا عام 1954 عن طريق قضمه لتفاحة مسمومة بالسيانيد.

- تفاحة وحاسوب؟! ولكن يا بروفيسور هل رمز التفاحة المقضومة الذي تتخذه كشعار لها شركة أبل «Apple» الأمريكية له

علاقة بهذه القصة؟ تساءل عبد العزيز.



-أعتقد أن صديقك خبير الرموز هو الذي يمكنه أن يجيبك عن هذا السؤال. قال البروفيسور مبتسمًا وهو يشير إلى نضال.

-أثيرت كثير من النظريات حول معنى شعار أبل يا عبد العزيز، من بين تلك النظريات أن الشعار يشير إلى رائد علم الحاسوب ألان تورنج، ولكن الأرجح أن التفاحة تشير إلى إسحق نيوتن، وقد ظهر ذلك بوضوح في أول شعار للشركة عام 1976.



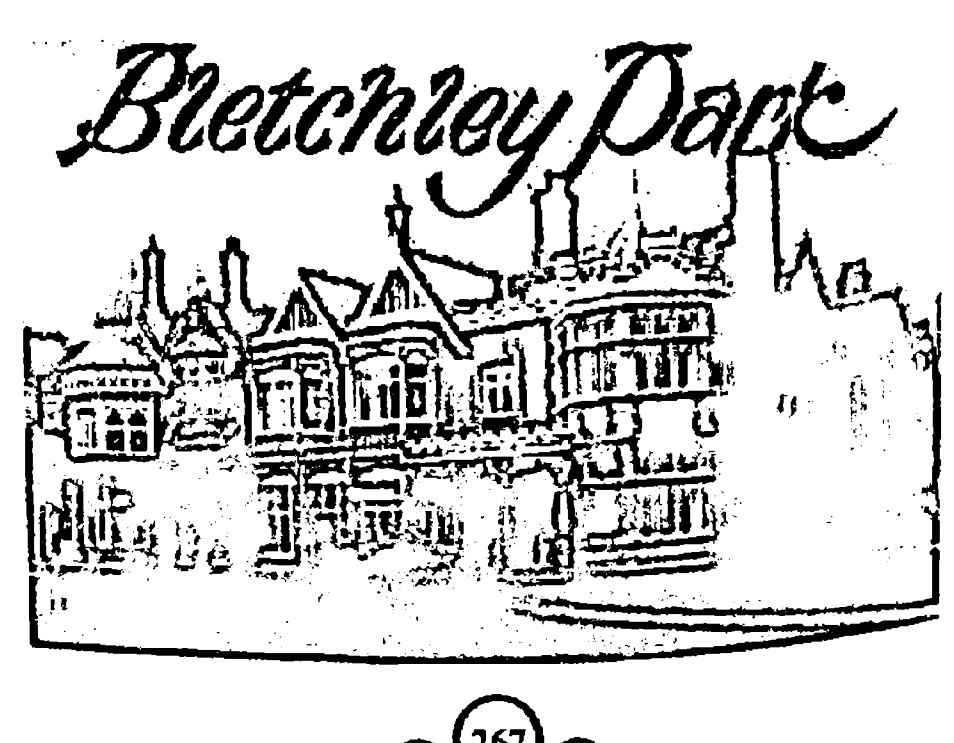


-وماذا عن الحرف X المنقوش على التفاحة؟

-كما أخبرتك يا عبد العزيز، يبدو أن صديقك قد ورث ذكاءه من أمه، فاختيارات هذه السيدة لرموز لغزها في منتهى الذكاء والدقة، فقد استطاعت من خلال نقشها للحرف X على التفاحة أن تشير إلى أن هناك أمرًا مجهولًا يتعلق بهذه التفاحة، وفي نفس الوقت أشارت بهذا الحرف إلى حديقة بلتشلي!

-وما هي هذه الحديقة؟!

-الحديقة بلتشلي «Bletchley Park» هي حديقة موجودة في مدينة بلتشلي في بريطانيا، وقد كانت خلال الحرب العالمية الثانية المقر الرئيسي لعمليات فك الشيفرة في المملكة المتحدة، وفي هذه الحديقة تم فك تعمية الشيفرة السرية إنجما. قال البروفيسور.



-ولكن في هذه الحالة ينبغي أن يكون الحرف الذي يشير إلى هذه الحديقة هو الحرف الأول من اسمها وهو الحرف B وليس الحرف X! قال عبد العزيز.

-الاسم الرمزي لهذه الحديقة كان « Station X » المحطة X. قال نضال.

-حسنًا، وماذا عن الطبق المقعر الذي يحتوي على التفاحة؟

-الطبق المقعر يشير إلى الاحتواء كما أشار البروفيسور سابقًا، ولكن تذكر يا صديقي ما أخبرته به سابقًا، نحن نرى الأشياء كما تريد عقولنا أن تراها، فهذا الشكل رأيناه صحنًا مقعرًا لأن عقولنا أخبرتنا أن هذا التفسير هو التفسير المنطقي لهذا الشكل الذي يحتوي على التفاحة، ولكن في بعض الأحيان نحتاج إلى أن نتحرر من حدود المنطق الضيقة لكي نحلق في سماء الخيال الواسعة، ومن خلال ذلك يمكننا أن نرى أشياء لم نكن نراها في السابق!

-تمامًا كالأطفال! قال عبد العزيز.

-أحسنت يا صديقي، تمامًا كالأطفال، فالأطفال يرون أشياءً لا نراها نحن، ويلاحظون التفاصيل الدقيقة التي لا ننتبه نحن لها، والخيال الواسع للطفل يتيح له رؤية الأشياء بطرق مختلفة، وهذا ما



يجعل الطفل مبدعًا في أفكاره الخلاقة أكثر من البالغين، ولو سألت شخصًا بالغًا عن هذا الشكل لأخبرك مباشرة أنه صحن مقعر، ولكن لو سألت طفلًا صغيرًا عنه لأعطاك عدة احتمالات!

-هذا يعني أن هذا الشكل قد يشير أيضًا إلى حرف U! قال عبد العزيز.

-ألترا «Ultra»، هو الاسم الذي اختارته الاستخبارات العسكرية البريطانية للمعلومات التي تم التوصل إليها من عملية فك تعمية شيفرة إنجما النازية، والتي أصبحت أكبر مخزن للمعلومات الاستخباراتية العسكرية في تاريخ البشرية على الإطلاق، وقد كانت أجهزة المخابرات البريطانية تطلق على المعلومات المصنفة بأعلى درجات السرية اسم «الأكثر سرية» «Most Secret»، ولكن المعلومات التي حصل البريطانيون عليها من إنجما كانت أكثر سرية من أي شيء آخر، لذلك أطلقوا عليها اسم ألترا « Ultra»، وتعني «الفائق»، أي أن هذه المعلومات تفوق درجة سريتها كل المعلومات السرية الأخرى! قال البروفيسور.

-هذا يعني أن الحروف والأرقام الموجودة أسفل هذا اللغز هي معلومات سرية مشفرة مكتوبة بلغة إنجما، ولكن كيف

ستتمكن من فك تعمية هذه اللغة المعقدة؟! تساءل عبد العزيز.

تناول نضال البحث الذي تركته أمه له، وأخذ يقلب في صفحاته، ثم قال:

-لاحظت أن أمي أرفقت في بحثها بعض الوثائق المكتوبة باللغة الإنجليزية على الرغم من البحث مكتوب بالأساس بالعربية، وبعد أن أخبرني البروفيسور في اتصاله بأن رموز لغز التفاحة عبارة عن شيفرة إنجما، أخذت أقلب أوراق البحث لأجد علاقة بين تلك الرموز ونتائج البحث، فاكتشفت أن فك تعمية بعض رموز الشيفرة موجود في الوثائق المكتوبة باللغة الإنجليزية التي يحتويها البحث.

-وهذا ما كنت متأكدًا منه، لذلك طلبت منك إحضار الملف معك! قال البروفيسور.

-وهل استطعت يا نضال فك تعمية كل الرموز؟ تساءل عبد العزيز.

-الأمر يحتاج لبعض الوقت ولمساعدة من شخص آخر، لذلك أجلت تلك العملية لحين لقاء البروفيسور.

-وماذا تنتظر أيها الشاب، هيا إلى العمل! صاح البروفيسور بريستلي بحماس.

أخذ نضال والبروفيسور يعملان على فك تعمية الشيفرة، بينما كان عبد العزيز يراقبهما بهدوء من مقعده مترقبًا نتائج البحث، ومع مرور الوقت تمكن النعاس من عبد العزيز فغفى وهو جالس على مقعده، قبل أن يستيقظ منتفضًا من صراخ البروفيسور بريستلي:

-كنت أعلم على مدار 50 عامًا أنه حقيقية وليس أسطورة!

-هل توصلتما إلى شيء؟ أخبراني! سأل عبد العزيز بلهفة.

-أجل يا صديقي، توصلنا أخيرًا إلى سر آريوس!

-وما هو هذا السر؟!

أخذ نضال نفسًا عميقًا ثم قال:

-إنه أكبر كنز في تاريخ الأرض، كنز الأريسيين الأسطوري، كنز الفاندال المفقود!



بداية الحرب

كانت الشمس قد أوشكت على الغروب في سماء مدينة يورك «York» الواقعة في شمال إنجلترا عند لحظة وصول نضال وعبد العزيز إليها، فاتجه الصديقان بعدها مباشرة نحو جهة محددة في

مركز المدينة، وبينما هما يمشيان في طريقهما، توجه عبد العزيز بسؤال إلى نضال قائلًا:

-هل أنت متأكد من أننا نتجه نحو المكان الصحيح يا صديقي؟

-هذا هو العنوان الذي توصلنا إليه أنا والبروفيسور بريستلي ليلة البارحة من تلك الرسالة المشفرة.

-بالمناسبة يا نضال، ما رأيك بالعرض الذي قدمه البروفيسور قبل مغادرتنا للقصر؟

-أتقصد اقتراحه بأن يتصل بكاثرين والتعاون مع الإنتربول للقبض على المجرمين؟

-أجل، ما رأيك بالفكرة؟

-لا أعتقد أنها فكرة صائبة، فأنا لا أثق كثيرًا بتلك المنظمات الدولية، أغلبها مخترق من قبل منظمات سرية تعمل بالخفاء لمصالحها الخاصة، ولكن على أية حال سأفكر بالموضوع لاحقًا، ربما أسلمها الوثائق التي أملكها عن العمليات القذرة التي قام بها قراصنة القديس يوحنا، لينشغل الإنتربول بهم، ونهتم نحن بمرتزقة الحشاشين الجدد.



-هل تعتقد أن البروفيسور يريد بذلك العرض تصحيح خطئه القديم؟

-عبد العزيز، ليس لدينا كثيرًا من الوقت لمناقشة مثل هذه الأمور الآن!

استمر الصديقان بالمشي حتى وصلا إلى كنيسة كبيرة، فتوقف نضال أمامها قائلًا:

-ها نحن قد وصلنا يا صديقي إلى كاتدرائية يورك مينستر «York Minster»، ثالث أهم كنيسة في إنجلترا!



-ولكن لماذا هذه الكنيسة بالذات؟ ما علاقة كنز الفاندال المفقود في هذا المكان؟!

-تعال معي يا عبد العزيز، أريد أن أريك شيئًا ما!

توجه نضال نحو جانب محدد في ساحة الكنيسة ينتصب فيه تمثال برونزي كبير، فأشار إليه وهو يقول لعبد العزيز:

-تمثال الإمبراطور الأريسي الموحد قسطنطين العظيم!



-ولكن لماذا يوجد تمثال للإمبراطور قسطنطين في مثل هذا المكان؟! تساءل عبد العزيز.

-في هذا المكان بالتحديد، في مدينة يورك الإنجليزية، عام 306 للميلاد، تم تنصيب قسطنطين إمبراطورًا، لتبدأ من هذا المكان الذي تقف عليه، أحداث كل الحكاية التي تابعتها في الأيام الماضية، حكاية الأريسيين الموحدين، الذين كتب الفاندال أحد أهم فصولها وأكثرها بطولة وبسالة، الحكاية التي أراد هؤلاء القتلة أن تبقى في طي الكتمان لمئات السنين.

-نضال، على ذكر القتلة، هل ما زلت تعتقد أن مواجهة مثل هذه العصابات الخطيرة فكرة صائبة؟ أليس من الأجدى أن تتوقف عند هذه اللحظة؟

-أخبرتك منذ البداية يا عبد العزيز أنك لست في حاجة لمواصلة الطريق معي، فأمك في المغرب في حاجة إليك.

-أنا لا أتحدث عن نفسي، فأنا معك إلى آخر الطريق، ولكني مشفق عليك يا صديقي، وأخشى أن روح الانتقام قد ملأت قلبك



وجعلتك تغفل عن إدراك الحقيقة، وهي أنك لن تستطيع مواجهة مثل هذه العصابات الخطيرة!

-ربما يكونوا خطرين بالفعل، ولكن أتعلم من هو أخطر مخلوق على وجه الأرض يا عبد العزيز؟

-من يكون هذا المخلوق؟

-المخلوق الأكثر خطورة على وجه الأرض هو الإنسان الذي لا يملك شيئًا ليخسره! لقد سلبني هؤلاء المجرمون منذ طفولتي كل شيء جميل في حياتي، حتى البسمة الوحيدة التي كان يشعر بها قلبي قتلت مع قتلهم لعمتي الحبيبة، لذلك ليس لدي ما أخسره، وعندما كنت طفلًا صغيرًا واجهت حربًا لا تقل شراسة عن هذه الحرب، وقد أوشكت على الاستسلام حينها، ولكن عمتي عندما رأت اليأس يتسلل إلى قلبي قالت لي مقولة بثت من خلالها روح التحدي في نفسي التي كادت أن تنكسر.

-وما هي هذه المقولة؟



طالما أن الحرب قد فرضت عليك،

فلا ترضَ أن تخرج منها إلا منتصرًا!

- هل هذا يعني أننا مقبلون على حرب حقيقية؟!

كلا يا صديقي،

فلقد بدأنا فعلًا هذه الحرب...

«حرب الفاندال»!

يتبع...



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات



